



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة باتنـــــة 1

كليـــة اللغـة والأدب العربي والفنون

قسم اللغة العربيــة وآدابهـــا

المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري مضامينها و أشكالها الفنية
لسان الدين بن الخطيب وابن جابر "أنموذجا"

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

إعداد الطالــب :
السعيــد قوراري

إشراف الأستـــاذ:
الشريف بوروبـــة

لجنــة المناقشـــة

الإســم واللقــب	الرتبة العلميـــة	الجامعـــة الأصليـــة	الصفـــــة
كمــال عجالـــي	أستاذ التعليم العالي	باتنـــــــة	رئيـــسا
الشريف بوروبة	أستاذ التعليم العالي	باتنـــــــة	مشرفا و مقررا
جمال سعادنـــة	أستاذ محاضر أ	باتنـــــــة	عضوا مناقشا
رزيقـــة طاوطـاو	أستاذ محاضر أ	أم البواقـــي	عضوا مناقشا
ليلى بن عائشـــة	أستاذ محاضر أ	سطيـــــف	عضوا مناقشا
لزهـــر فــــارس	أستاذ محاضر أ	تبســــــة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1437هـ - 1438هـ
2016 م - 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام:الآية:162]

تحية للمشرف /

أحيِّ: أستاذي الفاضل الدكتور الشريف بوروبة.

وأقف له وقفة إجلال وتقدير، واعترف مسبقا بأنني مهما بالغت في تحبير كلماتي وديباجة عباراتي، فإنني أجد نفسي مقصِّرًا في إيفائه حقه على كل ما قدم من خدمات ووجه لي من إرشادات وأسدى لي من نصائح وتصويبات.

أستاذي الكريم: لقد أعدت إلي الأمل وأبعدت عني شبح اليأس، وفتحت لي صدرك الرحب وبذلت جهدا لا ينكر في تقويم العمل الذي أشرفت عليه

فلكم مني أطيب المنى.

السعيد قوراري

إهداء

إلى من علمني إرادة الحياة:

الأب الفاضل، الأم الكريمة

حفظهما و رعاهما الله .

إلى الزوجة الصالحة

إلى زينة الحياة الدنيا بناتي:

"حنين. رفيف. أسيل. رنيم "

إلى كل أخواتي

السعيد

مقدمة

مقدمة:ـــــــــ

﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا**﴾ [1] وصلى الله وسلم وبارك على إمام المتقين، وسيد المرسلين وأعلم أهل الأرض أجمعين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وورثة الأنبياء ، العلماء الربانيين، وعلى من سار على نهجهم، واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

كانت الحياة الأدبية في المشرق والمغرب والأندلس موارة بالحركة والنشاط في القرن الثامن الهجري، ففي الأندلس والمغرب لقى الأدباء تشجيعا كبيرا من رجالات الدولة، الذين كان كثير منهم يقول الشعر، ويتذوقه، ويفتح لهم مجالسه،ويناظرهم، ويناقشهم، ويتخذ منهم رؤساء لدواوين الإنشاء، ويستوزرهم. وقراءة عميقة في كتب ذلك العصر مثل الإحاطة والنفاضة والكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ونثير الجمان لابن الأحمر، والعبر لابن خلدون وغيرها، تعطينا صورة واضحة عما كان يزخر به هذا القرن من الشعراء الذين كانت تتجاذبهم دول الأندلس والمغرب المتعددة المتناحرة الملأى بالاضطرابات والفتن والصراعات. أما في المشرق العربي آنذاك فنجد المماليك قد جمعوا الشام ومصر والحجاز وغيرها في دولة واحدة، حققت–رغم وجود عدد من السلبيات– كثيرا من الازدهار والقوة والأمن، مما ترك آثارا طيبة على الحياة الفكرية والأدبية، وخلفوا أشعارا كثيرة، عبرت عن روح ذلك العصر من خلال المقاييس الفنية التي كانت سائدة فيه.

كانت الصلات الفكرية والأدبية بين المغرب والمشرق العربيين وثيقة سريعة مستمرة، تمدها قوافل الحجاج والمعتمرين ومحبي جوار الرسول ﷺ والتجار بمدد مستمر لا ينقطع، يحمل معه– فيما يحمل– الفكر والعلم والتصوف والأدب والكتب، بالإضافة إلى الكثير من المغاربة الذين يمموا وجوههم قبل المشرق، حجازه ومصره وشامه،طالبين فيه الأمن الذي افتقدوه في بلادهم آنذاك، ولقد حفظت لنا الكتب أسماء كثيرين، منهم ابن عربي وابن خلدون وابن جابر وأبو جعفر، وغيرهم.

تركت هذه الهجرة آثارها المتعددة على الحياة الدينية والفكرية والأدبية بعامة، وعلى الشعر بخاصة، وعلى المديح النبوي موضوع بحثي بصورة أخص .

---

[1] - سورة الكهف . الآية:1.

فالمدائح النبوية تحتل مكانا مشرقا في ديوان شعرنا العربي، واكتست رداء الصدق; حيث كان حب سيد الخلق ﷺ هو الدافع إليها، فاختلفت بذلك عن غيرها من المدائح التي كانت من الأغراض الدنيوية دافعها الأول.

وعلى امتداد العصور التي تمتد بيننا وبين عصر النبوة الزاهي راح الشعراء ينثرون مدائحهم على أعتاب الحبيب ﷺ، إذن فهي مدائح تتميز بطول الامتداد الزمني كما تميزت بالكثرة من حيث الكم أيضا;إذ لا يمكن حصر جميع مدائح الرسول ﷺ في عصر من العصور، فضلا عن حصر ما أبدعه الشعراء طوال هذه الحقبة الطويلة.

نخلص من هذا أن المدائح النبوية تميزت بالكثرة والشمولية، فقد حاولت الإحاطة بجوانب السيرة العطرة لسيد الخلقﷺ و تقديمها في بيان شعري أخاذ. ومن المحطات التي توقف لديها الشعراء تعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ،مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.

ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في آداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعدذلك إلى الرسول ﷺ طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة.

وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالمولديات.

ومن المعهود أن هذا المدح النبوي الخالص لا يشبه ذلك المدح الذي كان يسمى بالمدح التكسبي أومدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، وإنما هذا المدح خاص بأفضل خلق ألا وهو محمد ﷺ ويتسم بالصدق والمحبة والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني.

<u>**أسباب اختيار الموضوع:**</u>

أمال فيما يتعلق بالبواعث التي حدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع، فإننا نجملها فيما يلي:

أولا: حبنا للأدب العربي بوجه عام، والأندلسي منه على وجه الخصوص، والرغبة في الكشف عن إبداعات شعراء الأندلس، وتفردهم بسمات خاصة.

ثانيا: الحب العظيم للرسول ﷺ، ولا غرو في ذلك فلا يؤمن المسلم إيمانا كاملا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما يتسم هذا الحب بالصدق والعاطفة السامية القوية، لنيل رضا وشفاعة النبي.

ثالثا: تعظيم الرسول ﷺ عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع مع سماع اسمه، لأن كل من أحب شيئا خضع له. ومما يذكر في هذا السياق أن كثيرا من الصحابة(ض) إذا ذكروا اسم الرسول ﷺ، بعد وفاته، خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا. كذلك كان كثير من التابعين ومن تبعهم يفعلون ذلك محبة له والنظر إليه وتهيبا وتوقيرا.

رابعا: وقوفنا على النتاج المعرفي للسان الدين بن الخطيب بوصفه أحد أبرز شعراء وأدباء الأندلس والذي رأى فيه ابن خلدون: « **آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب، لا يساجل مداه، ولا يهتدي فيها بمثل هداه** »[1] وبالطبع فإن من بين ما وقفت عليه عند هذا الشاعر والأديب فنه الشعري بالذات، وذلك من خلال قراءتي المتكررة لديوانه، وهو الأمر الذي أتاح لي استكشاف مناح عدة من براعة هذا الشاعر وتميزه في خطابه الشعري.

خامسا: أن ابن الخطيب احتل مكانة عظيمة في تاريخ الأندلس بعامة، ومملكة غرناطة بخاصة،فهو الأديب والوزير الذي حاز قصب السبق في مجال الأدب والوزارة، فلقب بذي الوزارتين، وكان نموذجا فريدا، قلما يجود به زمان.

سادسا: بيان مدى إتباعه للسابقين من عصور الأدب الزاهية، ومعارضته إياهم، من خلال إبداعاته الشعرية المتنوعة، ثم إبراز الجديد على بعض قصائده.

سابعا: محاولة الكشف عن الروافد العلمية التي امتاح منها ابن جابر، ومعرفة مصادر معرفته، العلمية والثقافية.

ثامنا: معرفة حياة وآثار هذا العالم الأندلسي(ابن جابر)الذي كان حضوره الواضح في الحياة العلمية والثقافية الإسلامية.

تاسعا: وقد دفعنا إلى اختيار لسان الدين بن الخطيب وابن جابر أنهما قد اشتركا في انتمائهما إلى قطر واحد، هو الأندلس، وقد عنيا بموضوع واحد هو المديح النبوي الذي

---

[1]–ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. المقدمة ،ج7. دار الكتاب اللبناني، بيروت ،1959م. ص: 959.

خصاه بقصائد طويلة، الأمر الذي جعل بين مديحهما النبوي بعض الصفات والميزات المشتركة .

لقد عرف شعرنا العربي – منذ نشأته الأولى وحتى أيامنا الحاضرة– مئات الدارسين والباحثين الذين بذلوا قصارى جهدهم، وجادوا بعصارة أدمغتهم، ووهبوا الغالي والنفيس في البحث عما في هذا الشعر من نوادر، وأغان وموشحات، وفنون وحكم وبيان وفصاحة لسان... لكنهم لم يهتموا بالمدائح النبوية، ولم يفردوا لها بحثا مستقلا، ولم يعنوا بترجمة ناظميها، كما لو كانت هذه القصائد غريبة على بيئتنا، لم تعط أصحابها شهرة وصيتا،فكأننا بالمؤرخين للشعر وللشعراء يغفلون هذه الناحية ليغيبوا أشرف وجه من وجوه الشعر العربي، وليطمسوا صفات أشرف البشر،لأن كثرة الإغفال والإهمال–في رأيهم– تؤدي إلى النسيان فالضياع. ولكن بفضل الله تعالى ومنته عني بهذا النوع من الأدب رجال محبون لله تعالى، متيمون بحب رسوله الكريم، تلهج ألسنتهم بالصلاة عند سماع خير الأنام، وتفيض أعينهم بالدموع شوقا لزيارة سيد ولد آدم عليه السلام.

ومن هنا جاءت أهمية الموضوع–في نظرنا– وهو إبراز جانب الروح الدينية في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي في الأندلس. وكذا إبراز تلك العاطفة المشبوبة الصادقة المشبعة بالروح الصوفية الهائمة بحب الرسول ﷺ . من خلال فن المديح الديني في مضمونه وشكله، وهذا من خلال الشاعرين«لسان الدين بن الخطيب وابن جابر» .

ومن هذا المنطلق فإن البحث يطرح في هذا السياق سلسلة من الأسئلة التي تشكل الإجابة عنها على متن هذا البحث:

- ما المقصود بفن المدائح النبوية؟.
- ما مضامينها وأشكالها الفنية؟ .
- ما هي دوافع النظم في هذا الفن؟.
- ما هي أوجه التداخل بين المدائح النبوية و شعر التصوف؟.
- بما تميزت المدائح النبوية في تشكيلها الفني؟.
- ما هي جماليات الشعر المدحي عند كل من لسان الدين بن الخطيب، وابن جابر؟
- ماهي الأشكال الفنية للمدائح النبوية عند ابن الخطيب وابن جابر؟.

أهداف البحث: لكل مشروع علمي أهداف، ولبحثي هذا غايات نرجوها أهمها:

1–أسباب اهتمام الأندلسيين بهذا الفن.

2- تقديم دراسة متكاملة عن المدائح النبوية عند لسان الدين وابن جابر، من حيث المضامين والأشكال الفنية التي انتهجتها.

3-المساهمة في فتح نافذة على المدائح الأندلسية في القرن الثامن الهجري بشكل عام، فما تقدمه هذه الدراسة من نتائج يمكن لها أن تساهم هذه الدراسة من نتائج يمكن لها أن تساهم بفاعلية في بحث يهتم بالمدائح عموما في ذلك العصر.

4- محاولة تقديم إضافة متواضعة في مجال الدراسات الفنية لشعرنا العربي لاسيما الأندلسي منه.

أما عن موضوع بحثنا الموسوم«**المدائح النبوية في الشعر الأندلسي مضامينها وأشكالها الفنية، لسان الدين بن الخطيب وابن جابر أنموذجا**»، فقد جاء على النحو التالي: مقدمة، ستة فصول وخاتمة.

أما المقدمة، وهي التي نتحدث فيها الآن، فأودعناها الكلام عن أسباب اختيار البحث، وعرضا لفصوله ومباحثه، وأهم مصادره، ومنهجي في البحث، وختمتها بالشكر والامتنان لمن هو أهله.

وقد تناولنا في **الفصل الأول** مفهوم فن المديح في الاصطلاح اللغوي والفني ، ونشأته وتطوره.ثم وقفنا عند المديح في الأدب العربي وعوامل نشأته،وتطوره عبر العصور. كما تطرقنا للمديح الديني، وكذا المديح النبوي حيث تعرضنا لنشأته وتطوره ودوافعه. وبعدها تحدثنا عن شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي. لنسلط بعدها الضوء على موضوعات ومضامين شعر المديح النبوي. خاتمين هذا الفصل بالكشف عن العلاقة بين المديح النبوي وشعر التصوف.

أما **الفصل الثاني** فقد أفردناه لترجمة حياة الشاعرين لسان الدين بن الخطيب وابن جابر،مع دراسة ديوانيهما وطبعاتهما،والأغراض والموضوعات التي احتواها كل منهما،لنعرج بعدها على موضوعات قصيدة المديح النبوي في ديواني الشاعرين. منهيين هذا الفصل بإجراء مقارنة بينهما من حيث الموضوعات والقوافي.

وقد توجهت عناية **الفصل الثالث** : إلى تحديد مصطلح البنية، ونقصد بذلك بنية القصيدة المديحية عند الشاعرين، كما تعرضنا لمطالع قصائدهما وكذا المقدمات، حيث كانت المقدمات الغزلية والطللية ومقدمة الشوق والحنين. وبعدها كانت دراسة عنصر من

عناصر بناء القصيدة عندهما ألا وهو حسن التخلص، مختتمين ذلك بالعنصر الأخير الذي هو حسن الختام أو المقطع. وكان ذلك عن طريق دراسة نماذج لكل منهما

بينما اهتم **الفصل الرابع** بدراسة المعجم الشعري:حيث تناولنا في:

الألفاظ والأساليب:ما يلي: ألفاظ الشوق و الحنين المباشرة، الألفاظ الدالة على الحنين الألفاظ الدالة على الحرب والسلاح،ألفاظ التوسل والشفاعة وطلب الاستغاثة.

وفي مستوى التركيب، درسنا مايلي: تعاقب وتكرار الألفاظ والأساليب، تعاقب وتكرار الأسماء،ومنها: ألفاظ الليل والنهار، تعاقب وتكرار صفات الرسولﷺ، وتكرار ذكر الأماكن المقدسة، وتعاقب وتكرار أسماء الحبيبة،وتكرار الأفعال وتعاقبها، وتكرار وتعاقب الأساليب الإنشائية. ومن هذه الأساليب: أسلوب النداء، أسلوب الاستفهام، أسلوب التمني،أسلوب الأمر والنهي .

لنلج مباشرة في بناء الصورة في شعر المدائح النبوية، حيث عرضنا مفهوم الصورة ووسائلها وغايتها عند القدماء، لنتناول بعد ذلك التشبيه ودوره في خلق الصورة، ثم تحدثنا عن الاستعارة وبينا دورها في خلق الصورة عند الشاعرين«لسان الدين وابن جابر». دون أن نهمل الصورة الكنائية التي كان حضورها قويا في شعر المدائح النبوية. رفقة نظيرتها البديعية وما تضمنته من محسنات.

وفي جانب الموسيقى فقد كان لها صدى هي كذلك من خلال الموسيقى الداخلية وكذا الخارجية.

وفي **الفصل الخامس** كان حديثنا عن مستويات التناص عند الشاعرين، فقد تتبعنا تلك الظاهرة التناصية في مدائحهما،والتي كان حضورها مكثفا، كما صاحب ذلك تنوع في منابعها، ولذا فقد اكتفينا بالحديث فيها على خمسة مصادر هي: القرآن الكريم،والحديث الشريف، والموروث الشعري العربي،والأمثال والحكم العربية، الأحداث التاريخية قصد معرفة الآلية التي اعتمدها الشاعران في استحضار تلك المنابع ضمن دائرة التركيب اللغوي للمدائح النبوية.

أما **الفصل السادس** فقد اختص ببحث الأشكال الفنية للمدائح النبوية عند الشاعرين. فكانت المولديات، و الموشحات، والرسائل الشعرية،و المعارضات عند ابن الخطيب.

وعند ابن جابر كانت البديعيات،و المخمسات، والمعارضات،والمعشرات أهم الأشكال الفنية في مدائحه النبوية.

وختمنا بحثنا باستعراض أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستي للمدائح النبوية عند ابن الخطيب وابن جابر، وأعقبنا بثبت المصادر والمراجع.

ودراسة المدائح النبوية كظاهرة أدبية وفنية محكومة ببواعث خاصة جعلتنا نتجه إلى **المنهج التاريخي** في استقصاء المراحل الأدبية التي مر بها فن المدائح النبوية عبر العصور المختلفة وصولا إلى العصر الأندلسي وبلاد المغرب، ونظرا لكثرة شعراء المدحة النبوية فقد وقع اختيارنا على مشاهيرهم. منهم ابن الخطيب وابن جابر. ثم **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يصف الظاهرة ، ثم يتتبعها بالتحليل . وأخيرا **المنهج النفسي** المدعم باستقراء النص الشعري، وهو وسيلتنا في قراءة النصوص والكشف عن مضامينها وخصائصها الفنية. ذلك أن فن المدائح النبوية في –نظرنا–ليس فيه مبالغة أو تجاوز، بل تقصير وعجز، فقد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إطراء النبيﷺ،أي مجاورة الحد في مدحه بادعاء الألوهية فليتجنب المادح للنبيﷺ هذا الإطراء ويعتقد أنه عبده ورسوله ثم ليقل في مدحه بعد ذلك ما شاء، فإنه لا يعد إطراء في حقه عليه الصلاة والسلام.

مادة البحث: تتمثل مادة البحث فيما صدر عن ابن الخطيب وابن جابر من مدح ضمناها في ديوانيهما، فقد اعتمدنا على ديوان لسان الدين بن الخطيب **"الصيب و الجهام والماضي و الكهام"** الذي حققه الدكتور محمد الشريف قاهر. وعلى ديوان ابن جابر الأندلسي**"نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين"** الذي حققه الدكتور أحمد فوزي الهيب، دون النظر إلى سواهما حيث استندنا على كثير من القصائد والمقطوعات والنتف ذات الطبيعة المدحية، فجعلتها على اختلاف حجومها ضمن نطاق المدحة الخطيبية الجابرية .

أما فيما يخص مصادر البحث ومراجعه فمن الحق أن ننوه بكتب جديرة أمدتنا بالشيء الكثير في الدراسة وهي:

1–ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: لسان الدين بن الخطيب.

2– ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين : ابن جابرالأندلسي.

3-الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب.

4-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري،أحمد محمد التلمساني.

5-المدائح النبوية في الأدب العربي. زكي مبارك.

أما عن الصعوبات التي اعترضت طريقنا في هذه الدراسة. فهي صعوبة التمييز بين أغراض عديدة تتداخل في ما بينها في شعر لسان الدين وابن جابر ، كما هو الحال في قسم كبير من شعرنا العربي القديم ، ونعني بها الفخر والمدح والرثاء ، فكم من مقطوعة جمعناها في المدونة ثم حذفناها فيما بعد لأنها ليست من المدح ، وإنما هي من الرثاء أو الفخر. لكن كل هذا لم يثن من عزمنا بفضل ما لقيناه من تشجيع كبير من طرف أستاذي المشرف، الذي يطيب لنا أن نتقدم إليه بالشكر الجزيل على مساعدته القيمة وحسن توجيهه في تسهيل وصولنا إلى مبتغانا.

وإننا لنرجو ختاما أن تكون دراستنا هذه حلقة تضاف إلى سلسلة الدراسات التي اهتمت بتراثنا العربي الإسلامي القديم ، وإن أملنا لوطيد في أن تثري تصويبات السادة الأساتذة أعضاء اللجنة العلمية الموكول إليها أمر مناقشة هذه الرسالة بمختلف مباحثها ، وأن تسلط الأضواء الكاشفة على ما يعتريها من جوانب قصور لا يخلو منها أي عمل بشري ، وما من ريب في أن ذلك سيتيح لنا فرصة ثمينة لتصويبها وتدارك ما فيها من نقص ، رقيا بها إلى شكل أمثل قدر الإمكان ،والكمال لخالق البشر ، وحده ، دون سواه .

«فإني رأيت أنه لا يَكْتُبُ إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسَنُ، ولو قُدّمَ هذا لكان أفضل،ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبرِ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

فإلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة جميعا ، دون استثناء ، أتوجه بخالص التحية ، المقرونة بعميق الشكر ، ووافر الامتنان كفاء اجتهادهم في تتبع دقائق ما ورد في جهد العمل الذي بين أيديهم.

وواجب الشكر يفرض علينا أخيرا أن ننوه بمجهودات كل من قدم لنا يد العون ولو بكلمة طيبة ، وهي صدقة ، كما هو معلوم . ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو ولي التوفيق والعاصم من الزلل والهادي إلى سواء السبيل. والحمد لله رب العالمين،،،

الفصل الأول

فن المديح: النشأة والتطور

المبحث الأول: فن المديح : مفهومه ونشأته وتطوره .

المبحث الثاني: تطور المديح في الأدب العربي عبر العصور.

المبحث الثالث: المديح الديني .

المبحث الرابع: فن المديح النبوي، نشأته وتطوره ودوافعه

المبحث الخامس: موضوعات ومضامين شعر المديح النبوي

المبحث السادس: أوجه التداخل بين المديح النبوي وشعر التصوف

1- فن المديح : مفهومه ونشأته وتطوره:

1-1-المديح: في الاصطلاح اللغوي:

المديح فن الثناء ولغة التقدير،ومجال الفضائل والمثل تخليدا للقيم والأخلاق.عرف عند العرب منذ القدم؛إذ كان يعبر عن روح العصر.

عرفه"**ابن منظور**" في لسان العرب بقوله:«المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء. يقال: مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحا ومدحة . هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر .والمدحة الاسم،والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح»[1] .

الأخيرة على غير قياس، ونظيره حديث وأحاديث؛قال **أبو ذؤيب:**

لَوْ كَانَ مدحةُ حَيٍّ مُنْشِرًا أَحَدًا   أَحْيَا أَبَاكُنْ، يَا لَيْلَى، الأَمَادِيحُ

قال **ابن بري**:الرواية الصحيحة ما رواه **الأصمعي**، وهو:

لَوْ أَنَّ مِدْحَةَ حَيٍّ أَنْشَرتْ أَحَدًا   أَحْيَا،أبوَّتَكَ الشُّمُ، الأَمَادِيحُ

«والمدائح:جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة، ورجل مادح من قوم مدح ومديح ممدوح. وتمدح الرجل:تكلف أن يمدح. ورجل ممدح أي ممدوح جدا.ومدح للمثني لا غير. ومدح الشاعر وامتدح . وتمدح الرجل بما ليس عنده: تشبع وافتخر. ويقال: فلان يتمدح إذا كان يقرظ نفشه ويثني عليها.والممادح: ضد المقابح»[2].

«المدح : مدح: مدحا ومدحه: أحسن الثناء عليه، ضد ذمه. مادحه: مدحه، تمدح: افتخر بما ليس عنده. تكلف أن يمدح وقرظ نفسه وأثنى عليها والرجل: مدحه،و-إلى الناس: طلب مدحهم. تمادح القوم: مدح بعضهم بعضا. امتدح: اتسع. المدحة ج: مدح: الاسم من مدح ما يمدح به-المديح:ج مدائح- والأمدوحة: ج اماديح: ما يمدح به-

الممادح: ضد المقابح »[3]، هو ذكر للشمائل والمناقب فنقول:مدحه مدحا أثنى عليه بما له من الصفات، نابع عن عاطفة الاحترام، والتقديروالتبجيل[4].

---

[1]- ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.لسان لعرب،مادة: مدح،ج16.ط1.دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م.

[2]- المصدر نفسه . مادة : مدح .

[3]- المنجد في اللغة والإعلام. ط21.دار المشرق، بيروت، لبنان،1960.ص:751

[4]-مجمع اللغة العربية.المعجم الوسيط .ط2. دار المعارف،مصر،1973م. ص:857.

قال **الثعالبي**[1]:

وَكَمْ عُلاَ لِلْمَجْدِ شَيَّدْتُهَا   تَثْنِي علَيهَا أَلْسُنُ المَدْحِ

أما في "أساس البلاغة" للزمخشري:« مدح: مدحه وامتدحه وممتدح وممدح، يمدح بكل لسان العرب تتمدح بالسخاء، وهو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم»[2] .

والمديح في اصطلاح الأدباء والنقاد غرض شعري جوهره الشكر، والثناء والتنويه بمناقب الممدوح.

وخلع أبو البقاء الكفوي على المدح ظلا فلسفيا فقال:«المدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا، سواء أكان من الفواضل، أو من الفضائل وسواء أكان اختياريا أو غير اختياري، ولا يكون إلا قبل النعمة، ولهذا لا يقال: مدحت الله، إذ لا يتصور تقدم وصف الإنسان على نعمة الله بوجه من الوجوه لأن نفس الوجود نعمة من الله تعالى»[3].

1-2- المديح في الاصطلاح الفني:

المدح كما رأينا في المعاجم هو حسن الثناء، ومن العسير أن نستدل على تاريخ محدد لاستخدام هذا المصطلح للدلالة على فن شعري بعينه له خصائصه ومميزاته ولغته وموضوعاته وذلك لان الميل على تقبل الثناء غريزي في الإنسان، ولا شك أن الشعراء كما يقول الدكتور **بدوي طبانة** منذ أن عرفوا:« تلك الطبيعة في الإنسان اتخذوها سببا

---

[1]- ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة785هـ بوادي سير شرق مدينة الجزائر،تنتمي أسرته إلى قبيلة الثعالبة من عرب المعقل، التي قطنت سهول متيجة، وهو من أشهر أعلام الجزائر،عاش في القرن التاسع الهجري، تعلم في قريته ثم انتقل إلى بجاية سنة 802هـ. أخذ عن الشيخ أبي زيد الوغليسي، والشيخ أبي عثمان المنقلاتي والشيخ المشدالي، ثم انتقل بعدها إلى تونس سنة809هـ، ومنها إلى القاهرة ثم عاد إلى الجزائر وأسس الزاوية الرحمانية.اشتغل بالتدريس إلى أن توفي سنة 875هـ. من مؤلفاته:"الجواهر الحسان في تفسير تلمسان" سنة 833هـ،:"العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة" و:"روضة الأنوار ونزهة الأخبار"و:"المختار من الجوامع في القرآن" و:"مختصر ابن حاجب في الفقه"و:"رسائل في التصوف والجهاد ومحاربة الكفار" .

ينظر ترجمته في: أعلام مدينة الجزائر و متيجة. مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى: تصدير: عبد الحميد حاجيات.ط1. دار الحضارة، الجزائر، 2007م. صص:94-95 .

[2]- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة.تحقيق:عبد الرحيم محمود. دار المعرفة، بيروت،(د،ت).ص: 324.

[3]- غازي طليمات ، عرفان الأشقر. الشعر في العصر الأموي. ط1. دار الفكر، دمشق، مكتب الأسد، (د، ت). صص:326-327 .

إلى الأقوياء ووسيلة إلى أصحاب السلطان ليحتموا بقوتهم ويحيوا في ظلال نعمتهم، وأولئك يمدون لهم في حبل العطاء ليشيعوا محامدهم في الناس فيمتد سلطانهم ويسبق ذكرهم»[1].

والمديح هو فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبر عن شعور تجاه فرد من الأفراد،أو جماعة أوهيئة- ملك على الشاعر إحساسه،وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه. وفي هذا الفن من الشعر تعداد للمزايا الجميلة، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا وعرفوا بمثل هاته الصفات والشمائل.

والمديح من أقدم الفنون الأدبية،عرفته الشعوب البدائية يوم رفعت إلى الآلهة صلواتها وقدمت القرابين إلى أصنامها ووضعت نفسها تحت وصاية زعمائها وأبطالها. فمنذ فجر التاريخ أحس الإنسان بالفوارق الاجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان. ورأى الأقدار تضع وترفع وتعطي وتمتع، لذلك سعى إلى إرضاء من هم فوقه،وسواء أكان هذا المديح صادرا عن قرارة نفسه أم من أطراف لسانه فهو يعترف بالأفضلية لمن سبقوه بالغنى أو الشجاعة والقوة أو الفهم والذكاء.

ونظرة المادح إلى الممدوح تشترك مع الناس جميعا في النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والغني والأمير نظرة خاصة فيها الكثير من الإجلال والإكرام؛يعبر فيها صاحبها عن ذاته بما يتوفر لديه من ضروب القول والحديث والبيان شعرا ونثرا [2].

« ولسنا ندري كيف جاءت المدائح الأولى عند الإنسان الأول، ولكن النقوش القديمة تحمل على صفحاتها الحمد والثناء لأشخاص وجماعات وتشيد بالقواد أو الملوك وتتحدث عن انتصاراتهم ومواهبهم، وتمنحهم ألقابا ونعوتا وصفات تسمى،في عرفنا اليوم،مدائح.فقد نشأ الإنسان على خوف من القوة والبطش فلذلك رأيناه يمجد البحر والرعد والأسد والمطر والشمس والقمر والنار ويتوجه إليها خاضعا خاشعا مبديا إعجابه . وسرعان ما اكتشف فكرة الإله ، فجعل لكل شيء إلها، في بادئ الأمر، ثم توجه إلى

---

[1]- بدوي طبانة . قدامة بن جعفر والنقد الأدبي . مطبعة مخيمر، القاهرة, 1954م. ص:39 .

[2]- ينظر :إميل ناصف.أروع ما قيل في المديح.(د،ط).دار الجيل ، بيروت،(د،ت). صص:08-09.

الآلهة بصلواته وعبادته وتضرعاته فغدت هذه كلها مدائح، إلى أن اكتشف فكرة الإله الواحد فأصبحت مدائحه صلاة»[1].

هذا النوع من المديح عرف عند المصريين القدامى مكتوبا على ورق البردى يتوجه فيه الفلاح المصري إلى سيده الفرعون،كما عرف عند أهل الصين القدامى في كتبهم الدينية وملاحمهم مثل كتاب "**كونفوشيوس**" أو الهندية "**الماها بهارتا**" أو"**الرمايانا**" . وعرف هذا المديح أيضا عند الفرس في كتابات " **زرادشت**" .

وقد استمر هذا المديح عند اليونانيين،وهذا في الإلياذة والأوديسة حيث تتجلى معاني القوة والشجاعة والبطولة، وإشادة بالخير والعدل والحق. ثم يأتي القرن الخامس عشر ليقوم الانجليز والفرنسيون على لسان شعراء"**التروبادو**" منهم، يمجدون البسالة والشجاعة وكرم الأخلاق، ولم يتخلف عنهم الألمان والأسبان في مدح الزعماء والقواد والملوك[2].

1-3- المديح في الأدب العربي:

مثلما سبق و أن قلنا أن الأمم جميعا كانت تكرم عظماءها في أمور الدين والدنيا على السواء أما العرب فقد كانوا يرسمون إعجابهم وتقديرهم حينما كانوا يتوجهون إلى مادحيهم .

فالمديح يعتبر أبرز الفنون الشعرية عند العرب، رافق الشعر منذ نشأته الأولى فعلى الرغم من التطورات التي طرأت على العملية الشعرية ومن التبديل الذي أصاب الشعر من حيث المفاهيم والمقاييس، فإن المديح لم يغب في يوم من الأيام عن مسرح الشعر« بل ظل هو الأصل وسائر الفنون الشعرية هي الفرع. يتناوله الشعراء ويصرفون إليه كل عناية واهتمام كأنه استقر في أذهانهم أن الشاعر خلق ليكون مداحا، فإذا نظم شعرا في غير المدح كان كالرامي الذي يرمي سهاما طائشة بعيدة عن إطار هدفها، فحلم كل شاعر أن يسخر عبقريته في هذا الاتجاه فيجعل شعره بابا للرزق ومفتاحا للثروة. إلى أن طبع الأدب العربي بطابع المديح وبات من الصعب أن نعثر على شاعر عربي من

[1]- إميل ناصف .أروع ما قيل في المديح . ص : 10.

[2]- المرجع نفسه . ص : 10 .

العباقرة لم يصطنع المديح. لدرجة أن امتلأت الدواوين بهذا اللون وغدت قصائدها تشكل القسم الغالب في نتاج الشعراء ».[1]

1-4- عوامل نشأة فن المديح:

لقد نشأ فن المديح عند العرب، إعجابا بالفضيلة وثناء على صاحبها، واهتزازا أمام النبل، وإكبار للمروءة والشجاعة.ويكفي أن نقول أن لطبيعة الحياة الجاهلية آنذاك ونظم المعيشة الأثر في انتشار وذيوع هذا الفن. والإنسان بالفطرة يحب الإطراء مهما يكن قسطه من الفهم والعظمة،ومفطور على المجاملة تقربا من الناس واكتسابا لودهم.

«والبدوي بالأخص. ذاتي في تصرفاته ومشاعره، شديد اليقظة والالتفات إلى ما يمس فرديته وعرضه، مرهف الحساسية، سريع التأثر،... غيورا على شرفه وعرضه، وعلى ضيفه وعلى من يستجير به،حريصا على الظهور أمام الناس بمظهر الرجل المحترم، والبطل الشجاع، والكريم الأبي، يمتدح بين القوم،ويثني على خصاله وفعاله»[2].

وقد أخذ الشعراء يمتدحون شيوخ القبائل والأبطال فينسبون إليهم فضائل ذلك العصر من تسامح وحكمة وكرم ومروءة وإباء وعدل وشجاعة...إلخ، وهذا طبعا كنتيجة من نتائج النظام القبلي السائد آنذاك.

فالمجتمع العربي في العصر الجاهلي هو مجتمع فروسية،فكانت القيم فيه جماعية أكثر منها فردية،فالشاعر يتغنى بالقيمة التي تحرص عليها التقاليد القبلية، ثم تطور الأمر بعد ذلك فأصبحت هذه القيمة محل تعلق الأفراد، وتحول المديح بالتالي إلى أن يكون ثناء موجها للفرد،يقول الدكتور **شوقي ضيف**:«إن الشعراء الجاهليين كان عندهم مديح واسع يمتدحون فيه مناقب قبائلهم وساداتهم. وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجود متحدثين عن عزتها،وإبائها وشجاعة أبنائها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم،وكان بعض السادة يمتد مآثرهم إلى من حولهم من القبائل فكان يتصدى لهم شعراؤها يمدحونهم بمكرماتهم التي أدوها كأن يفتكوا أسيرا على نحو ما فعل خالد بن أنمار بابن أخت المثقب العبدي، فكان جزاؤه منه مدحة جيدة »[3] .

---

[1]- إميل ناصف . أروع ما قيل في المديح.ص : 11 .

[2]- المرجع نفسه . ص : 11 .

[3]-شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي).ط2.دار المعارف،مصر،1965.ص:21.

والذي زاد الشعراء إقبالا على مديح الزعماء هو ما كان يحدث بين القبائل من تنافس في الشعر، فكل قبيلة تجرد شاعرها للذود عنها وامتداح قوادها وأبطالها والتغني بمآثرها .

ولعل من بين عوامل انتشار المديح في العصور الأدبية الأولى.وخاصة في مجتمعات الصحراء« تلك المقدسات التي كانوا يلتزمون بها من ضيافة وحسن الجوار والتي كان يلتزم بها كل عربي ويؤدي فروضها كاملة مهما يكن شأنه. وكان قضاء هذه الموجبات يترجم في معظم الأحيان مديحا للغير أو فخرا بالذات»[1] .

فالمديح في أول عهده مدرسة أخلاق تعمل على بلورة المثل العليا وترسيخها.وحض الناس على تشجيعها واحتمال كل ما تتطلبه من حزم وصبر وشدة .

فالقصائد العربية المعروفة لن تخلو من مقطوعات يمدح فيها الشاعر قيمة من تلك القيم أو الفضائل التي حصرها **قدامة بن جعفر** في الشعر الجاهلي ورآها في العقل والعفة والعدل والشجاعة[2] .

فلم يكن المقصود من المديح كسب المال أو المنفعة الفردية كما يصير إليه الحال عندما يتخصص شعراء في هذا الفن،وحينما يتجه هذا الفن إلا الأفراد طلبا للنوال، يقول **ابن رشيق** في هذا الشأن«وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها »[3] .

فالشعراء وهم يتوجهون إلى ممدوحيهم تتوفر فيهم هذه الميزات وهذه الخصال إنما يجعلونهم مثلا يقتذى به ورجلا كاملا تتبلور في شخصه هذه الفضائل .

2- تطور المديح في الأدب العربي عبر العصور:

2-1- في العصر الجاهلي:

في بادئ الأمر كان المديح عبارة عن شعر مناسبات ليس بمقدور المال أن يفيها حقها. إذ كان إقرارا بفضل أو إمعانا في شكر أو تقديرا لموقف، فالشاعر كان يجد نفسه مجبرا عن التعبير عن مشاعره وأحاسيسه دون جزاء أو معروف. وكان الناس يأخذون شعره

---

[1]- إميل ناصيف. أروع ما قيل في المديح.ص :12.

[2]- ينظر: قدامة بن جعفر، أبو الفرج. نقد الشعر .تح:محمد عيسى منون.ط1.القاهرة،1934م.ص :39.

[3]-ابن رشيق ، الحسن بن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .ط1. مطبعة السعادة ، مصر،1907م . ص: 49.

دليلا يتناقلونه للتأكيد على قرب الممدوح من الفضيلة أو ابتعاد المهجو عنها.«كما كان الشعر الجيد من المديح يتحول إلى أمثال سائرة تتناقلها الأجيال »[1].

فقد قال **امرؤ القيس** بيتا يمدح فيه بني تيم قوم المعلى الذي أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء :

أَقَرَّ حشا امرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ بَنُو تَيم مصابيحُ الظَّلَامِ[2]

فمنذ ذلك اليوم قيل لبني تيم «مصابيح الظلام» .

والدليل على ابتعاد ذلك الشعر عن المادة ديوان زهير بن أبي سلمى الذي يدور أكثره على مدح هرم بن سنان بن عوف وغيرهما لإقافهما حرب داحس والغبراء بين قبيلتي **عبس** و**ذبيان** ودفعهما ديات القتلى من الطرفين والتي بلغت ثلاثة آلاف بعير.

ولم يكن شعر المديح وسيلة للتكسب إلا عندما يقال للممدوحين ما يرضي كبرياءهم من إرضاء لنزواتهم الإنسانية، فيعمدون إلى الهدايا والعطايا والأموال يغدقونها على الشعراء يستحثون قرائحهم لنظم الأشعار في التغني بأعمالهم. «فكان نتيجة ذلك أن ذاق الشعراء حلاوة العطاء، فانشغلوا به عن كل شيء وسهل عليهم أن ينظموا قصيدة من بضعة أبيات من الشعر ليتقاضوا لقاءها مبلغا من المال يسد حاجتهم لفترة »[3].

ويعد الشاعر **النابغة الذبياني** كبير شعراء التكسب في العصر الجاهلي.فهو أول من مهد طريق التكسب لمن جاء بعده. والذي لا يرقى إليه شك هو أن النابغة هو أول الشعراء الكبار الذين در عليهم شعرهم الثروة والنعيم.ويكفي الشاعر الجاهلي أنه يتكسب بشعره أفضل من السؤال،لأن عفة النفس عنده قبل كل شيء، ولا سيما عند زهير وطرفة والحطيئة.على خلاف الأعشى الذي شذ عن هذه القاعدة إضافة إلى النابغة،فإن الغالب على الشعر الجاهلي يظل بعده على التكسب .

2-2- في صدر الإسلام: بمجيء الإسلام خفت الشعر عامة. باستثناء شعر الكافرين الذين يناضلون الرسول،مما حدا بالرسول ﷺ للذود عنه وعن الدين الجديد.فالنبي أبى أن يمدحه الشعراء إلا بما يتصف به ويدعو الناس إلى اعتناقه، مثل الخصال والفضائل التي

---

[1]- إميل ناصيف. أروع ما قيل في المديح.ص :13.

[2]- امرؤ القيس، حجر بن الحارث الكندي. الديوان، تح :د:درويش الجويدي.(د،ط).المكتبة العصرية،صيدا، بيروت،(د،ت).ص:301.

[3]- إميل ناصيف. أروع ما قيل في المديح.ص :13.

تخدم الدين والرسالة التي أتى من أجلها « فالمديح مقبول، برأي النبي، مادام صادقا ويرمي إلى غاية سامية، ومادام لا ينجم عنه إلا الخير.أما إذا تحول إلى نفاق،فأقل ما يستحقه المداح هو أن يحثى في وجه التراب.وقد تدهورت منزلة المديح منذ بداية الإسلام نتيجة لتلك التطورات »[1] .

فالشاعر أرفع منزلة من الخطيب في أول الأمر وهذا لحاجتهم إلى الشعر لتخليد المآثر،فلما تكسبوا به وتولوا به الأعراض،صارت الخطابة فوقه.«وهكذا كان الشاعر المتكسب محتقرا في عهد النبي والخلفاء الراشدين، فكان عمر بن الخطاب لا يكترث للمديح وقد صرف همه إلى تركيز الوحدة القومية والخروج بها وبالدين إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية،وكان علي بن أبي طالب لا يرضى التزلف الذي يأتيه الشعراء في مدائحهم »[2]. فالخلفاء الراشدون يؤكدون على قيمة الشعر ويرونه أفضل من المال.

<u>2-3- في العصر الأموي</u>: بانقضاء عهد الخلفاء الراشدين عادت الخصومات بين العرب مثلما كانت عليه في الجاهلية.فهناك أحزاب تتصارع بالسيف والكلمة.كما أنه لكل حزب شعراء ناطقون باسمه. مادحون زعماءه ومروجون لسياسته ويهجون خصومه. وبفعل هذه الأحداث والصراعات تحول الشعر من جديد إلى وسيلة للتكسب وخاصة على أيدي الخلفاء الأمويين الذين شجعوا هذا الاتجاه في الشعر وأغدقوا بسخاء على شعراء المديح الذين توافدوا إلى الشام من كل الأقطار المجاورة. فجمعوا حولهم أقطاب الشعر يبذلون لهم المال للدفاع عن سياستهم وإظهار حقهم في الخلافة إثر موقعة صفين. فكان الشاعر بمثابة الناطق الرسمي باسم هذا الحزب أو ذاك. مما دفع بالشعراء إلى التهافت على الخلفاء طامعين بلقب شاعر الخليفة، وإذا لم يبلغوا هذا المقام قنعوا بما دونه منصرفين إلى الولاة والحكام أو غيرهم يطلبون الثروة ويتوسلون الشفاعة لديهم للوصول إلى باب الخليفة.« فجرير يمدح الحجاج أولا توسلا لبلوغ الخلفاء عبد الملك وسليمان ويزيد وهشام... لكنه يقصر عن مزاحمة الأخطل في احتلال المركز الأول في بلاط عبد الملك»[3].

فكل هذه الظواهر أدت إلى نتائج سيئة في حياة الأدب العربي، فجعلت الشعر أسير المال مقيدا بقيود المادة لم يستطع أن يتخلص منها طوال مدة طويلة من الزمن، ونشأ من

---

[1]- إميل ناصيف. أروع ما قيل في المديح . ص : 15 .

[2]- المرجع نفسه . ص : 15 .

[3]- المرجع نفسه . ص : 16 .

ذلك ثلة من الشعراء همهم التزاحم على أبواب أولياء الأمر،مكررين كل المعاني السابقة في المديح مما يؤدي بهم إلى الوقوع في فخ الكذب وهذا طبعا على حساب الذوق الأدبي وعزة وكرامة الشاعر والمستمع.ففي عهد بني أمية لم نلف أي شاعر لم يركب سفينة هؤلاء عدا شعراء الغزل مثل عمر بن أبي ربيعة أو جميل بن معمر وغيرهم .

<u>2-4- في العصر العباسي</u>: لقد تبوأ شعر المديح مكانة رائعة في الشعر العربي مع بداية العصر العباسي،فقد أصبحت سائر الأبواب تبدو إلى جانبه صغيرة«فقد تفرقت الدولة الإسلامية شيعا،وتقسم الملوك مناطق العالم الإسلامي، فازدادت موارد الرزق عند شعراء المديح وأصبح هم كل شاعر أن يسافر إلى أمير يكفيه، أو قائد يحميه. فرأينا أسماء بعض الشعراء تقترن بأسماء بعض الخلفاء والأمراء، من ذلك المتنبي وسيف الدولة، أبو تمام والمعتصم، البحتري والمتوكل...»[1]. فالتكسب بلغ أشده في ذلك العصر. وبلغ في افتضاح أمره، حيث أن الجاحظ حذر الناس من الوقوع في شرك المتكسبين. فقصائد المديح متشابهة تبدأ بالنسيب ثم تذكر الطريق التي سلكها الشاعر لبلوغ الممدوح والصعوبات التي اعترضته، والنوق التي أقلته حتى وصوله إلى ممدوحيه .

وبالتالي ظل المديح آخذا بمقدمة الشعر العربي حتى ضيع عليه الكثير من المعاني الإنسانية وصرفه عن مواطن فنية كان قادرا على اكتشافها والإبداع فيها .

<u>2-5-بعد العصر العباسي</u>: بانتقال المسلمين إلى الأندلس انتقل المديح إليها وأخذ الشعراء يقلدون أساليب المشارقة. والذي ساعد على ازدهار شعر المديح هو ما حصل من تفرق الدويلات في عهد ملوك الطوائف. وتنافس الأمراء على احتضان أرباب الشعر والكلمة.«أما في عصر الانحطاط فقد ألح الشعراء على القديم وعادوا يكررونه دون تبديل في صوره ومعانيه حتى سقط الشعر على أيديهم كما سقط العالم السياسي للمسلمين في ظلمات داجية»[2].

وفي القرن العشرين عادت جذوة المديح إلى النفوس، ففي مصر نشأ شعراء الملوك والخلفاء يتجهون حينا إلى قصور الآستانة وآخر إلى قصور القاهرة.أما في لأدب الحديث فإنه يمجد شعراء إجمالا لما اقترن به خلال العصور من ألوان التكسب والتذلل .

---

[1]- إميل ناصيف . أروع ما قيل في المديح . ص :17 .

[2]- المرجع نفسه . ص :17 .

3-<u>المديح الديني</u>: لعل المتصفح للكتب الدينية يلاحظ ذلك الإكثار من ذكر الله تعالى و بيان معجزاته، والاعتراف بفضله على المخلوقات.وبالتالي جعل الشعراء منذ القيم يسيرون على تقديسه من خلال لجوئهم إلى الطبيعة كسر من أسرار جماله وعظمته.

قال **حسان بن ثابت:**

تَعالَيْتَ ربُّ الناسِ عن قولِ منْ دَعَا   سِوَاكَ إِلهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ[1]

ثم نجد أبا العتاهية يرى عظمة الخالق-عز وجل- في كل شيء يقول:

وَأَنَّكَ معرُوفٌ ولستَ بِمَوْصُوفٍ   وإنكَ موجودٌ ولستَ بِمَحْدُودٍ

وأنَّكَ ربٌّ لا تزَالَ،ولم تَزَلْ   قريبًا بعيدًا،غائبًا،غيرَ مَفْقُودٍ[2]

وكان أغلبية الشعراء يشاركون في هذا المدح الديني حتى تطور فأضحى أقرب إلى النسيب مع شعراء المتصوفة الذين مزجوا الفلسفة والعقل في شعرهم. رغم هذا لم يتطور هذا الشعر كما تطور في مديح النبي محمد خاتم الأنبياء ﷺ، وفي الثناء على رسالته التي جاء بها والاعتزاز بفضله والإشادة بمحامده .

كما لا يخفى على كل واحد منا أن المديح كان يقال للملوك والزعماء تمجيدا للقوة والعظمة وهذا بغية نيل غرض دنيوي ومكسب مادي، وكان الإنسان يعتقد بوجود الآلهة. فكان يتوجه بصلواته لها بهدف الرضى والتقرب والتماس المغفرة بقوله:«أيها الإله الأعظم» وفي ذلك خضوع وخشوع للآلهة ولرجل الدين وقوام المدح في هذا المقام هو الوازع الديني،وهذا ما عرف عند قدماء المصريين[3] .

كما نقرأ في الأساطير الصينية والهندية مثل "كونفوثيوس" أو"مهابهارتا" أو "الرامايانا" يسيطر عليها الاحترام والتقدير.

وورد في التوراة خضوع لملك الملوك ودعوة إلى تقديس البطولة وإكبار الزعامة. وفي مزامير داوود صلاة تتوجه إلى الله منها هذا المقطع«أنت مالك كل امرئ، لأنك واضعي بيدك في

---

[1]-حسان بن ثابت الأنصاري.الديوان. تح: وليد عرفات،ج1. طبعة أمناء سلسلة جب التذكارية، (د،ت). ص :306 .

[2]-أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي.الديوان،شرح:د/وفاء الباني قمر،بإشراف: حنا الفاخوري.ط1. دار الجيل للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،1424هـ-2004م . ص:72

[3]- سامي الدهان .المديح. ط4 . دار المعارف ، القاهرة ، 1980م .ص : 09

بطن أمي، أحمدك، أشكرك فقد أتيت بالأعاجيب في خلقي، كونت عظامي في الخفاء،وصنعتني على عينيك... أنا لا أحصى نعمك فهي أكثر عددا من الرمل »[1] .

فهذا المديح ديني اقتبس الشعراء منه والمادحون .

وفي الآداب اليونانية أساطير تسرد سير الحروب،وانتصارات الأبطال وتمجد الشجاعة وتشيد بالخير والصلاح. فاشتهرت **الإلياذة*** و**الأوديسة**** .

أما في أدبنا العربي فيمكن لنا ذكر:

3-1- مديح العزة الإلهية:عرف عند العرب منذ البعثة المحمدية، فكان جل جلاله معشوقا والشاعر المادح عاشقا، وكان اسم المصطفى يطغى على القصيدة باعتباره رمز الله .

يقوم الشعر الديني على ثلاث دعائم"الغزل العذري والخمريات والرمز"،فكان ينظم على شكل غزل وخمريات في المعاني والألفاظ، عماده وجوهره أشبه بحالة السكر تفيض على قلوب المحبين إلا أن سكر الخمرة زائل وسكر المحبة ذاتي لازم[2] .

كما أن مديح العزة الإلهية يمكن اعتباره ضربا من ضروب الشعر الديني، فهو قائم على الحب الإلهي ويعرف في عرف أصحابه بأنه حالة ذوقية أشبه بالسكر، فالموقف الصوفي يقوم على أساس تغييب الذات، للوصول إلى حالة تتحد فيها المعاني والصور والأشكال والعروج إلى المطلق غاية الصوفي والسكر طريقة. فالخمرة مجرد تلويح إلى معاني خاصة تدور على المحبة الإلهية ووصف الوجد الروحي، خمرة مقدسة ترتبط بالتجلي والمشاهدة[1].

---

[1]- سامي الدهان . المديح . ص :09 .

***الإلياذة:** هي ملحمة شعرية يونانية تحكي قصة حرب طروادة وتعتبر مع الأوديسا أهم ملحمة شعرية إغريقية للشاعر الأعمى هوميروس المشكوك في وجوده أو أنه شخص واحد الذي كتب الملحمة ،وتاريخ الملحمة يعود إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد . وهي عبارة عن نص شعري، ويقال أنه كتبها مع ملحمة الأوديسا، وقد جمعت أشعارها عام 700ق.م بمدة مائة عام من وفاته وتروي قصة حصار مدينة طروادة .

****الأوديسة:**هي ملحمة شعرية وضعها هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد. وتتكون من 24 جزءا . تبدأ الملحمة من منتصف القصة، ثم تروي ما حدث بالبداية وتنتهي بوصول البطل إلى الجزيرة .

[2]- غازي شبيب. فن المديح النبوي في العصر الملوكي، أشرف عليه وراجعه :ياسين الأيوبي.ط1.المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998م. ص: 34 .

[1]- ينظر: صونيا بوعبد الله . قصيدة المديح النبوي بالمغرب الأوسط في القرنين 8-9 الهجريين . رسالة الماجستير.إشراف د/علي عالية، جامعة باتنة،2011م .ص: 36 .

وأشهر شعراء المتصوفة:السهر وردي(ت587هـ)،ابن الفارض (ت632هـ)، وابن عربي(ت638هـ) وأبو العباس المرسي(ت686هـ) و العفيف التلمساني(ت690هـ)، وابن عطاء السكندري (ت709هـ) وغيرهم .

يقول **الأعشى** متضرعا إلى الخالق لطلب الخلق، فبيده التعويض عما تلف :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أرْمَدَا ... وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا

وَمَا ذَاكَ منْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ اليَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

ولكِنْ أَرَى الدهْرَ الذِّي هُوَ خاتِرُ ... إذَا أصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

شبَابٌ وشيبٌ، وافتقَارٌ وثَرْوَةٌ ... فَلِلَّهِ هَذَا الدهْرُ كيْفَ تَرَدَّدَا[2]

فهذا الشعر الديني قائم على حب الله، والوفاء له والإخلاص له والممزوج بالحمد والدعاء والمناجاة والتوسل.

يقول **مالك بن المرحل** في حمد الله :

حَمْدُ الإِلَهِ واجِبٌ لذاتِهِ ... وشكْرُهُ علَى علاَ هباتِهِ

نحمُدُ سبْحَانَهُ ونَشْكُرُهُ ... ومنْ ذنوبٍ سلفَتْ نَسْتَغْفِرُهُ

ثُمَّ نَوَا إلَى فضلِ الصلاَةِ ... علَى الرسُولِ الطاهرِ الصفَاتِ

محمدٌ ذِي الكَلِمِ الفصِيحِ ... والفضلُ والتقدِيسُ والتسبِيحُ

صلَّى عليْهِ ربُّنَا و سلَّمَا ... كمَا هدَى بِنورِهِ وَسَلَّمَا[3]

فشعر التصوف ضرب من التضرع لطلب القرب.ومما جاء في معناه .

__أ–لغة__: وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل...وفي حديث الآذان: اللهم آت محمدا الوسيلة، هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء،ويتقرب به وقيل هي الشجاعة يوم القيامة، وقيل هي منزلة من منازل الجنة[1] .

---

[2]– الأعشى، ميمون بن قيس.الديوان. دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1406هـ–1986م. ص: 45 .

[3]– مالك بن عبد الرحمن المالقي الأندلسي.الديوان، تح:عبد الله بن محمد، مراجعة محمد الحسن الدد والشنقيطي. ط1. دار الذخائر للنشر والتوزيع، الرياض،2003م. ص:42 .

[1]– ابن منظور. لسان العرب، مادة : وسل .

ب–اصطلاحا:عرف من طرف الفقهاء بأنه يكون بتقوى الله والإيمان بالرسول، وطاعته، وذكروا صيغه، وأدعيته، يكون التوجه فيها للخالق.

يقول **ابن تيمية:**

إلهِي ترَى حالِي وفَقْرِي وفَاقَتِي وأنتَ مناجاةُ الحقيقةِ تسمـَعُ

إلهِي لَئِنْ خيَّبْتَنِي وطرَدْتَنِـي فمنْ ذَا الَّذِي أرْجُو سِوَاكَ فَيُدْفَعُ[2]

يمكن تصنيف موضوعات التوسل إلى صنفين: صنف يتصل بالشاعر،يعالج همومه:طلب العفو والستر،وقضاء الحاجة، وحسن الختام، والأمن من الخوف، ودفع المصائب،والكوارث،وغير ذلك مما يعترض الإنسان في حياته الخاصة،والعامة.وصنف: يتصل بالجماعة التي تحيط بالشاعر، وبمجتمعه، والمسلمين على العموم، كونهم يعانون ما يعانيه فيلتمس من الله أن يفرج كروبهم. لأنه صاحب الملكوت الحي الذي لا يموت، يقول **حسان بن ثابت:**

وأنتَ إلـَهُ الحقِّ ربِّي وخَالِقِي بذلكَ ما عُمِّرْتُ في الناسِ أشهَدُ

تعالَيتَ ربَّ الناسِ عنْ قَولِ مَنْ دَعَا سوَاكَ إلهًا،أنتَ أعْلَى وأَمْجَدُ

لكَ الخلقُ وَالنَّعمَاءُ والأمْرُ كلـُّهُ فإيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَ إيـَّاكَ نَعْبُدُ[3]

فقد تميزت مدائح **حسان بن ثابت** ومراثيه ببكاء الأرض والتشوق لرؤية النبي والفردوس الأعلى،هي نزعة دينية صوفية تنم على الهدى والرشد، وهو نوع من الوعي الكوني وإدراك سماوي غيبي يحسه القلب:

نورًا أضَاءَ علَى البريـَّةِ كُلِّهـَا منْ يُهْدَ للنُّـورِ المباركِ يهتدِ

يَا ربُّ فاجمَعْنَا معًا ونبيَّنَـا في جنةٍ تنبِي عيونَ الحُسـَّدِ

في جنِة الفِرْدَوسِ واكتبْهَا لنـَا يَا ذَا الجَلاَلِ وَذَا العُلاَ والسؤدَدِ[4]

إن حب الرسول الكريم كان له أثره البالغ عن طريق الرؤية والسماع وحتى إن كان الغياب يبقى الحاضر الغائب لما عرف عنه من التفرد في شخصيته والتميز جعل منه من عظماء

---

[2]–ابن تيمية، تقي الدين أحمد . قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. (د، ط) .بيروت ، (د، ت). ص :170.

[3]– حسان بن ثابت الأنصاري. الديوان . ص :306 .

[4]– المصدر نفسه . ص :209 .

التاريخ. حتى أعداؤه وقت البعثة يقرون بمكانته، فقد وصفه أبو سفيان-قبل إسلامه- فقال:« ما رأيت أحدا يحبه الناس كحب أصحاب محمد محمدا »[1].

3-2-المديح الديني السياسي:

وقد ارتبط بمدح آل البيت وأمور الخلافة وما كان من صراع ،فأثارت هذه الأحداث المؤلمة عاطفة الشعراء المتشيعين واستمدوا من استشهاد الحسين بن علي وتوالي المصائب على آل البيت فكانت الأشعار التي تلقى في عاشوراء في رثاء الإمام الحسين- رضي الله عنه- إحياء للذكرى بدموع تعبر عن حبهم الشديد له كذلك ما كتبه **ابن هاني** في مدح الفاطميين. حيث قال في مدح المعتز لدين الله الفاطمي:

مَا شِئْتَ لاَ مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ فاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ[2]

ومن أعلام المديح الديني السياسي: الفرزدق، الكميت بن زيد، دعبل الخزاعي، والشريف الرضى...

3-3-المديح النبوي: كانت حياة العرب قبل مجيء الإسلام عبارة عن قبائل تتصارع وتتناحر.فلما ظهر النبي محمد دعا إلى وحدة العرب واجتماعهم تحت راية الإسلام لينقذهم من فوضى تعكر صفو حياتهم. وهزت تلك الدعوة المحمدية الممالك المجاورة فوقفت بين مصدقة ومكذبة ووقف الشعراء منها موقف الدفاع أو الهجوم.

فالمدافعون عن الرسالة النبوية امتدحوا خصال النبي وشمائله وغدا مديحهم أشبه بمديح الأجواد والكرماء من رؤساء القبائل، يخلو من ذكر الدين والتقوى والأخلاق.على غرار كعب بن زهير الذي مدح النبي بقصيدة سارت على الزمان وقلدها الشعراء على مر العصور، يعتذر فيها من النبي ويطلب عفوه لما بدر منه حيث قال:

إنَّ الرَّسُولَ لنورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مهنَّدٌ منْ سُيُوفِ اللهِ مسْلُولُ[3]

وبالتالي يكون قد بلغ منتهى المديح العربي القديم، حيث جمع الكرم والعفو والتسامح والشجاعة والوقار والسيادة والقداسة في شخصية محمد ﷺ .

---

[1]- محمد قطب . واقعنا المعاصر.(د،ط) . مكتبة رحاب الجزائر، (د ، ت) . ص :23.

[2]- ابن هانئ، أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي.الديوان.دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1405هـ- 1985م .ص: 146.

[3]- عبد عون الروضان . موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي. دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن،(د،ت) .ص :273 .

ثم انبرى **حسان بن ثابت** يدافع عن النبي وعن دعوته الجديدة فإذا رسالته هدى للناس:

وأحسَنُ مِنْكَ لمْ تَرَ قَطُّ عينِي، وأجمل منكَ لمْ تلدِ النِّسَـاءُ

خُلِقْتَ مبرَّأً مِن كُلِّ عيْـبٍ كأنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَـاءُ[1]

وسار الشعراء على منوال حسان بن ثابت.حتى القرن السابع الهجري، حيث وضع **محمد بن سعيد البوصيري** قصيدته الهمزية الشهيرة التي زادت على أربعمائة بيت فيها حياة النبي ومزاياه ومعجزاته، ورسم مولده في ليلة غراء وضعته فيها أمه آمنة بنت وهب. ثم ينتقل إلى وصفه كرجل في قصيدة أخرى يقول فيها:

كالزّهرِ فِي ترفٍ والبدْرِ في شرفٍ والبحرِ في كرمٍ والدهرِ في هِمَمِ[2]

وهذه القصيدة الميمية سميت«**البردة**»فحفظتها الأجيال الإسلامية،وتولتها المطابع،وشرحها الشارحون،وعارضها الشعراء على مدى العصور.

وكان الاهتمام بالموضوع على مدى العصور لما فيه من التبرك والتضرع فلا عجب لهذا الكم الهائل من القصائد لأن فيه أجران: أجر الصلاة وهو الامتداح وأجر الإجادة والتحسين[3].

فقد أتت المدائح النبوية لمعارضة تيار اللهو والمجون. كما يمثل دعوة إلى التمسك بالدين،أشهرأعلامه: البوصيري(ت696هـ)،وابن معتوق (ت707هـ)،ابن نباتة المصري(ت710هـ)،الشهاب محمود الحلبي (ت725هـ) .

كما كان للمديح النبوي صيت ذائع له شعراؤه ومتلقوه في العصر المملوكي، وتعد "**الكواكب الدرية في مدح خير البرية**" للبوصيري(ت696هـ) من أبدع وأروع ما نظمه الأدباء الشعراء في المديح النبوي ومن أجود ما تفتقت به أذهانهم في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري.وقد تأثر ببردة البوصيري في العصر الحديث **أحمد شوقي** في همزيته المعروفة.

وُلِدَ الهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضيـاءُ وفمُ الزمانِ تَبَسُّمٌ وثَنَـاءٌ[4]

---

[1]–حسان بن ثابت الأنصاري .الديوان . ص :19 .

[2]–البوصيري، محمد بن سعيد .الديوان، شرح وتعليق:د:محمد التونجي.ط1.دار الجيل،بيروت، لبنان،2002م. ص:427 .

[3]– ينظر:محمد أحمد درنيقة. معجم أعلام شعراء المدح النبوي، قدم له وضبط أشعاره :ياسين الأيوبي. ط1. دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1996م . ص :10 .

[4]– أحمد شوقي. الشوقيات. ط1. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د،ت) .ص :34.

وكذلك "**نهج البردة**" التي تقع في تسعين ومائة بيت ومطلعها :

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعلْمِ   أحلَّ سفك دَمِي فِي الأَشْهُرِ الحرمِ[1]

ويمكننا القول أن الشعراء المغاربة سباقين إلى الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، فكانت قصائدهم ذكرا لمناقبه الفاضلة وسيرته العطرة والوقوف على الأماكن المقدسة.

فقد كانوا يستفتحون قصائدهم بمقدمات غزلية صوفية، يتشوقون فيها إلى زيارة الحرم النبوي طالبين الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة بالدعاء والصلاة عليه.

ومن أشهر الشعراء المغاربة الذين عرفوا بالمديح النبوي **مالك بن المرحل***في قصيدة يعارض فيها البوصيري.

شوقٌ كمَا رُفعتْ نَارُ علَى علم   تشبُ بين فروعِ الضالِ والسَّلمِ[2]

وله الهمزية في مدح خير الأنبياء:

المصطفَى اهتديْتَ عزَّ ثنائِي   فيَا طيبَ إهدائِي وحسنَ هدائِي

أزاهيرُ روضٍ تجتنِي لعطارة   وأسلاكُ در مصطفى لصفـاءِ

ويبرز انفعال الشاعر لذكر النبي محمد ﷺ في الصلاة عليه قوله:

وَصَلِّ يَا ربِّ علَى خَيْرِ الأَنَامِ   وَحَيِّهِ عَنِّـي بِأَطْيَبِ السَّلاَمِ

ثُمَّ عَلَى الصَّحَابَةِ الأَخْيَـارِ   مَادَامَ ذكر رَبنَّـا الغَفَّـارِ[3]

وإذا كان الشعراء قد امتدحوا الرسول ونبوته،« فقد امتدحوا آله وأهل بيته، يدفعهم الألم والحرمان في كثير من الأحيان، فأظهروا عاطفة الدين ممزوجة بعاطفة السياسة، وقد

---

[1]– أحمد شوقي . الشوقيات،مجلد3 . ص :191 .

* **مالك بن المرحل:**هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي الأندلسي، كان إمام وقته وأديب زمانه، وشاعرا مطبوعا سريع البديهية ولد سنة 604هـ بمالقة وتوفي في 699هـ،وله قصيدة تزيد عن ألفي بيت وسماها"التبيين والتبصير في نظام كتاب التسيير" وله كذلك" الوسيلة" نظم،وأرجوزة في النحو، و"الواضحة"، نظم في العرائض،وديوان شعر، ومن أشهر آثاره العلمية "موطأ الفصيح" في نظم فصيح ثعلب النحوي الشيباني الشهير بابن المرحل. **ينظر ترجمته في:**الإحاطةج3. لسان الدين بن الخطيب.ص:303 وما بعدها.

[2]– مالك بن المرحل . ديوان موطأ الفصيح . صص:09–10 .

[3]– المصدر نفسه . ص :30 .

ألحوا على تصوير الفواجع التي ألمت بأهل البيت كمقتل الحسن والحسين وإحياء تلك الذكرى في المآتم »[1] .

فجرى شعرهم في الدواوين كما جرت الدماء في تلك الفواجع.

ولن نوفي حق هؤلاء الشعراء في مديح النبيﷺ،لأن ذلك يطول، بل نؤكد أن الشعراء اتجهوا إلى نبيهم كلما ضاقت بهم الدنيا وأحاطت بهم الأحداث ونالتهم المصائب والكوارث .

[1] - إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح .ص :25 .

4-فن المديح النبوي، نشأته وتطوره ودوافعه:

4-1-النشأة والتطور: المدائح النبوية؛ فضلاً عن أهميتها الإبداعية كنمط جوهري من أنماط الشعر العربي؛ تعد بمثابة خيوط نورانية تصل ماضي الأدب العربي بحاضره، فهي لون أدبي خاص، ينفرد بأنه لون عميق الأصالة، قادر على الاستفادة من مستجدات العصر والمذاهب الأدبية الوافدة والمستحدثة من دون أن يتغير طابعه الأساسي، ومن دون أن يفتقد جذوره وعراقته وملامحه المميزة. ولا شك في أن المدائح النبوية قد تطورت؛ وتتطور؛ شأنها شأن سائر الأنماط والألوان الأدبية، وقد ساهم في تطويرها وإنضاجها دخول شعراء كبار إلى ميدان الإنشاد الديني والمديح النبوي عبر عصور مختلفة؛ بدءا بحسان بن ثابت وكعب بن زهير ومروراً بالشريف الرضي والبوصيري.

أول ما ظهر من شعر المديح النبوي ما قاله عبد المطلب إبان ولادة محمدﷺ، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا، يقول **عبد المطلب:**

وَأنتَ لَمَّا وُلِدْتَ أشرقَتِ الأَرْضُ   وضَاءَتْ بنـورِكَ الأُفُـقُ

فنحنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وفِـي   النورِ وسُبُلِ الرَّشَادِ نخْتَرِقُ[1]

وتعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية مع قصيدة "**طلع البدر علينا**"، وقصائد شعراء الرسولﷺ كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة:

بَانَتْ سُعَادُ فقلْبِي اليوْمَ مَتْبُولُ   متيَّمُ إِثْرَهَا لمْ يفدْ مكبُولُ[2]

وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى بالبردة النبوية؛ لأن الرسولﷺ كسا صاحبها ببردة مطهرة تكريما لكعب بن زهير وتشجيعا للشعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني ونستحضر قصائد شعرية أخرى في هذا الباب كقصيدة الدالية **للأعشى** التي مطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أرْمدَا   وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا[3]

---

[1]- ابن الأثير،عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري . أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1. تحقيق:عادل أحمد الرفاعي.ط1. بيروت، لبنان،1417هـ- 1996م. ص: 119.

[2]-كعب بن زهير .الديوان. قراءة: د.محمد يوسف نجم ، دار صادر، بيروت، لبنان.ص:84

[3]- الأعشى . الديوان . ص: 45 .

ومن أهم قصائد **حسان بن ثابت** في مدح النبي الكريم عينيته المشهورة في الرد على خطيب قريش عطارد بن حاجب .

إنَّ الذوَائِبَ* مِنْ فِهْرٍ وإخوتِهِم   قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ[1]

ولا ننسى همزيته المشهورة في تصوير بسالة المسلمين ومدح الرسولﷺ والإشادة بالمهاجرين والأنصار والتي مطلعها:

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ   إلَى عَذْرَاءِ منزلِها خَلاءُ[2]

ومن أهم شعراء المديح النبوي في العصر الأموي **الفرزدق** ولاسيما في قصيدته الرائعة الميمية في مدح زين العابدين والتي نوه فيها بآل البيت واستعرض سمو أخلاق النبي الكريم وفضائله الرائعة، ويقول في مطلع القصيدة:

هذَا الذِّي تعرِفُ البَطْحَاءُوطْأَتَهُ   والبيْتُ يعرِفُهُ والحلُّ والحرَمُ**[3]

وقد ارتبط مدح النبيﷺ بمدح أهل البيت وتعداد مناقب بني هاشم وأبناء فاطمة كما وجدنا ذلك عند الفرزدق والشاعر الشيعي **الكميت** الذي قال في بائيته:

طربتُ ومَا شوْقًا إلى البيضِ أطربُ   ولاَ لعبًا منِّي وذُو الشوْقِ يُلعَبُ[4]

ويندرج ضمن هذا النوع من المدح تائية الشاعر الشيعي **دعبل الخزاعي** التي مدح فيها أهل البيت قائلا في مطلعها:

مدارسُ آياتٍ خلتْ منْ تلاَوَةٍ   ومنزلُ حيٍّ مقفَرُ العرصَاتِ[5]

ويذهب **الشريف الرضي** مذهب التصوف في مدح الرسولﷺ وذكر مناقب أهل البيت وخاصة أبناء فاطمة الذين رفعهم إلى مرتبة كبيرة من التقوى والمجد كما في داليته:

شغلَ الدموعُ عنِ الديَارِ بكاؤُنَا   لبكاءِ فاطمَةَ علَى أولادِهَا[6]

***الذوائب:** الأعالي والمقصود هنا: السادة–و فهر أصل قريش هو فهر بن غالب بن الضر بن كنانة.

[1]–حسان بن ثابت الأنصاري. الديوان . ص :232.

****البطحاء:**هي أرض منبطحة في وسطها مكة.

[2]– حسان بن ثابت الأنصاري. الديوان. ص :11 .

[3]– الفرزدق . الديوان، مجلد2. دار صادر .ص:178.

[4]– الكميت بن زيد . الهاشميات. ص:27 .

[5]–دعبل بن علي الخزاعي.الديوان.تح:إبراهيم الأميوني.ط1.دارالكتب العلمية،لبنان،1998/1418.ص:52

[6]–الشريف الرضي، الديوان،مجلد2، شرح:يوسف شكري فرحات.ط1.دار الجيل، بيروت،لبنان،1415هـ/1995م. ص:68.

ويقول أيضا في لاميته الزهدية المشهورة التي مطلعها:

راحلٌ أنتَ والليالِي نـزولٌ، ومضر بكَ البقاءُ الطويـلُ[1]

وللشاعر العباسي مهيار الديلمي عشرات من القصائد الشعرية في مدح أهل البيت والإشادة بأخلاق الرسول ﷺ وصفاته الحميدة التي لا تضاهى ولا تحاكى.

ولكن يبقى **البوصيري** الذي عاش في القرن السابع الهجري من أهم شعراء المديح النبوي ومن المؤسسين الفعليين للقصيدة المدحية النبوية والقصيدة المولدية كما في قصيدته الميمية الرائعة التي مطلعها :

أمنَ تذكرِ جيرانٍ بذِي سلَمِ مزجت دمعًا جَرَى منْ مقلَـةٍ بدَمِ

أمْ هبَّتِ الريحُ منْ تلقَاءِ كاظمَـةَ وأوْمَضَ البرقُ فِي الظلمَاءِ منْ إضَمِ[2]

وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ومن أهم هؤلاء الشعراء ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية التي استعمل فيها المحسنات البديعية بكثرة في معارضته الشعرية التي مطلعها :

بطيبَةَ انزلْ ويمِّمْ سيدَّ الأمَـمِ وانشرْ لهُ المدحَ وانثرْ أطيبَ الكَلِمِ[3]

ومن الشعراء الذين طرقوا غرض المديح النبوي الشاعر **ابن نباتة المصري** فقد ترك لنا خمس قصائد في المديح النبوي كهمزيته التي مطلعها:

شجونٌ نحوهَا العشاقُ فاءُوا وصبٌّ ما لَـهُ فِي الصبْرِ رَاءُ[4]

ورائيته التي مطلعها:

صحَا القلبُ لولاَ نسمةٌ تتخطرُ ولمعةُ برْقٍ بالغَضَا تتسَعَّرُ[5]

وعينيته التي مطلعها :

1– الشريف الرضي ، الديوان . ص : 168.

2– البوصيري . الديوان . ص:420 .

3– ابن جابر الأندلسي ، محمد بن أحمد بن علي . ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين،تحقيق: أحمد فوزي الهيب. ط1.دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،1426هـ–2005م . ص :491 .

4– ابن نباتة المصري، الشيخ جمال الدين الفاروقي . الديوان . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان. ص:01.

5– المصدر نفسه . ص: 180.

يا دارَ جيرتنَا بسفحِ الأجرعِ ذكرتكِ أفوَاهُ الغُيُوثِ الهمعُ[1]

ولاميته التي مطلعها:

ما الطرفُ بعدكُمْ بالنوْمِ مكحُولُ هَذَا وكَمْ بينَنَا منْ ربعِكُمْ ميلُ[2]

والميمية التي مطلعها:

أوجزْ مديحَكَ فالمقامُ عظِيمٌ من دونِـهِ المنثُورُ والمنْظُومُ[3]

<u>2-4-شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي:</u>

وإذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سباقين إلى الاحتفال بمولد النبيﷺ ونظم الكثير من القصائد في مدح الرسولﷺ وتعداد مناقبه الفاضلة وذكر صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية الشريفة وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. وكان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيع وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف، وبعد ذلك يصف الشعراء المطية و حال المواكب الذاهبة لزيارة مقام النبي الزكي، وينتقل الشعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدسة ومدح النبيﷺ مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة طالبين من الحبيب الكريم الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النبوية بالدعاء و التصلية .

ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر **مالك بن المرحل** كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية:

شَوْقٌ كَمَا رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عَلمِ تشبُّ بِيْنَ فُرُوعِ الضَّالِ والسَّلمِ[4]

ويقول في قصيدته الهمزية مادحا النبيﷺ:

إلَى المُصْطَفَى أَهْدَيْتُ غرَّ ثنَائِـي فَيَا طِيبَ إِهْدَائِي وَحُسْنَ هدَائِـي

أَزَاهِيرُ رَوْضٍ تَجْتَنِـي لعطارَةٍ وَأَسْلاَكُ درٍّ تُصْطَفَى لصفَـاءِ[5]

---

[1]– ابن نباتة المصري . الديوان . ص:290 .

[2]– المصدر نفسه . ص:372 .

[3]– المصدر نفسه . ص:428 .

[4]– لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3. ص : 315.

[5]– المصدر نفسه . ص:362 .

ونذكر إلى جانب عبد المالك بن المرحل الشاعر **السعدي عبد العزيز الفشتالي** الذي يقول في إحدى قصائده الشعرية:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ العَالَمِينَ بِأَسْرِهَا وَسِيِّدُ أَهْلِ الأَرْضِ مِنَ الإِنْسِ وَالجَانِ[1]

أما **القاضي عياض*** فقد خلف مؤلفات عديدة وقصائد أغلبها في مدح الرسول ﷺ والتشوق إلى الديار المقدسة كما في قصيدته الرائية:

قِفْ بِالرِكَابِ فَهَذَا الرّيعُ وَالدَّارُ لاَحَتْ عَلَيْنَا مِنَ الأَحْبَابِ أَنْوَارُ[2]

ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي وذكر الأماكن المقدسة **لسان الدين بن الخطيب** الذي يقول في قصيدته الدالية:

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْـدَا وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحَ وَالوَجْدَا
وَمِيضُ رَأَى بُرْدَ الغَمَامَةِ مُغْفَلاً فَمَدَّ يَدًا بِالتِّبْرِ أَعْمَلَتِ البُرْدَا[3]

المديح النبوي فضلاً عن أهميته الإبداعية كنمط جوهري من أنماط الشعر العربي؛ يعد بمثابة خيط نوراني يصل ماضي الأدب العربي بحاضره، فهو لون أدبي خاص، ينفرد بأنه لون عميق الأصالة، قادر على الاستفادة من مستجدات العصر والمذاهب الأدبية الوافدة والمستحدثة من دون أن يتغير طابعه الأساسي، ومن دون أن يفتقد جذوره وعراقته وملامحه المميزة. ولا شك في أن المديح النبوي قد تطور؛ ويتطور؛ شأنه شأن سائر الأنماط والألوان الأدبية، وقد ساهم في تطويره وإنضاجه دخول شعراء كبار إلى ميدان الإنشاد الديني والمديح النبوي عبر عصور مختلفة؛ بدءا بحسان بن ثابت وكعب بن زهير ومروراً بالشريف الرضي والبوصيري وابن نباتة المصري .

---

[1]- عبد العزيز الفشتالي. شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة وتحقيق: نجاة المريني.ص:420-428.

*هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي(476هـ-544هـ/1083م-1149م)، قاض مالكي. العلامة المحدث والفقيه المؤرخ الذي كان أعرف الناس بعلوم عصره من أهم مؤلفاته: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم- الإعلام بحدود قواعد الإسلام.

[2]-القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة: 166-168.رقم:744.

[3]- لسان الدين الخطيب،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب .ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام،تح: محمد الشريف قاهر،الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1973م ،ص:471 .

4-3- دوافع شعر المديح النبوي: ازداد تعاظم الروح الدينية في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي في الأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق وغيرها لأسباب كثيرة، لعل أهمها:

4-3-1- حرب الفرنجة أو ما سماها الغرب بالحروب الصليبية: التي أتت إلى الشام ومصر تريد احتلال بلادها وسلب خيراتها، وهدم ضريح النبيﷺ في المدينة المنورة، كما شهدت مثيلاً لها الأندلس أيضاً، بعد ضعف العرب، زمن ملوك الطوائف الذي أصبحت فيه البلاد إمارات صغيرة متناثرة ضعيفة، الأمر الذي أطمع نصارى الشمال بها، فهاجموها واحتلوا طليطلة وغيرها، وفرضوا عليها الإتاوات التي دفعها ملوكها صاغرين.

4-3-2- انتشار الزهد والتصوف: انتشاراً كبيراً في المغرب والمشرق على حد سواء، بتأثير متصوفين كبار، مثل السهروردي وابن الفارض وابن عربي والبوصيري وغيرهم ممن سبقوا هذا القرن، ولكن آثارهم ظلت مستمرة باقية إليه، ولقد قرّب رجالات الحكم هؤلاء المتصوفة، وفتحوا لهم مجالسهم، وبنوا لهم التكايا والزوايا.

4-3-3- كثرة الطواعين والأوبئة والمجاعات والزلازل والجوائح: التي تلاحقت على البلاد فلم يجد أهلوها سوى العود إلى الله لينجيهم، وكان هذا العود عن طريق التصوف الذي كان يرى . ولما يزل . أن الرسولﷺ هو المثل الأعلى، والإنسان الكامل، وأفضل الخلق، وسر الكون، وعلة الوجود، وعماده الرئيس، وقوته المدبرة، والوساطة بينه وبين الحق وسبب الهداية([1])،ولقد دفع ذلك شعراءهم لينظموا القصائد في مدحه وتعظيمه وحبه، والتشوق لزيارته ولمرابعه، والاستغاثة به، وغير ذلك، معتمدين على ما ورثوه من قصائد في مدحهﷺ في أثناء حياته، مثل قصائد حسان بن ثابت وكعب بن زهير ثم **البوصيري** وغيرهم.

كما تأثر الشعراء أيضاً بما رأوه من تعظيم النصارى للسيد المسيح وميلاده، وبانتشار عادة استشفاع الناس بالرسولﷺ في الدولة الفاطمية، وعناية المماليك بموسم الحج ومحمله وقوافله واحتفالهم بذلك احتفالاً كبيراً، وما فعله وزير الملك الظاهر بيبرس تاج الدين بن بهاء الدين بن حِنَّا من جمع الآثار النبوية وإيداعها في مكان واحد يليق بها

[1]-ينظر: لسان الدين الخطيب .ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام. صص:280-281 .

بالقاهرة. كل ذلك أجج الشوق في قلوب الناس عامة ولاسيّما المتصوّفة منهم، فاندفع كثير منهم إلى المدينة المنورة مهاجراً ليكون جاراً للرسول، يروي بذلك ظمأ قلبه المحب المشتاق[1].

ونضيف إلى ما تقدم فكرة أن الرسولﷺ حي في قبره غير ميت، التي شاعت لدى كثير من المسلمين، وبخاصة المتصوفة، وهي آتية من حديث نبوي رواه أبو هريرة، ووصف **النووي** سنده بأنه صحيح في **رياض الصالحين**،وهو:« **ما من أحد يسلّم علي إلا رد الله عليَّ روحي، حتى أرد عليه السلام**»[2] وقد شرحه صاحب"**فيض القدير**" المناوي بقوله:« يعني ردَّ علي نطقي، لأنه حي على الدوام، وروحه لا تفارقه أبداً، لما صح أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وهذا ظاهر في استمرار حياته لاستحالة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلَّم عليه»[3].

ومن حديث شريف آخر«إن الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء»، وصف **النووي** أسانيده بالصحيحة[4].

4-3-4-عناية المماليك بموسم الحج ومحمله وقوافله: واحتفالهم بذلك احتفالاً كبيراً، وما فعله وزير الملك الظاهر بيبرس تاج الدين بن بهاء الدين بن حِنَّا من جمع الآثار النبوية وإيداعها في مكان واحد يليق بها بالقاهرة. كل ذلك أجج الشوق في قلوب الناس عامة ولاسيّما المتصوّفة منهم، فاندفع كثير منهم إلى المدينة المنورة مهاجراً ليكون جاراً للرسول، يروي بذلك ظمأ قلبه المحب المشتاق[5] .

4-3-5-ضعف دولة الموحدين وسقوط المدن الأندلسية: لقد أبتل الأندلسيون بفتن عديدة، وأزمات كبرى كان وراءها أعداء الإسلام الذين يحيكون الدسائس والمؤامرات للمسلمين،ونتيجة ضعف سياسة دولة الموحدين وتفككها أصبح المسلمون لقمة سائغة في أيدي الصليبيين الذين تمكنوا من احتلال مدن الأندلس. ومن بين هذه المدن مدينة **بلنسية** إحدى قواعد الأندلس المهمة ومدنها الكبرى، فقد مرت هذه المدينة بالكثير من

1- ينظر:أحمد فوزي الهيب .الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء.(د،ط)، مؤسسة الرسالة بيروت1986م . صص:100-103 .

2-النووي. رياض الصالحين، تح: رباح والدقاق،(د،ط)، دار المأمون، دمشق، 1976م. ص: ص530.

3- المناوي. فيض القدير شرح الجامع الصغير،ج5، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،1938. ص:467.

4- ينظر: النووي. الأذكار النووية، تح: الأرناؤوط ، دار الملاح، دمشق،1971م،ص:97 .

5- ينظر:أحمد فوزي الهيب .الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء. ص :100 .

الأحداث وتولى أمرها العديد من الملوك،ففي عهد الدولة الأموية في الأندلس كانت بلنسية عاصمة شرق الأندلس،وازدادت أهميتها في عهد أمراء الطوائف، فحكمها العامريون وحاصرها ملك قشتالة في عهدهم سنة(457هـ). وتوالت الأحداث على هذه المدينة وتبادل الحكام عليها ونتيجة الخلافات سقطت في يد النصارى واستسلمت للسيد الكمبيادور سنة(488هـ)[1].

واستصرخت بلنسية المسلمين ووجدت أصداء لدى أمير المرابطين **يوسف بن تاشفين** الذي استرد المدينة في شعبان سنة(495هـ)، وفي عهد المرابطين تولى **ابن مردنيش** شرق الأندلس. وبايعه أهل بلنسية سنة(542هـ) وظلت في حكم المرابطين حتى عهد الموحدين،حيث ثار ابن مردنيش على حاكمها الموحدي الذي أعان المشركين على سقوطها ولم يقو ابن مردنيش على مقاومة شوكة النصارى، فجرت بينه وبينهم معارك عديدة تغلبوا فيها على المسلمين، وسقطت المدينة وابرم اتفاق ينص على الحفاظ على أرواح المسلمين سنة(636هـ)[2]،لكن النصارى نقضوا عهودهم وغزوا بلنسية التي سقطت نهائيا.

أما المدينة الثانية التي سقطت فهي مدينة مرسية، حيث أنه خلال الفتنة القرطبية في القرن5هـ استولى عليها العامريون وأصبحت تابعة لهم،ثم استولى حكام اشبيلية سنة(471هـ).وبقوا في حكمها حتى مجيء المرابطين، الذين استولوا عليها سنة(484هـ)[3].

وبمجيء الموحدين، وتأسيس ملكهم كانت مرسية تابعة لمحمد بن سعد بن مردنيش،الذي ظل يتصارع مع الموحدين زهاء ربع قرن[4] .

ولما كانت وقعة العقاب الأليمة سنة(609هـ)، وتفكك دولة الموحدين أعلن أهل مرسية بيعتهم لابن هود الجذامي الذي أعلن الثورة بشرق الأندلس في ذلك الوقت[1] ولما توفى سنة 635هـ خلفه على إمارة مرسية أخوه الملقب ب(**عضد الدولة**)وسرعان ما خلع أهل مرسية طاعته،وأعلنوا بيعتهم لعالمهم أبي بكر عزيز بن خطاب سنة 636هـ.

---

[1]–المقري.أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5. ص:345 .

[2]– ينظر:يوسف اشباخ. الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان،ج2 .ط2 . مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966م . صص :177-178 .

[3]– ينظر:محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى).ط4. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م . ص :390 وما بعدها .

[4]– ينظر:محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين).صص:184-185.

وظلت مرسية في خضم تلك الأحداث تعاني كغيرها من المدن الأندلسية الفتن والاضطرابات، وتوالي الزعامات الفردية، وعندما خاف أهلها من بطش العدو الصليبي بهم اضطروا إلى تسليمها صلحا في شوال 640هـ[2].

المدينة الموالية التي لقيت المصير المحتوم هي اشبيلية التي ظلت في عهد الخلافة الأموية قاعدة من قواعد الأندلس المهمة ومركزا من مراكز الإشعاع العلمي، وفي عصر ملوك الطوائف استقل بها بنو عباد،وكانت من أقوى دويلات الطوائف وفي عهد المرابطين لم يكن لهذه المدينة شأن يذكر،وظلت في حكمهم حتى مجيء الموحدين،حيث دخلت كغيرها من المدن الأندلسية في طاعتهم،فجعلوا منها مركزا لولاياتهم بالأندلس[3].بعد ضعف دولة الموحدين وتقيض سلطانها، بعد معركة العقاب سنة 609هـ. وظهور الثورات والفتن ظلت اشبيلية تنتظر مصيرها مترددة بين طاعة الموحدين أو الولاء لابن هود حتى زحف النصارى إليها وحاصروها وأحكموا حصارها الذي نتج عنه موت كثير من أهلها بسبب الجوع حتى اضطروا للاستسلام بشروط مهينة سنة 646هـ[4] .

أما غرناطة فقد دخلها المسلمون فاتحين سنة 92هـ عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد، وفي عهد الدولة الأموية كانت قاعدة من قواعد الأندلس،وبعد الفتنة القرطبية انتهى حكمها إلى الصنهاجيين بزعامة **زاوي بني زيري**[5].«وظلت في حكمهم حتى مجيء المرابطين الذين استولوا عليها عند دخولهم الأندلس سنة483هـ»[6]،

وظل المرابطون يتوالون على حكمها حتى ظهور دولة الموحدين، حيث سلمت لهم صلحا، فتم الاستيلاء عليها مقابل سلامة ولاتها السابقين من المرابطين[1] ،«وظلت تحت

---

[1]– ينظر: محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى) . ص :390 وما بعدها .

[2]– ينظر: المرجع نفسه . ص :459 .

[3]– ينظر:يوسف اشباخ. الأندلس في عصر المرابطين والموحدين. ص :102 وما بعدها .

[4]– ينظر:محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين).ص :485 .

[5]– ينظر: لسان الدين الخطيب .الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1. ص:99 .

[6]– محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين) .ص :27

[1]– ينظر: ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب،(قسم الموحدين)، تح: محمد إبراهيم الكتاني، عبد القادر زمامة، محمد بن تاويت، محمد زنيبر. ط1. دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1985م. ص: 55

زعامتهم حتى نهاية العقد الأول من القرن 7ه، حيث ضعفت دولة الموحدين، وظهرت الزعامات الفردية من جديد. فأصبحت غرناطة تحت سيطرة ابن الأحمر الذي كون مملكة غرناطة،وقد انتهى سقوطها في يد النصارى بتسليمها من قبل حاكمها أبي عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر، وذلك بموجب معاهدة بين الطرفين سنة 897ه »[2].

يقول أحد الباحثين« وحين اشتد الضعف بدولة الموحدين–أي في القرن السابع الهجري– وأخذت المدن الأندلسية تسقط تباعا في حجر النصارى الشماليين تكاثر المديح النبوي، إذ اتخذه الشعراء الأندلسيون أداة للاستغاثة والاستنجاد بالرسول الكريم لإنقاذهم من محنتهم، وكانوا لا يكتفون بنظم الأشعار النبوية إذ كانوا يرفقونها برسائل إلى القبر النبوي الشريف واصفين ما يعانيه وطنهم من محن خطيرة»[3] .

فهذه الأحداث خلفت آثارها الواضحة في الناحية الأدبية، تجلى في شعر المديح النبوي كأداة للاستغاثة والاستنجاد بالرسولﷺ، بعد أن تيقن هؤلاء الشعراء أن جنة الأندلس أصبحت مجرد ذكرى تتراءى لهم في الخيال.

وبعد أن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم بقيت دوافع المديح النبوي عند الشعراء مبتغين الأجر والثواب من عند الله وطلبوا المغفرة والرحمة بجاه النبي عند ربه وأرادوا أن يقدموا لمعاصريهم بأشعارهم ومدائحهم صورة جلية عن هذا الإنسان العظيم الذي أنقذ الناس من التخبط في دياجير الظلام ودلهم على طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

5–موضوعات ومضامين شعر المديح النبوي: لقد تنوعت الموضوعات التي عالجتها قصيدة المدح النبوي،فنظم الشعراء قصائد في وصف مآثر الرسول ومناقبه ومعجزاته، وقصائد يتشوقون فيها إلى زيارة مقامه الكريم، والتبرك بآثاره الكريمة،لكن هذه القصائد تتصل ببعضها اتصالا وثيقا لأنها تدور جميعا حول موضوع واحد هو مدح النبيﷺ.

5–1–مدح وتعظيم وحب الرسولﷺ: يقوم الشاعر بتعداد صفات النبيﷺ ومآثره ويسعى إلى تتبع تلك الصفات التي تدخل في تشكيل شخصيته على نحو ما نجد في دالية **ابن الجنان المرسي***في مدح الرسولﷺ فهي تحمل أثر الحنين إليه منه قوله:

سَلامٌ علَى منْ جَاءَ بِالحَقِّ وَالهُدَى وَمَنْ لَمْ يَزَلْ بالمُعجِزَاتِ مؤيَّدَا

---

[2]–المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 . ص:51.

[3]– شوقي ضيف . تاريخ الأب العربي، عصر الدول والإمارات(الأندلس).ط1. دار المعارف، مصر، (د،ت).ص :371.

سَلامٌ عَلَيْهِ إنَّ نَفْسِي مشوّقَـةٌ إليْهِ فَهَلْ يدنِي اشتِيَاقِي أَبْعَدَا[1]

فابن الجنان المرسي اشتهر بمدح الرسول وقد عرف بشاعر المديح النبوي عند العديد من النقاد والمؤرخين.ورد له الكثير من قصائد المديح أطلق عليها أحد الباحثين "**شعر النبويات**" فالناظر في تلك القصائد يلمس حنين الشاعر وحبه للرسول الكريم، منها قصيدته الجيمية التي تحدث فيها عن ركب الحجيج الذاهب إلى مكة يقول:

فَمَا لِي لآمَالِي سِوَى حُبُّ أَحْمَدِ وَصَلت لَهُ مِنْ قُرْبِ قَلْبِي وَشَايِجَا

عليْهِ سَلامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ حَلِيفٌ شَجَا يكنَى مِنَ البُعْدِ نَاشِجَا

وَلَوْ أنْصفت أَجْفَانهُ حَقّ وَجْدِهِ سَفَكْنَ دِمَاءً لِلدُّمُوعِ موَازِجَـا[2]

والأمر لا يختلف مع **ابن جبير****الذي ظل على حنين مستمر إلى الرسول الكريم، فهو لا يهنأ له بال حتى يرى تلك المشاهد التي تبعث على الحنين والشوق يقول:

أقُولُ وَقَدْ دَعَا لِلْخَيْرِ دَاعٍ حَنَنْتُ لَـهُ حَنِينَ المُسْتَهَامِ

وَلاَ طَابَتْ حَيَاةٌ لِي إِذَا لَـمْ أَزُرْ فِي طِيْبَـةَ خَيْرَ الأَنَـامِ

وَأهدِيهِ السَّلاَمَ واقْتَضِيـهِ رِضَا يدْنِي إِلَى دَارِ السَّـلاَمِ[1]

وللشاعر أبيات أخرى أكثر شوقا وتلهفا إلى النبي المصطفى، وهو بصدد وصف وصوله مع الركب الذاهب إلى الديار المقدسة، ودنوه منها .إذ يقول:

بَشَايرَ صُبْحِ السرَى آذَنَتْ بِأَنَّ الحَبِيبَ تَدَانَى مَـزَارَا

جَرَى ذِكْرُ طِيْبَةَ مَا بَيْنَنَـا فَلاَ قَلْبَ فِي الرّكْبِ إلاَّ وَطَارَا

---

*هو أحد شعراء الحنين في القرن السابع الهجري.واسمه:أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن الجنان .شاعر المديح النبوي في الأندلس، ولد في مرسية، ونشأ في ربوعها وحفظ القرآن الكريم عن والده. وأخذ علومه الأخرى عن مشايخ عصره . **ينظر ترجمته في:** الإحاطةج2 . ص : 349.

[1] – ابن الجنان الأنصاري . الديوان. دراسة و تحقيق : منجد مصطفى بهجت. ص: 74.

[2] – المصدر نفسه . ص :350.

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن مروان الكناني الأندلسي صاحب الرحلة المشهورة. ولد سنة 540م.ما توفر لدينا من نتاجه في الحنين يدل على أنه قد سلك طريق الزهد والتصوف، نتيجة تشبعه بالعلوم الدينية التي أثرت في سلوكه وأخلاقه. لهذا جاء أكثر حنينه إلى الديار المقدسة، وساكنها عليه الصلاة والسلام،توفي سنة614هـ. **ينظر ترجمته في: المغرب في حلي المغرب ج2 لابن سعيد. ص:384

[1] – ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي. الرحلة.دار الكتاب اللبناني. ص:20

حَنِينًا إِلَى أَحْمَدِ المُصْطَفَى وَشَوْقًا يُهَيِّجُ الضُّلُوعَ اسْتِعَارَا[2]

أما **أبو زيد الفازازي*** فيصور حبه للرسول ﷺ، ويظهر ذلك من خلال حبه له فيرى بأن محبته تقود إلى رضا الله، وتأخذ الأبيات التالية منحى الشعور بالذنب. ويرى أن روحه متعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ الذي يأمل شفاعته، يقول:

لَكِنْ حبُّكَ شَافِعٌ وَمُشَفَّـعٌ يغشَى مُحِبكَ يُمْنَهَ وَأَمَانُـهُ

وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَحِيَّةٌ كَالرَّوْضِ صَافَحَ رُوحَهَ رِيْحَانُهُ

مِمَّنْ يَزُورِكَ خطُّهُ وكَلاَمُهُ إِذْ لَمْ يَزُرْكَ لِذَنْبِـهِ جُثْمَانُـهُ[3]

يلاحظ على أبيات الفازازي حنينه وحبه للرسول الكريم. راجيا منه شفاعته.أما **أحمد بن محمد****بن محمد المعروف **بابن جزي الكلبي** فنجده في قصيدة يمدح الرسول، يقول:

وَمُذْ وثَّقْتُ نَفْسِي بِحُبِّ مُحَمَّـدٍ هَصِرتُ بِغُصْنِ ذِي شَمَارِيخَ مِيَّالِ

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي لِخَيْلِي كري كرة بعْدَ إِجْفَـالِ

فَأَنْزِلِ دَارًا لِلرَّسُولِ نَزِيلُهَـا قَلِيلُ هُمُومٍ مَـا يبيتُ بِأَوْجَالِ

فَطُوبَي لِنْفسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ بِيَثْرِبَ أدنَى دَارَهَا نظرٌ عَالِـي

وَ مِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ القَبُولِ تَعَطَّرَتْ صبَا وَشَمَالَ فِي مَنَازِلَ قفَـالِ

جوارُ رَسُولِ اللَّهِ مجْدٌ مُؤَثَّـلٌ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِـي

أَبَانَ سَبِيلَ الرُّشْدِ إِذْ سُبُلُ الـهُدَى يقلنَ لأَهْلِ الحلْمِ ضَلاَ بتضْـلاَلِ

لأَحْمْدِ خَيْرِ العَالَمِينَ انْتَقَيْتُهَا وَرَيضت فَذَلَّت صَعْبَـةً أَيّ إِذْلاَلِ[1]

---

[2]– المصدر نفسه . ص :20.

* أحد شعراء الحنين في القرن السابع الهجري،واسمه أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الملقب بالفازازي. يرجع نسبه إلى قبيلة زناتة إحدى القبائل البربرية التي سكنت الجزائر له ديوان شعر في مديح المصطفى ذكر بعضه المقري التلمساني في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،وأشاد بنظمه ونثر هجين قال عنه بأنه:"الكاتب الكبير صاحب الأمداح في سيد الوجود محمد...له في مدح النبي، بدائع قد خضع لها البيان وسلم"والمتتبع لشعر الفازازي يجد أن أغلبه جاء في الزهد والمدائح النبوية، والمواعظ والشفاعات. **وردت ترجمته في:** نفح الطيب ج5 .المقري.ص:355 وما بعدها.

[3]–عبد الحميد عبد الله الهرامة. آثار أبي زيد الفازازي. ط1. دار قتيبة للطباعة والنشر،1991م . ص:37.

هو ابن بطوطة.قرأ على والده ولازمه كما قرأ على بعض معاصري أبيه. شارك في عدة فنون من أدب وخط ورواية وشعر وفقه. تولى القضاء في عدة مدن أندلسية.توفي عام785ه/1383م.من أهم أثاره:تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية . من بديع نظمه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس؛ ومطلعها : **أقول لعزمي أو لصالح أعمالي ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

فالناظر في تلك الأبيات يلمس حنين الشاعر وحبه للرسول الكريم.

والأمر لا يختلف مع **فرج بن لب الغرناطي***الذي ظل على حنين مستمر إلى الرسول ﷺ،فهو لا يهنأ له بال حتى يرى تلك المشاهد التي تبعث على الحنين والشوق.

إِذَا القَلْبُ ثَارَ أَثَارَ ادكَـارَا لِقَلْبِي فَأَذْكَـى عَلَيْـهِ أُوَّارَا
أَحِنُّ اشتِيَاقًا لِرِيحٍ سَرَتْ وَأُبْدِي هِيَامًا لبَرْقٍ أَنَـارَا
حَنِينًا وَشَوْقًا إِلَـى مَعْلَـمٍ حَوَى شَرَفًا خَالِدًا لاَ يُجَارَى
بِهِ أَسْكَنَ اللَّهُ أَسْمَى الـوَرَى نَبِيًّا كَرِيمًا وَصُحْبًا خِيَارَا
هُوَ المُصْطَفَى المُنْتَقَى المُجْتَبَى أَرَى مُعْجِزَاتٍ وَآيَا كِبارَا
يَحِقُّ عَلَيْنَا رُكُوبَ البِحَـارِ وُجُوبَ القِفَارِ إِلَيْهِ ابْتِـدَارَا[2]

فهو يحن إلى الرسول الكريم ، ويتمنى زيارة معلمه ولو تطلب ذلك ركوب البحار.

أما **محمد بن يحي الغساني البرجي****فيصور حبه للرسول، من خلال مدحه وتعظيمه، يقول:

مَعَاهِدٌ شرّفَتْ بِالمُصْطَفَى فَلَهَا مِنْ فَضْلِهِ شَرَفٌ تَعْلُو مَرَاتِبُـهُ
مُحَمَّدُ المُجْتبَى الهَادِي الشَّفِيعُ إِلَى رَبِّ العِبَادِ أَمِينُ الوَحْيِ عَاقِبُهُ
أَوْفَى الوَرَى دِمَمًا أَمْسَاهُم هِمَمًا أَعْلاَهُمْ كرمًا جَلَّتْ مَنَاقِبُـهُ
هُوَ المُكَمِّلُ فِي خَلْقٍ وفِـي خُلُقٍ زَكتْ حلاهُ كمَا طَابَتْ مَنَاسِبُهُ
جَاءَتْ تُبَشِّرُنَا الرُّسلُ الكِرَامُ بِـهِ كَالصُّبْحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُهُ
تطابَقَ الكَوْنُ فِي البُشْرَى بِمَوْلِدِهِ وطبقَ الأرض أعْلاَمًا تُجَاوِبُـهُ
لَهُ مَقَامُ الرضَى المَحْمُودِ سَاهَدَهُ فِي مَوْقِفِ الحشرِ إِذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ

---

[1]–المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5 . ص:518 .

*ولد عام701هـ–1301م .قرأ على أبي علي القيجاطي وتفقه عليه في كثير من العلوم ولازمه حتى وفاته. تولى إفتاء غرناطة والخطابة والتدريس في جامعها الأعظم توفي عام 782هـ–1380م، له تآليف كثيرة: شرح جمل الزجاجي. ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة. ديوان شعر في أغراض شتى منه عدة قصائد في مدح الرسول . **ينظر ترجمته في:** كحالة، معجم،ج8. ص :57.

[2]– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5 . ص:510.

أصله من مدينة برجة بشرقي الأندلس.ولد عام 710هـ–1310م.نشأ ودرس بغرناطة؛ثم انتقل إلى فاس وتولى الكتابة للسلطان أبي عنان أمير المسلمين في شمال إفريقيا، حيث تولى قضاء الجماعة، له عدة مدائح نبوية توفي عام 786هـ– 1384م . **ينظر ترجمته في: كحالة ، معجم ، ج12. ص : 100.

وَالرُّسلُ تَحْتَ لِوَاءِ الحَمْدِ يُقَدِّمُهَا مُحَمَّدُ أحْمَدُ السَّامِـي مَرَاتِبُـهُ
لَـهُ الشَّفَاعَاتُ مَقْبُـولاً وسَائِلِهَا إِذَا دهَى الأَمْرُ وَاشْتَدَّتْ مصاعِبُهُ
والحَوْضُ يَرْوِي الصَّدَى مِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِ لاَ يَشْتَكِي غلَّةُ الظَّمْآنِ شَارِبُـهُ
محامِدُ المُصْطَفَى لاَ يَنْتَهِي أَبَـدًا تِعْدَادُهَا هَلْ يعدُّ القَطْرُ حَاسبُـهُ
فضْلٌ تكفَّلَ بِالدَّارَيْنِ يوسعُهَا نعمَى ورَحمَى فَلاَ فَضْلَ يُنَاسِبُـهُ
حسبِي التوَسُّلُ مِنْهَا بِالذِي سمحَتْ بِـهِ القَوَافِـي وجلتهَا غرائِبُـهُ
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّـةِ مَا سَارَتْ إِلَيْهِ بِمُشْتَـاقٍ ركائِبُـهُ[1]

حيث يعبر الشاعر بعد وصف تشوقه للديار المقدسة عن حبه وتشوقه للرسول الكريم والصلاة عليه.

أما ابن **زمرك***فيورِد هذه الأبيات مادحا الرسول من خلال الأوصاف التي أطلقها:

خَيْرُ البريَّـةِ مُجْتَبَاهَا ذُخرُهَـا ظِلُّ الإلَـهِ الوَارِفُ الأفْيَـاءِ
تـاجُ الرِّسَالَـةِ خَتمُهَـا وَقِوَامُهَا وَعِمَادُهَا السَّامِي عَلَى النظَرَاءِ
لَوْلاَهُ للأَفْلاَكِ مَا لاَحَتْ بِهَـا شُهُبٌ تُنِيرُ دياجَي الظَّلْمَـاءِ
ذُو المُعْجِزَاتِ الغرُّ والآيُ الأَلِى أكبَرْنَ عَنْ عَدٍّ وَعَنْ إِحْصَاءِ
قدْ بَشَّرَ الرُّسلُ الكِرَامُ بِبَعْثِـهِ وَتَقَدَّمَ الكهَّانُ بِالأَنْبَـاءِ
أَمْسَى بِهَا الإِسْلاَمُ يشرِقُ نُورُهُ وَالكفرُ أَصْبَحَ فَاحِمُ الأَرْجَـاءِ
هُوَ آَيَةُ اللَّـهِ الَّتِـي أَنْوَارُهَا تَجْلُو ظَلاَمُ الشَّكِّ أَيُّ جَـلاَءِ
والشَّمْسُ لاَ تَخْفَى مزيةَ فضْلِهَا إلاَّ علَى ذِي المُقْلَةِ العَمْيَاءِ
يَا مُصْطَفَى وَالكونُ لَمْ تعلقْ بهِ مِنْ بعدِ أَيْدِي الخلْقِ والإِنْشَاءِ
يَا مظهرَ الحقِّ الجَلِيِّ ومطلعَ ال نُّورِ السنيِّ السَاطِعِ الأَضْوَاءِ
يَا ملجَأَ الخَلقِ المُشفعِ فيهَمْ يَا رحمَةَ الأَمْوَاتِ والأَحْيَاءِ

---

[1]– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6 . صص:68–73 .

*– هو محمد بن يوسف الشهير بابن زمرك،ولد عام 733ﻫ–1333م في ربض البيازين من غرناطة بالأندلس، وفيها نشأ، قرأ العربية على أبي عبد الله بن الفخار أولا ثم على القاضي محمد بن أحمد الحسني.ولعل أشهر مشايخه، بلا منازع، العالم لسان الدين بن الخطيب الذي ورث مركزه ومرتبته.برع ابن زمرك بالعربية والبيان والأدب والتفسير .كما سلك مسلك التصوف. قتل بداره عام793ﻫ–1390م.له نظم ونثر كثيرين بالإضافة إلى موشحات مشهورة فيها الكثير من المدائح النبوية . **ينظر ترجمته في:** كحالة. معجم ج7.ص :154 **وكذا** : نفح الطيب.المقري،ج5.ص48– 172 وج7.ص:145.

يَا آَسِي المَرْضَى ومنتجَعَ الرضَى   ومواسِي الأيتَامِ والضعفَاءِ[1]

فهو يمدح النبي الكريم من خلال ذكر فضله على الأمة الإسلامية وكذا ذكرا لمعجزاته التي لا تعد ولا تحصى.

5-2- معجزات النبيﷺ: لقد جعل الشعراء موضوع التحدث عن معجزات الرسول ﷺ قلائد في مدائحهم، فقد راحوا يسردون معجزاته في أساليب تغلب عليها التقريرية والحب الخاص،و الاعتزاز بصانع الملحمة الإسلامية التي لا مثيل لها في التاريخ القديم والحديث. فحديث شعراء الأندلس عن معجزات الرسول لا تكاد تخلو منه مدحة أو قصيدة، ولو كانت الإشارة عابرة[2] .

فتعداد معجزات النبي غالبا ما يأتي بعد مدح النبي ﷺ وتعدد صفاته. والمعجزة هي أحد مظاهر النبوة فما من نبي إلا وأيده الله تعالى بما يثبت نبوته وصحة رسالته، فاختص الله تعالى كل نبي بمعجزة خاصة أو معجزات،وقد ذكرت في القرآن الكريم، الذي يعد معجزة. إذ أن الله تحدى به العرب فعجزوا على أن يأتوا بمثله« فالقرآن الكريم بإعجازه هو إثبات لقدرة الله تعالى وإثبات عجز الخلق عن معارضته»[3].

قال الله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِين)[1].

ونجد من الشعراء الذين مدحوا الرسول الكريم من خلال ذكر مناقبه ومعجزاته **ابن سعيد المغربي***،حيث ذكر معجزات الله تعالى على نبيه المصطفى وهو يقول:

---

[1]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5 . صص:48-172 .

[2]- ينظر عبد الحميد بن صخرية.شعر الفقهاء في الأندلس من القرن 5إلى نهاية القرن 8هـ،أطروحة دكتوراه، باتنة، الجزائر،2005م .ص :47 .

[3]- عبد الحميد محمود .المعجزة والإعجاز في سورة النمل. (د،ط)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،(د،ت). ص:15.

[1]-سورة البقرة. الآية : 23 .

* هو علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهما.ولد ليلة الفطر سنة610هـ من أسرة أندلسية عريقة تنتمي في أصلها إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وكانت هذه الأسرة ذات شأن عظيم في قلعتها(يحصب) وفي الأندلس وكانت حياة الشاعر مليئة بالتنقل والترحال بين الأمصار.

ينظر ترجمته في:الإحاطة في أخبار غرناطة،ج4. لسان الدين بن الخطيب .ص:153 وما بعدها .

فمحاكَ بالغَارِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَدَلِّ المعجزَاتِ و خابَ مَنْ يَتَرَصَّدُ
وَوَقَاكَ مِنْ سُمِّ الذِّرَاعِ بِلُطْفِهِ كمَا يُعاظُ بكَ العِدَا والحُسَّدُ[2]

إن ما يلاحظ في هذه الأبيات ذكر قصة الغار،ونجاته من ذراع الشاه المسمومة حتى يغيظ بذلك الكفار وبعدها يشرع الشاعر في وصف معجزات الرسول المصطفى،حيث أورد حنين الأسطوانة إليه،وخروج الماء من بين أصابعه،ونطق الذئب، وليلة الإسراء، وغيرها من المعجزات التي أيد بها الله نبيه، يقول:

والجِذْعُ حَنَّ إِلَيْكَ والمَاءُ إِنْهَمَى مَا بيْنَ خمْسِكَ والصحابَةُ شُهَّدُ
والذئبَ أَنْطَقَ لِلَّذِي أَضْحَى بِهِ يهدِي إِلَى سَبيلِ النجَاحِ وَ يرشدُ
مَاذَا أقُولُ إِذَا وصفْتُ محمَّدًا نفدَ الكلاَمُ ووصفُهُ لاَ ينفدُ
فعليْكَ يَا خَيْرَ الخلاَئِقِ كلهَا مِنِّي التَّحِيَّةُ والسَّلاَمُ السرمَدُ[3]

هنا اثر حنين الشاعر ومدحه للرسول الذي يعجز اللسان عن التعبير عنها.

كما نلمس أثر الحنين إلى الرسول في أشعار **ابن الجنان** من خلال ذكره لمناقبه،بادئا قصيدته عليه :

صَلُّوا علَى أَسْمَى البريَّةِ خيما وأجل مَنْ حَازَ الفخارَ صَمِيمُ

ثم يذهب إلى ذكر معجزات الرسولﷺ ومناقبه، حيث ذكر معجزة استنطاق الجماد، قصة حنين جذع الأسطوانة إلى الرسول الكريم وليلة الإسراء وصعوده إلى السماء،

بالإضافة إلى كل هذا فإننا نلمس أثر الحنين والشوق إليه وهو يرجو شفاعتهﷺ:

كَمْ آيةٍ نطقتْ تصدقُ أحمدُ حتَّى الجمادُ أجابَهُ تَكْلِيمَا
والجذْعُ حَنَّ حَنينَ صب معرمٍ أضحَى للوعَاتِ الفرَاقِ غرِيمَا
جلتْ مناقِبَ خاتمُ الرسلِ الَّذِي بِالنورِ ختمَ والهدَى تَخْنيمَا
يَا أَيُّهَا الرَّاجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةُ صلُّوا عَلَيْهِ وسلِّمُوا تَسْلِيمَا[1]

---

[2]– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 . ص :434 .

[3]– المصدر نفسه . ص :.434

[1]– المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج9. صص :264–265 .

*هو أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن بكر القضاعي البلنسي الأندلسي المعروف بابن الأبار،ولد بمدينة بلنسية سنة595م، تولى والده تربيته وتعليمه، وكان والده من علماء بلنسية.وكان يصحبه معه إلى مجال العلماء وهو في سن مبكرة،أخذ الحديث والفقه والمسائل، والنحو والأدب، والتاريخ وغيرها...من مختلف

كما تناول الشعراء في مدحهم للرسول الكريم(مثال نعل النبي)،وعدوه من الآثار التي تذكرهم بالرسولﷺ يصفونه ويتبركون به .من هؤلاء الشعراء:ابن **الأبار البلنسي*** الذي أظهر شوقه إلى رؤية ذلك المثال ولثمه والتبرك به. في قوله:

لمثَالُ نَعْلِ المُصطَفَى أَصْفَى الهَوَى   وَأَرَى السلوَّ خطِيئَـةً لَنْ تغفـرَا

وَإِذَا أصافِحُهُ وأمسحُ لاثِمًا   أركانُـهُ فمعزِّزًا وموقِّـرَا

إنْ شاقَنِـي ذلكَ المِثَالُ فطالَمَا   شَاقَ المحبُّ الطيفُ يطرقُ فِي الكرَا[2]

فهكذا عبر الشاعر الأندلسي عن حنينه إلى الرسولﷺ من خلال مدحه والثناء عليه، والإشادة بمناقبه وآثاره ومعجزاته، وقد ازدهر هذا النوع من الشعر الديني نتيجة للظروف والأحداث التي حلت بالأندلس في تلك الفترة.

وهذا **ابن حزم الأندلسي*** يعرض في قصيدة طويلة يزيد عدد أبياتها عن ثمانين بيتا،تحدث في بدايتها عن نعم الله وكونه، وصحة نبوتهﷺ. يبدأها بقوله(المتقارب):

لَكَ الحمْدُ يَا ربُّ والشُّكْرُ تَمَّ   لَكَ الحَمْدُ مَا باحَ بالشُّكْرِ فَمِ

لكَ الحمدُ فِي كلِّ مَا حالـةٌ   فقدْ خَصَّنِي مِنْكَ مِنْ فَضْلٍ وَعَمِ[1]

ثم أخذ يعد المعجزات الباهرات قائلا:

وأرسلَ مرسلَـهُ بالهُـدَى   علَى مَا قَضَاهُ ومَا قدْ حَتَمَ

علماء عصره، تغرب عن مدينته ووطنه بعد استيلاء العدو عليها.أول ما يقابلنا من نتاجه الشعري في الحنين قصيدته وهي السينية المشهورة التي استنجد بها الأمير الحفصي أبي زكرياء والتي استهلها بقوله: **أدرك بخيلك خيل الله أندلسا *** إن السبيل إلى منجاتها درسا**

قتل الشاعر قعصا بالرماح وسط محرم سنة658هـ. ترك نتاجا أدبيا يصل إلى 50 كتابا، لم يصل إلينا منها – مع الأسف– سوى 07 كتب، إلى جانب ديوان شعره .**ينظر ترجمته في**:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج3.المقري .ص :193وما بعدها **وكذا ترجمته في** :المغرب في حلى المغرب ،ج2 . ابن سعيد المغربي. ص :309. تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف، مصر، ط3، 1955م

[2]–الأبيات نقلا عن كتاب: ابن الأبار حياته وكتبه. لعبد العزيز عبد المجيد. ص:365 . ولم يذكر المؤلف مصدرها، كما أنها لم ترد بديوان الشاعر.

*هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.ولد بقرطبة في 07نوفمبر994م.30رمضان 384هـ،نشا في تنعم ورفاهية ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا سيالا،وكتبا نفيسة كثيرة.وكان قد مهر في الأدب والشعر والمنطق.من أهم مؤلفاته:الفصل في الملل والنحل– طوق الحمامة–مداواة النفوس. ينظر: الموسوعة الحرة.

[1]–أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري. الديوان، جمع وتحقيق ودراسة: صبحي زياد عبد الكريم. ط1. دار الصحابة للتراث، طنطا، 1990م. ص: 37.

محمَّدُ المصطَفَى بالكتَابِ بِهِ أَنْبِيَاءُ الهُدَى وقَدْ خَتَمَ
فشقَّ لنَا القمَرُ المُسْتَنِيرُ بحضرَةِ راضِينَ أو مَنْ زعمَ
و أبْدَى اليَنَابِيعُ عَنْ كفِّهِ فَأَرْوَى بِهِ الجَيْشُ و الجيشُ حمَ
و أعجَزَ فِي نظْمِ قُرْآنِهِ أولِي حضرٍ وبداةِ الخيَمِ
ودانَ المُلُوكَ لآيَاتِهِ خلافُ التكاذِيبِ مِمَّنْ زعمَ[2]

فهو يشير إلى معجزة انشقاق البدر المنير ليلة مولده،وتفجر الماء من بين أنامله وارتواء الجيش ومن كان من الصحابة ظمآن.وختم ذلك بذكر معجزة القرآن العظيم الكبرى الذي أخرس ببيانه البداة والحضر.وذل له الجبابرة من ذوي السلطاني الفاني، بأسلوب خال من التعقيد ومن الغرابة والإبهام اللذين لا يوصلان إلى المراد .

<u>5-3-التشوق لزيارة قبره المصطفى</u>:لقد طرق الشاعر الأندلسي هذا الجانب،وجاء حنينه إلى الرسول ﷺ صادقا ومعبرا من خلال مدحه والثناء عليه والتشوق إلى زيارة قبره الشريف. فنجد-مثلا- في أشعار **أبي زيد الفازازي** الكثير من الأشعار التي تعبر عن حنينه إلى الرسول ﷺ وتظهر شعوره بالحزن من خلال تخلفه عن زيارة قبره الشريف.

يَا سِيِّدَ الرُّسلِ المكينِ مكانُهُ ومقدَّمٌ و هُوَ الأَخِيرُ زمانُهُ
نَادَاكَ عبدٌ أخرَتْهُ ذُنُوبُهُ والشَّوْقُ تلفحُ قلْبَهُ نيرَانُهُ[3]

ويمثل لحد الرسول ﷺ أحد المعالم الهامة عند الشاعر الأندلسي، يتبرك به ويتمنى زيارته،لأنه يحوي أشرف خلق الله.وهذا يدل على أن قبر النبي دليل على حنينهم وشوقهم إليه، فنجد من الشعراء الذين حنوا واشتاقوا إلى قبر الرسول. **ابن الأبار**.يقول:

يَا زائرِينَ القبْرَ قبْرَ محمَّدٍ بُشْرَى لَم بالسَّبْقِ فِي الزُوَّارِ
فُوزُوا بِسَبْقِكُمْ وَفوهُوا بِالَّذِي حملتُمْ شَوْقًا إِلَى المُخْتَارِ[1]

---

[2]- المصدر نفسه . ص : 40

[3]- عبد الحميد عبد الله الهرامة . آثار أبي زيد الفازازي . ص:37.

[1]- ابن الأبار، أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن بكر القضاعي البلنسي الأندلسي. الديوان ، تحقيق: عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1985م . ص : 58 .

* هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني، الملقب بـ (هني الدين)

القرطاجني ونسبة القرطاجني هي التي عرف بها، وغلبت على لقبه.ولد في مرسية، حفظ فيها القرآن الكريم وأخذ عن شيوخها،واكتملت عناصر ثقافته فيها، فأصبح فقيها مالكي المذهب كوالده نحويا بصريا كعلماء

فهو يرسل أشواقه وحنينه مع ركب الحجيج الذاهب إلى بيت الله الحرام، ويهنئهم على تحقيق الزيارة .

ويتحدث **حازم القرطاجني*** عن زيارة قبر الرسول الكريم.

قِفْ بَيْنَ قَبْرِ محمَّدٍ و المنبَرِ وَقُلِ السلاَمَ علَى السِّراجِ الأنْوَرِ
الثِمْ ثَرَى قَبْرِ النَّبِيِّ محمَّدِ وَ بذَلِكَ العفْرُ الأسرةُ عَفَّرِ
واسْتَنْشِقْ طِيبَ نسيمِهِ وانعمْ بِهِ واجعَلْهُ خيرَ ذخيرَةٍ لِلْمَحْشَرِ[2]

فهو يظهر تشوقه وحنينه لزيارة هذا القبر كأنه يتخيل نفسه بتلك الديار.

ويورد **أبو العباس بن العريف**** أبياتا يقول فيها:

شدُّوا الرِّحَالَ وَقَدْ نَالُوا المُنَى بِمَنًى وكلهُمْ بِأَلِيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَاحَا
رَاحَتْ ركائِبُهُمْ تندَى رَوَائِحُهَا طيبًا بِمَا طَابَ ذاكَ الوَفْدُ أشبَاحَا
نَسِيمُ قَبْرِ المصطَفَى لَهُمْ رَاجَ إِذَا سكرُوا مِنْ أَجْلِهِ فَاحَ
يَا راجِلِينَ إِلَى المُختَارِ منْ مضَرِ زُرْتُمْ جُسومَا وَزُرْنَا نَحْنُ أروَاحَا
إنَّا قُمنَا علَى شَوْقٍ وعَنْ قَدَرٍ ومنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَ[1]

هي صورة جميلة تغللها نفثة صوفية، لذات حزينة وقفت ترقب عن كثب ركب الحجاج ينطلق مع الفجر الندي إلى البقاع المقدسة،إلى حيث يبوح الكل بما أجنته الضمائر من أليم الشوق إلى قبر المصطفى ﷺ .

الأندلس، حافظا للحديث، راوية للأخبار، شاعرا .جاءت أشعاره في الحنين من خلال قصائد المدح وبرز حنينه بشكل واضح في شعره إلى الطبيعة الأندلسية ، وكذا إلى الرسول الكريم .

[2]– حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني.الديوان . تحقيق، عثمان الكعاك ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ،1989م. ص :58

** أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي. ولد بالمرية سنة 481هـ.اكب على قراءة كتب التصوف.يقول ابن بشكوال: كان له مشاركة في أشياء من العلوم وعناية بالروايات وجمع القراءات واهتمام بطرقها وتحملها. توفي سنة 536هـ . **ينظر:ترجمته في** : نفح الطيب، ج3. ص :229 ، وكذا ج4 . ص :331 . للمقري .

[1]– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 . ص :229 .

* جمع عرصة وهي ساحة الدار ** يقصد بها شدة الشوق

وحال الشعراء الأندلسيين في الشوق والحنين كحال العشاق ترى أعينهم تفيض من الدمع حنينا وشوقا إلى اللقاء، فإذا كان اللقاء رأيت نفوسهم تذهب حسرات ودموعهم تنهل غزارا، خوفا من الفراق، يقول أحمد بن الصقر الخزرجي في وداع القبر الكريم:

حسبُ المُحِبِّ منَ المُحِبِّ سَلاَمُ يقضِي بِهِ يَوْمَ الوَدَاعِ ذمَـامُ
رُحْنَا وروْعُ البِينِ يخرسُ نطقَنَـا وَمِنَ الدُّمُوعِ إِشَارَةٌ وَ كَـلاَمُ
يَا أَرْضَ يثْرِبَ لاَ عداكَ غمـامُ أَنْتَ المُنَى لَوْ تسعفُ الأيـَّامُ
للأَرْضِ فِي تلكَ العراصِ* عرامةٌ مضمُونُـهَا كلفَ بِهَا وَغَرَامُ**
قبرٌ تَضَمَّنَ أعظمًا تعظِيمـًا عَنْهُ يَصحُ الدِّينُ و الإِسْلاَمُ
وردتُ بهَا نَفْسِي المشوقُ مناهِلاً كلاَ المناهِلُ بعدهُنَّ حَرَامُ[2]

ويصرح **ابن الصباغ***** بهذه الأشواق المبهمة ويعلن حبه للرسول وحنينه إلى البيت المقدس،ويتحسر إذا هو لم يحقق أمل الزيارة :

لَقَدْ طَالَ شوقِي للحَبِيبِ و قَبْرِهِ فيَا ليتَ شِعْرِي هَلْ يُتَاحُ لِي اللِّقَا
تَميلُ بِي الأشْوَاقُ حُبًّا لِذِكْـرِهِ إِذَا مَا سرَى برْقُ العُذَيْبِ وَ أَبْرَقَا
ويطرِبُنِي لحنُ السَّمَاعِ فَأَنْثَنِـي كَأَنِّي غصنٌ بالصبابَـةِ أَوْرَقَـا
فَوَا حَسْرتَا إِنْ لَمْ أَفُزْ بِوِصَالِهِمْ وَ وَأسفًا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِـي مُلْتَقَى[3]

فحنين الشاعر إلى الصبا والشباب في تلك الأماكن، هو حنين إلى رمز النبوة،وهو بالتالي حنينه إلى العيش في ذلك الزمن الماضي، زمن النبوة.

أما **ابن جبير** فيصور لحظات وصوله إلى قبر الرسول الكريم،وما يختلجه من شوق وحنين، وقد غلبه الدمع من فرط الشوق والحنين.يقول:

وَلم حلَلْنَا فِنـاءَ الرسُولِ نزلْنَا بِأَكْرَمِ مَجْدٍ جوَارَا
وحينَ دَنَوْنَا لفرْضِ السلاَمِ قصرْنَا الطرفَ إِلاَّ انْكِسَارَا

---

[2]– عبد الوهاب بن منصور .أعلام المغرب العربي، ج3.ط1.المكتبة الملكية، الرباط،1979م.ص:322.

***هو محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي،أبي عبد الله، شاعر صوفي أندلسي،عاش في الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين في المغرب على زمن الخليفة المرتضى،ولا تذكر المصادر الكثير عنه،لم يحفظ له سوى نسخة خطية واحدة من ديوانه،تدور حول المدائح النبوية والزهد.ينظر ترجمته في:الموسوعة الحرة .

[3]–ابن الصباغ، محمد بن أحمد. الديوان، تحقيق : نور الهدى الكتاني، رسالة دبلوم السلك الثالث، مرقونة بخزانة كلية الآداب ، الرباط . ص :05 .

ولاَ يظهرُ الوجدَ إلاَّ اكتِتَامًا ولا نلفظُ القَوْلَ إلاَّ سرَارَا
سوَى أَنَّنَا لِمَ نطقَ أَعْيُنًا بأدمُعِهَا غَلَبَتْنَا انْفِجَارَا
وَقَفْنَا بروضةِ دارِ السَّلاَمِ نُعيدُ السلاَمَ عليهَا مرَارَا
وَلَوْلاَ مهابتُهُ فِي النُّفُوسِ لَثِمْنَا الثَّرَى والتزَمْنَا الجدَارَا
قَضَيْنَا بزورَتِـهِ حجَّنَا وَبِالعمرَتَيْنِ ختمنَا اعتمَارَا[1]

فهو يصور مسهد السكينة والوقار، مهابة وإجلالا لأشرف الخلق أجمعين، وذلك المشهد الذي يتمناه كل مسلم .

أما ابن **الجنان الأنصاري** فيقول:

فَوَا حَرْبًا لاَحَ الصَّبَاحُ لمبصرٌ وقلْبِي لَمْ يبصرْ سِوَى اللَّيْلُ إِذْ سَجَا
لعَلَّ شَفِيعِي أنْ يكونَ معًا جلاَ لداءِ ذنُوبِ بِالشفَاءِ مُعَالِجَا
فينشقنِي بَيْتُ الإِلَـهِ نَوافِحَا ويعبقُ لِي قبرُ النَّبِيِّ نَوَافحَا
فمَا لِي لآمَالِي سِوَى حُبُّ أَحمدِ وَصَلْتُ لَهُ مِنْ قُرْبِ قَلْبِي وشَايِجَا[2]

فهو يرى أن في زيارته له تكفيرا لذنوبه، متمنيا زيارة قبره الكريم والوصول إليه.

5-4-الحنين والشوق إلى المرابع النبوية:

ينضوي هذا اللون من الشعر ضمن المدائح النبوية،لأن الشعراء غالبا ما يربطون بين الرسول الكريم وبين الحديث عن الأماكن المقدسة باعتبار أن الحديث عن مكة أو المدينة إنما هو حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام،وهو من أكثر الألوان علوقا بقلوب الأندلسيين.

يقول **ابن عربي*** يتلهف على الكعبة ويزداد شوقا إليها وهو يطوف حولها:

إنِّي إِلَى الكَعْبَةِ الغراءِ مُشْتَاقٌ فِيهَا لعَاشِقِهَا فِي السرِّ أَعْلاَقُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَسْرَارِي وَمَشْهَدُهَا فِيهَا تُحَرِّكُنِي لِلْبَيْنِ أَشْوَاقُ
فَالرُّوحُ تَائِهَةٌ وَالنَّاسُ وَالِهَـةٌ وَالقَلْبُ مُحْتَرِقٌ وَالدَّمْعُ مِهْرَاقُ[1]

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب.الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2. ص :235 .

[2]- ابن الجنان الأنصاري . الديوان . ص :77.

*هو الشاعر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الحاتمي الطائي، الملقب بمحيي الدين ، ويعرف بابن عربي.ولد بمرسية في 17رمضان سنة560هـ.انتقل مع والده إلى مدينة اشبلية، فحظ القرآن الكريم من عدة مشايخ، منهم أبو بكر بن خلف، أبو القاسم السراط القرطبي وغيرهم كثير. كان كثير التنقل و الترحال، وأن

ويقترب **ابن عربي** من الكعبة عند الطواف ويلصق كبده بها فلا يكون شيء أدنى إليها منه.مع هذا الدنو والالتصاق يحس في نفسه شوقا لاهيا، لأنه وهو دان بجسمه وعنصر ترابه لم تزل روحه نائية بعيدة لم تحظ بما كانت تأمله، ويشتد حنينها إلى أن تدرك من معاني الروحانية فوق ما أدركه ذلك القرب البدني وروحه لم تعلق إلى الباقيات، أما جسده فهو يعلق بالفانيات. كأنه الشاعر الغزل الذي يقول:

أُعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بعدُ مشوَّقَـةٌ   إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ العِنَـاقِ تَدَانَـى[2]

وشوق ابن عربي يتجدد كلما تذكر الأسرار الروحانية التي جاءت ببيانها الآثار من مرور ألوف عديدة من الملائكة المسبحين المهللين بالبيت المعمور المغشى بالنور والمقابل لهذا البيت كل يوم.

ومن الشعراء الذين أضناهم الشوق إلى بيت الله الحرام وتعذر عليهم الوصول إليه، **يحي بن بقي أبو بكر** المعروف بـ **السلاوي**، الذي يقول:

يَا حدَاةَ العِيسِ مهلاً فعَسَـى   يبلُـغُ الصَّبُّ لديْكُـمْ أَمَـلاَ
لا أخَافُ الدهْـرَ إلاَّ حَادِيًا   ظلتُ أخشَـاهُ وَ أَخْشَـى الجَمَلاَ
أَوْدَعُونِـي حرقًا إِذْ ودَّعُـوا   غَادَرُوا القَلْبَ بهَـا مُشْتَعِلاَ
آهِ مِنْ جِسْمٍ غدَا مُستَوْطِنًا   وَ فُؤَادٍ قَدْ غَـدَا مُرْتَحِـلاَ
شعبَةٌ شرْقًا وَ أُخْرَى مغربًـا   من لهذَيْـنِ بأنْ يَشْتَمِـلاَ
يَا رِجَـالاً بَيْـنَ أَعْلاَمِ مِنًـى   الْثِمُوا الأسْتَارَ و اسْعُوا زمـلاَ
وَقِفُوا فِـي عَرَفَـاتٍ وقْفَـةً   تَمْحُوا عَن ذِي زلةٍ مَا عمِـلاَ
وَإِذَا زُرْتُـمْ وَلاَحَتْ يَثْـرِبُ   فاكحلُوا بِالنُّورِ منهَـا المقَـلاَ[1]

فمناسبة قول هذه القصيدة هي توديع موكب الحجيج، الذي خانه الحظ في أن يكون واحدا من أفراده.

تغربه كان تغربا روحيا، تمثل في اللجوء إلى الله تعالى باحثا عن الحقائق الإلهية. شعره يعبر فيه عن حنينه وشوقه إلى الذات الإلهية وكذا إلى الأماكن المقدسة .

[1]– محيي الدين بن عربي، محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي. ترجمان الأشواق.دار صادر، بيروت، لبنان. ط1. ص:171.

[2]– المصدر نفسه . ص : 172.

[1]– التجيبي المرسي ، أبو بحر صفوان ابن إدريس . زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق ، عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي، بيروت ، 1980م . صص : 158– 159.

ومثله الأديب الرحالة **محمد ابن جبير البلنسي** الذي اشتد به الشوق إلى البقاع المقدسة يوم عرفات فخاطب الحجاج مهنئا،ولكنه لم يستطع مفارقتهم بقلبه فتتبعهم بروحه وخياله وهم يؤدون مناسكهم حيث يقول:

يَا وُفُودَ اللَّـهِ فُزْتُمْ بِالمُنَـى فهَنِيئًـا لَكُـمْ أَهْـلَ مِنَـى

قَدْ عَرَفْنـا عَرَفَـاتَ مَعَكُـمْ فلهَذَا بـرحَ الشَّـوْقُ بِنَـا

نَحْنُ بالمغربِ نجرِي ذكرَكُمْ فعروبُ الدَّمْـعِ تجْرِي هَتُنَـا

أَنْتُمُ الأحبـابُ نَشْكُـو بعدَكُمْ هلْ شكوْتُـمْ بعدَنَـا مِنْ بعدِنَـا؟

علَّنَـا نلْقَـى خيَـالاً مِنْكُـمْ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ وَهنَـا عَلَّنَـا

لَوْ حنَا الدهْرُ عليْنَـا لَقَضَـى باجتمَـاعٍ بِكُـمْ بِالمنحَنَـى [2]

وأشد كذلك **ابن جبير** أول رحلته:

طَالَ شَوْقِـي إِلَى بِقَـاعٍ ثَـلاَثٍ لاَ تُشَـدُّ الرِّحَـالَ إِلاَّ إِلَيْـهَا

أَنَّ للنَفْسِ فِي سَمَـاءِ الأَمَانِـي طَائِـرًا لاَ يَحُـومُ إِلاَّ عَلَيْـهَا

قصَّ منْهُ الجَنَاحُ فَهُوَ مَهِيضُ كلّ يَوْمٍ يَرْجُو الوُقُوعَ لديْهَـا[3]

حيث يعتبر **ابن جبير** أكثر تعلقا وحنينا إلى الديار المقدسة. حيث حن إلى زيارة المساجد الثلاث وهي مسجد الرسول ﷺ،والمسجد الحرام،والمسجد الأقصى، مشبها نفسه بالطائر. والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما نجده في قصيدة **ابن الجنان** الجيمية التي بدأها بتذكره لركب الحجيج الذاهب إلى مكة. معبرا عن حنينه إلى تلك الرحاب في قوله:

تذاكَرْنَ ذِكَرَى أو تَهِيجُ اللَّوَاعِجَا فعَالِجْنَ أَشْجَانًا يُكَاثِرْنَ عَالجَـا

ركابًا سَرَتْ بينَ العُذَيْبِ وَبَـارِق نَوايِيجٌ فِي تِلْكَ الشِّعَابِ نَوَاعِجَا[1]

ثم يمضي قي وصف ركب الحجيج، وقطعه للمسافات الشاسعة لا يأبه بالمشاق والأهوال.ثم يظهر حنينه إلى البيت الحرام حيث يصف توجه ذلك الركب إلى مكة وقد حطت ركابهم وأخذوا في تأدية مناسكهم وما فرض عليهم، يقول :

فَلِلَّـهِ رَكْبٌ يَمَّمُوا نَحْـوَ مَكَّـةَ لقَدْ كرمُوا قصْدًا وحَلُّوا مَنَاسِجَـا

فَبُشْرَى لَهُمْ كمْ خوَّلُوا مِنْ كَرَامَةٍ فكانَتْ لِمَا قَدْ قدَّمُوهُ نَتَائِجـا[2]

---

[2]– ابن جبير. الرحلة . ص :28 .

[3]– المصدر نفسه . ص : 29 .

[1]– ابن الجنان الأنصاري . الديوان . ص :74 .

ويصف وصول الركب إلى وادي(الأراك)، وهو أحد الأودية القريبة من مكة المكرمة حيث نزل وحط رواحله طلبا للراحة، ثم يصور المسير واصفا حنين ذلك الركب إلى تلك البقاع، ولما يعتريهم من رغبة وشوق عارمين الوصول إلى تلك الديار، يقول:

تيمَّمْنَ منْ وادِي الأرَاكِ مَنَـازِلاَ فَيَطْوِينَ آلاً في الأَرَاكِ سَجَا سَجَا

لهُنَّ منَ الأشْوَاقِ حَادَ فَإِنْ ونتْ حدَاةً يرجِعْنَ الحَنِينَ أَهَازِجَا*[3]

ويتذكر الأماكن الحجازية والمقدسة،ويظهر تلهفه وحنينه إليها من خلال تكرار لتلك المواضع. حيث يصف وصول الركب إلى(منى)و(جبل الصفا)و(مكة المكرمة).وقد قضوا مناسكهم راجين من الله القبول، يقول:

ألاَ يَأْبَى تِلْكَ الركَابِ إِذَا سَرَتْ رُسُومًا علَى تِلْكَ الرُّسُومِ عَوَالِجَا

لهُمْ فِي مِنًى أَسْنَى المُنَى وَلَدَى الصّفَا يرجُونَ مِنْ أَهْلِ الصّفَا المَنَاهِجَا

فلِلَّهِ رَكبٌ يَمَّمُوا نَحْوَ مَكَّـةَ لَقَدْ كرمُوا قصدًا وَجلُوا منَاسِجَا[4]

ويعتبر **ابن الجنان** أكثر شعراء المديح النبوي، فقصائده تعبر عن الحنين إلى الديار المقدسة، يقول:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي للضَّرُورَةِ هَلْ أَرَى إِلَى اللَّهِ وَالبيْتِ المحجَّبِ خَارِجَا

لَهُ اللَّهُ منْ ذِي كُربَةٍ لَيْسَ يُرْتَجَى لمرتَحِلٍ يوْمًا سِوَى اللَّهُ فَارِجَا[5]

حيث يظهر الشاعر مدى أسفه من تخلفه عن ذلك الركب، فقد علل تعذر ذهابه بكثرة ذنوبه وخطاياه فامتزج حنينه إلى البيت الحرام بذلك الحزن الذي خيم عليه، حيث أظلمت الدنيا في وجهه، وصار لا يبصر سوى الظلام، يقول:

وّقّدْ أسهمَتْ شَتَّى المسَالِكِ دُونَـهُ فَلاَ نـهْجَ يلْقَى فِيـهِ اللَّـهُ نَاهِجَا

يخُوضُ بحارُ الذَّنْبِ لَيْسَ يَهَابُهَا ويصْعقُ ذُعْرًا أَنْ يَرَى البَحْرَ هَائِجَا

فَوَا حرْبًا قَدْ لاَحَ الصباحُ لمبصِرَ وَقلْبِي لَمْ يبصرْ سِوَى اللَّيْلَ إِذْ سَجَا[1]

---

[2]- المصدر نفسه . ص : 76 .

* الهزج : ضرب من الأغاني .

[3]- ابن الجنان الأنصاري . الديوان . ص :74 .

[4]- المصدر نفسه . ص : 74 .

[5]- المصدر نفسه . ص : 74 .

[1]- ابن الجنان الأنصاري . الديوان . ص : 74 .

فتجربة الشاعر الأندلسي لتلك الأماكن يؤكد لنا ما يجيش في خاطره من ألم وحنين بسبب بعد المسافة بين الأندلس والأماكن المقدسة .

وقد يأتي الشوق إلى المدينة من خلال الحنين إلى ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام،على نحو ما نجد في قول **حازم القرطاجني** من قصيدته الرائية التي عبر فيها عن حنينه إلى مدينة الرسولﷺ، حيث قال:

قِفْ بيْنَ قَبْرِ محَمَّدِ و المنْبَـرِ وَقُلِ السَّلاَمَ علَى السرَاجِ الأَنْوَرِ
واسْتَنْشِقْ طيبَ نَسِيمَ طِيْبَةَ فِي الصّبَا وَاسْأَلْ نَسِيمَ الرِّيحِ عنْهَا تخْبَرِ
وإذَا نَظَرْتَ إلَى سنـَا إشْرَاقِهَـا فأهل شكرًا لِلإلَـهِ وَكَبِّـرِ[2]

فابن حازم يتشوق ويحن إلى رؤية المدينة، وليس الحنين إلى المدينة فقط ، بل الحنين كذلك إلى الرسول الكريم وقبره .
وها هو ابن الأبار يظهر شوقه وحنينه إلى مدينة الرسولﷺ ويتمنى أن يحظى بزيارة مدينته، يقول:

لَوْ عَن لِي عَوْنٌ مِنَ المِقْـدَارِ لهجَرْتُ لِلـدَّارِ الكَرِيمَةِ دَارِي
وحَلَلْتُ أطْيَبَ طِينـةَ مِنْ طِيْبَـةَ جَارًا لِمَنْ أَوْصَـى بِحِفْظِ الجَـارِ[3]

فابن الأبار أحد الشعراء الذين انتابهم الشعور بالغربة، وتمنى الوصول إلى تلك الديار، حيث عبر عن تجربة شعورية أحس بها أغلب الأندلسيين، والشعراء منهم بخاصة. يقول أحد الباحثين:« وشعر الأبار في المديح والشوق إلى زيارة الرسولﷺ لا يقارن بما كتب في الموضوع من مدائح و تشوقات . ولكنه مع ذلك شعر منبعث عن إخلاص وحب صميم، شعر كتب في وقت شعر **ابن الأبار** بالحاجة إلى من يعتمد عليه، ومن يلجأ ليحميه، ويضمن له السلامة»[1] .

---

[2]– حازم القرطاجني . الديوان .ص: 58.

[3]– ابن الأبار. الديوان.ص : 365.

[1]– عبد العزيز عبد المجيد . ابن الأبار حياته وكتبه . الطبعة الحسنية ، تطوان، المغرب ، 1954م. صص : 367-368 .

وتحتل طيبة مدينة الرسول ﷺ مكانة كبيرة في قلوب الشعراء الأندلسيين، فقد ورد ذكرها والشوق إليها في كثير من قصائدهم. مثلما نرى عند ابن جبير الذي اشتد حنينه إلى الديار المقدسة، ومدينة الرسول ﷺ فهو يرى أن السعادة قد ضمنت لكل من نال الوصول إليها، وحج بيت الله، وقضى مناسكه، وحط عن النفس ذنوبها وأوزارها،يقول:

هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ الهُدَى   وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا

وَإِنَّ السَّعَادَةَ مَضْمُونَــةٌ   لِمَنْ حَجَّ طِيبَـةَ أَوْزَارَهَا[2]

ويمضي **ابن جبير** في وصف حنين، فيتذكر مع أصحابه مدينة الرسول ﷺ، فتختلج قلوبهم، وتزداد شوقا وحنينا إلى مدينة الرسول الكريم، وقد نسوا ما عنوه من تعب ومشقة. يقول :

وَكُنَّا شَكَوْنَا عَنَاءَ السّرَى   فَعُدْنَا نُبَارِي سراعَ المهَارَا

جَرَى ذِكْرَى طِيبَةَ مَا بَيْنَنَا   فَلاَ قَلْبَ فِي الرّكْبِ إِلاَّ وَطَارَا

حَنِينًا إِلَى أَحْمَدِ المُصْطَفَى   وَشَوْقًا يهِيجُ الضُّلَوعَ اسْتِعَارَا[3]

ويدنو الركب من مشارف المدينة، وقد لاح له جبل أحد مشرقا، وبعد وصولهم إلى مسجد الرسول ﷺ أخذت السكينة تملأ قلوب القوم، في مشهد عجيب، وبدؤوا من الاقتراب من القبر الشريف، وأخذت السكينة والحنين يملآن قلوب الزائرين، يقول:

وَلاَحَ لَنَا أَحَدٌ مشْرِقًا   بِنُورٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ اسْتِعَارَا

وَلَمَّا حَلَلْنَا فِنَاءَ الرَّسُولِ   نَزَلْنَا بِأَكْـرَمِ مَجْـدٍ جوَارَا

وَحِينَ دَنَـوْنَا لِفَرْضِ السَّلاَمِ   قصَّرْنَا الخُطَا ولَزِمْنَا الوَقَارَا

وَلاَ نُظْهِرُ الوَجْدَ إِلاَّ اكْتِتَامَا   وَلاَ نَلْفظُ القَوْلَ إِلاَّ سرَارَا[4]

حيث يتجلى أثر الحنين والشوق إلى الرسول الكريم ومدينته التي ألهبت مشاعره .

كما نجده شديد الحرص على قضاء مناسك الحج، وزيارة مدينة الرسول ﷺ. وتبليغه السلام إليه معبرا عن حنينه وشوقه إلى الديار وكذا طيبة . يقول :

حَرَامٌ أنْ يلذَّ لِي اغْتِمَاضٌ   وَلَمْ أرحَلْ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ

ولاَ طَافَتْ بِي الآمَالُ إِنْ لَـمْ   أَطُفْ مَا بَيْنَ زَمْزَمٍ و المقَـامِ

---

[2]– لسان الدين ابن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3 . ص : 235 .

[3]– المصدر نفسه . ص :235 .

[4]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 . ص:108 .

ولاَ طَابَتْ حَيَاةٌ لِي إِذَا لَمْ أَزُرْ فِي طِيْبَةَ خَيْرَ الأَنَامِ
وَأَهْدِيهِ السَّلاَمَ وَأَقْتَضِيهِ رِضَا يدنِي إِلَى دَارِ السَّلاَمِ[1]

أما **مالك بن المرحل** فيخاطب أهل(طيبة) الذين جاوروا قبر الرسولﷺ، فلهم نيل الفضل الكبير من الله تعالى، حيث نلمس أثر حنين الشاعر إلى مدينة الرسولﷺ وتلهفه إلى زيارة تلك الأماكن ، يقول :

يَا أَهْلَ طِيْبَةَ طَابَ العيشُ عندكُمْ جَاوَرْتُمْ خَيْرَ مَبْعُوثٍ مِنَ الأُمَمِ
عَايَنْتُمْ جنَّةَ الفِردَوْسِ عنْ كَثَبٍ فِي مهبَطِ الوَحْيِ والآيَاتِ والحكمِ[2]

ونعود إلى **حازم القرطاجني** في قصيدته الحجازية التي ضمنها أعجاز أبياتها معلقة **امرئ القيس** ، فيقول :

لِعَيْنَيكَ قُلْ إنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
وَ فِي طِيبَةَ فانْزلْ ولاَ تغشَ منزِلاً بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرهَا لمَا نسجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[3]

فشوق وحنين حازم القرطاجني إلى المدينة من خلال الحنين إلى من يسكنها، ونقصد بذلك الرسول الكريم .

وقال ابن عربي يذكر المدينة المنورة والمسجد النبوي بها ويذكر فضل رسول الله وذكره الذي رفعه الله في قوله سبحانه وتعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)[4] .

يَا حَبَّذَا المسْجِدُ مِنْ مَسْجِدٍ وَحَبَّذَا الرَّوْضَةُ مِنْ مَشْهَدِ
وَحَبَّذَا طِيْبَةَ مِنْ بَلْدَةٍ فيهَا ضَرِيحُ المُصْطَفَى أَحمَدِ
صلَّى عليْهِ اللَّهُ مِنْ سيِّدٍ لَوْلاَهُ لَمْ نَعْلَمْ وَ لَمْ نَهْتَدِ
قَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَاعْتَبِرْ ترشَدِ
عَشْرُ خفيَّاتٍ وَ عَشْرُ إِذَا أُعْلِنَ بِالتَّأْذِينِ فِي المَسْجِدِ
فَهَذِهِ عِشْرُونَ مقرونَةٌ بِأَفْضَلِ الذِّكْرِ إِلَى المَوْعِدِ[1]

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3 . ص : 315 .

[2]– المصدر نفسه . ص : 315 .

[3]– حازم القرطاجني . الديوان .ص: 89 .

[4]– سورة الشرح .الآية : 04 .

[1]– محي الدين بن عربي . ترجمان الأشواق . ص :33 .

يمدح **ابن عربي** مسجد الرسول في المدينة لأنه ثاني ثلاثة المساجد التي يرتحل إليها: المسجد الحرام مسجد المدينة ومسجد إيليا أي المسجد الأقصى في بيت المقدس ، والذي كان إليه الإسراء كما في حديث النبي .

ويمدح الروضة التي بين القبر والمنبر وهي التي قال فيها الرسول عليه الصلاة والسلام : "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" وقد أراد أيضا ما يشير إليه المنبر من دعوة الخير وما يشير إليه القبر من عظات.فكأن المشهد ممدوح لمكان النبي فيه ولأن الواقف ملب للدعوة متعظ بالعبرة. وليس أعظم دعوة من الإسلام ولا أكبر عظة من موت الرسول .

ويمدح **ابن عربي** طيبة كلها، وطيبة اسم من أسماء المدينة، ويعلل لمدحه لها بأن فيه ضريح النبي المختار المحمود. ثم هو يصلي عليه صلاة المؤمن بالألفاظ الشرعية التي علمنا الله إياها في قوله تعالى:(**إِنَّ اَللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)[2].

أما **ابن الصباغ** فهو كذلك حن حنينا شديدا إلى مدينة الرسول ﷺ، يقول:

فَيَا فَوزَ مَنْ فَازَ فِي طِيْبَـةٍ بِلثْمِ المَغَانِي جِدارًا جِـدَارَا
وَألصقَ خدًّا عَلَى تُرْبِهَـا وَأَكْمِل حَجًّا بِهَا وَاعْتِمَـارَا
وأهدِي السَّلاَمَ لِخَيْـرِ الأَنَـامِ عَلَى حِينَ وَافَى عَلَيْهِ مزارَا
فَيَا هَادِيَ الخلقِ دارَ نَعِيـمٍ تناهتْ جمالاً وطابتْ قرارَا[3]

وقصد بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التي نظمها بالحجاز في طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، وهي طويلة، ومطلعها :

وَصَلْنَا السُّرَى وَهَجَرْنَا الدِّيَارَا وَجِئْنَاكَ نطْوِي إِلَيْكَ القفَارَا [1]

أما **ابن زمرك** فيمزج حنينه وشوقه من خلال جمعه بين مدينة طيبة وقبر الرسول، حيث يقول :

يَؤُمُّونَ مِنْ قَبْرِالشَّفِيعِ مَثَابَـةً تطلعُ مِنْهَا جَنَّـةٌ ذَاتُ أَفْنَـانِ
إِذَا نَزَلُوا مِنْ طِيْبَـةَ بِجِـوَارِهِ فَأكرِم مولَى ضَمَّ أَكَرَمَ ضَيْفَـانِ

---

[2]–سورة الأحزاب . الآية :56.

[3]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج5 . ص:510 .

[1]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج5. ص :511 .

بِحَيْثُ عَلاَ الإِيمَانُ وامْتَدَّ ظِلُّهُ وَزَانَ حلَى التَّوْحِيدِ تَعْطِيلُ أوْثَانِ
مَطَالِـعُ آيَـاتٍ، مَثَابَـةُ رحْمَـةٍ مَعَاهِدُ أمْلاَكٍ ، مَظَاهِرُ إيمَـانِ
هنـاكَ تَصْفُو للقبـولِ مـواردُ يسقُونَ مِنْهَا فضلَ عفْوٍ وغفرَانِ[2]

فالشاعر لم يحن إلى مدينة الرسول فقط، بل يطلب الشفاعة أيضا من الرسول الأعظم .

ويسوق **لسان الدين بن الخطيب** قصيدة **لأبي القاسم محمد بن إبراهيم بن محمد بن حميد التجيبي** في المدح النبوي، يعرض الشاعر في مقدمتها لاضطرام نار الشوق والهوى في قلبه. وقد أنارتها بروق أبرقت في الحجاز وسرت بها أنفاس الصبا على بطحاء مكة فإذا هو يصيح قائلا :

يَا صَاحِ إِنْ جِئْتُ الخِيَامَ بِيَثْرِبَ وَثوِيْتُ مِنْ ذَاكَ الحِمَى بِمَكَانِ
وَسَرَيْتُ فِي تِلْكَ الأَجَارِعِ وَالرُّبَى وحررْتُ فِي وَادِيهِ فَضْلَ عنَـانِ
فَانْشُرْ لِوَاءَ مَحَبَّتِي بِفِنَائِـهِ وَافْضُضْ هُنَـاكَ خَوَاتِم الكِتْمَانِ
واشْرَحْ قَضِيَّاتِ الهَوَى وَأَقِمْ علَى صِدْقِ المَحَبَّةِ وَاضِحَ البُرْهَـانِ
والثِمْ بِطِيْبَةَ قَبْرَ مَنْ حبست لَهُ شَمْسُ النَّهَارِ وَخُصَّ بِالفُرْقَـانِ[3]

فهذه القصيدة تصور حنين الشاعر إلى المدينة المنورة، ومدى عشقه لتلك الأجارع والربا . فالشوق إلى مكة والمدينة مدعاة للحديث عن الرسول الكريم، والحديث عنهﷺ مدعاة للحديث عن صفاته وأخلاقه ومعجزاته، والحديث عن كل هذا ينمي ويزيد من عظمته في قلب المادح،الأمر الذي يجعله يهفو إلى نيل شفاعته في الآخرة(**يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إلاَّ مَنْ أَتَى اَللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**)[1] .

<u>5-5- التوسل إلى النبي بأساليب الرجاء لنيل الشفاعة في الآخرة</u>: فقد قال الشعراء قصائد في مدح النبيﷺ أو الحنين إلى مرابعه، وهذا قصد نيل العون في الدنيا والشفاعة في الآخرة. فالشاعر الأندلسي يتضرع إلى الله تعالى أن يصل إلى تلك الرحاب

---

[2]- المصدر نفسه . ص :48 .

*الأجارع : أراض رملية .

[3]- لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، 1983م. ص : 303 .

[1]- سورة الشعراء .الآيتان :88-89 .

الطاهرة.وأن ينال شفاعة رسوله الكريم يوم القيامة، متمنيا زيارة قبره الشريف، أو مكتفيا بإرسال السلام مع الزائرين، يقول ابن الأبار :

يَا زَائِرِينَ القَبْرَ قَبْرُ مُحَمَّدٍ   بُشْرَى لَكُمْ بِالسّبقِ فِي الزُّوَارِ
أَدُّوا السَّلاَمَ سلمْتُمْ وَبردُهُ   أَرْجُو الإِجَارَةَ مِنْ وُرُودِ النَّارِ[2]

فهو يتمنى زيارة قبر النبيﷺ ونيل شفاعته.

أما أبو زيد الفازازي فيمضي في تصوير حنينه إلى الرسولﷺ، مظهرا ذلك من خلال حبه له فيرى بأن محبته تقود إلى رضا الله. وتأخذ الأبيات التالية من القصيدة منحى الشعور بالذنب أيضا. ويرى أن روحه متعلقة بزيارة قبر النبيﷺ، الذي يأمل شفاعته:

لَكِنْ حُبَّكَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ   يغْشَى محبّكَ يمْنَهُ وَأَمَانَهُ
وعلَيْكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَحِيَّةً   كَالرَّوْضِ صَافَحَ رُوحُهُ رِيْحَانَهُ
مِمَّنْ يَزُورَكَ خطُّهُ وَكَلاَمُهُ   إِذْ لَمْ يَزُرْكَ لِذَنْبِهِ جُثْمَانهُ[3]

فما يلاحظ على أبيات الفازازي حنينه إلى الرسول الكريم وقبره، راجيا منه شفاعته .

ويقول **ابن الجنان:**

فَإِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الذَّنْبَ فَاضَتْ   مُقْلَتَاهُ وَاغْرَوْرَقَتْ بِالدُّمُوعِ
لاَ تُخَيِّبْ رَجَاهُ إِنَّهُ مِنْ   رَبِّهِ خَائِفٌ كَثِيرُ الخُشُوعِ[4]

ويمضي في حنينه إلى الرسولﷺ،متوسلا غليه، متشفعا به. وقد وثقت به نفسه التي أصابها الضعف والهوان،على نحو ما يلقانا في إحدى مقطوعاته، حين قال:

إِلَى أَحْمَدِ المُخْتَارِ نهْدِي تَحِيَّةً   تفَاوحُ رَوْضَ الحُزْنِ بِاللَّهِ المُزَنُ
بِهِ وثِقْتْ نفْسِي الضَّعِيفَةُ بَعْدَمَا   أَضَّر بِهَا مِنْ ضُعْفِ قُوَّتِهَا الوَهَنُ
إِلَيْهِ صَلاَتِي قَدْ بعثت مشفَّعًا   سَلاَمًا بِهِ الإِحْسَانُ يَنْسَاقُ وَالحسنُ[1]

فابن الجنان قد أصاب نفسه الضعف، نتيجة شوقه إلى الرسول الأعظم، طالبا منه الشفاعة .

أما **ابن جبير** فيقول في قصيدة تتألف من ثلاثين بيتا، نكتفي بالاستشهاد بالبيتين الآتيين:

---

[2]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 . ص:195.

[3]–عبد الحميد عبد الله الهرامة . آثار أبي زيد الفازازي . ص:37 .

[4]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج9 . ص:350.

[1]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج9 . ص:252 .

عَسَى لَحْظَةً مِنْكَ لِي فِي غَـدٍ تُمَهِّدُ لِي فِي الجنَـانِ القـرَارَا
فَمَا ضَلَّ مَنْ بِمسرَاك اهتَـدَى وَلاَ ذَلَّ منْ بـذرَاك اسْتجَـارَا[2]

فهنا يتجلى أثر الحنين والشوق إلى الرسولﷺ، والثناء عليه، وختمها بالدعاء والرجاء بنيل شفاعة الرسول الكريم.

ونعود مرة أخرى إلى ابن الجنان من خلال قصيدته هذه التي تتألف من تسعة وعشرين بيتا، تظهر حنين الشاعر وتعلقه بتلك الأماكن الظاهرة، يقول:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي للضَّرُورَةِ هَلْ أرَى إِلَى اللَّهِ وَالبَيْتِ المحجَّبِ خَارِجَا
لَهُ اللَّهُ مِنْ ذِي كُرْبَةٍ لَيْسَ يُرْتَجَى لمرتَحِلٌ يَوْمًا سِوَى اللَّهُ فَارِجَا
وَقَدْ أَسْهَمَتْ شَتَّى المَسَالِكِ دُونَهُ فَلاَ نَهْجَ يَلْقَى فِيهِ اللَّهُ نَاهِجَـا[3]

يتمنى أن يكرمه الله بالوصول إليها وزيارتها،وأن يحظى بزيارة قبر الرسولﷺ،ونيل شفاعته يوم القيامة.

<u>5-6- المولديات الخاصة باحتفالات عيد المولد النبوي الشريف</u>: فالموضوع الأساسي في القصيدة المولدية هو مدح الرسولﷺ والإشادة بليلة مولده وتعداد صفاته، ولا ينسى الشعراء الالتفات إلى ولي نعمتهم وذلك بذكر نبله وكرمه وعدله.

فيعد تعظيم ليلة المولد النبوي الشريف من أهم العناصر التي تدخل في بتاء القصيدة المولدية وهي المناسبة التي من أجلها أنشئت هذه القصيدة، والإشادة بفضل ليلة المولد النبوي الشريف. يقول **محمد بن يحي الغساني البرجي** في قصيدة نظمها بمناسبة المولد النبوي ومطلعها[من البسيط]:

أَصْغَى إِلَى الوَجْدِ لمَّا جَدَّ عَاتبَـهُ صَبَّ لَهُ شُغْلٌ عَمَّنْ يُعَاتِبُـهُ

وبعد وصف تشوقه للديار المقدسة يقول:

مَعَاهِدٌ شُرِّفَتْ بالمُصْطَفَى فَلَهَـا مِنْ فَضْلِهِ شَرفُ تَعْلُو مَرَاتِبَـهُ
مُحَمَّدُ المُجْتَبَى الهَادِي الشَّفِيعُ إِلَـى رَبِّ العِبَادِ أَمِينُ الوَحْـيِ عَاقبُـهُ
أوْفَى الوَرَى دِمَمًا أَمْسَاهُمْ هِمَمًا أَعْلاَهُمْ كرمًا جَلَّتْ مَنَاقِبُـهُ
هُوَ المُكَمِّلُ فِي خَلْقٍ وَ فِي خُلُـقٍ زكَتْ حلاَهُ كَمـا طَابَتْ مناسِبُـهُ

---

[2]– لسان الدين ابن الخطيب .الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 . ص : 236 .

[3]–ابن الجنان الأنصاري . الديوان. ص :77 .

جَاءَتْ تُبَشِّرُنَـا الرُّسْلُ الكِرَامُ بِـهِ   كَالصُّبْحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُـهُ
تَطَابَقَ الكَوْنُ فِي البُشْرَى بِمَوْلِـدِهِ   وَطبقُ الأَرْضِ أَعْلاَمًا تجَاوِبُـهُ
لَهُ مقامُ الرِّضَـى المحمـودِ ساهـدُهُ   فِي موْقِفِ الحشْرِ إذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ
والرُّسلُ تحتَ لِوَاءِ الحمْدِ يقدمُهَا   محمَّدُ أحمدِ السَّامِي مراتِبُـهُ
لَـهُ الشفاعَاتُ مقبـولاً وسَائِلُهَـا   إذَا دهَى الأمرُ وَ اشْتَدَّتْ مصَاعِبُهُ
والحوضُ يروِي الصدَى مِنْ عذْبِ موْرِدِهِ   لا يشْتَكِي غِلّةُ الضمْآنِ شارِبُـهُ
محامِـدُ المُصْطَفَى لاَ يَنْتَهِي أَبَدًا   تعدادُهَا هَلْ يُعدُّ القطْرُ حَاسِبُـهُ[1]

وبمناسبة عيد المولد أيضا نظم **ابن زمرك** قصيدة نبوية أنشدها أمام سلطان الأندلس ومطلعها[من الطويل]:

لعَلَّ الصبَا إنْ صَافَحَتْ روضَ نعمَانِ   تُؤَدِّي أَمَانَ القَلْبِ عَنْ ظِبْيَةِ البَانِ

وفيها :

إليْكَ رَسُولُ اللَّهِ دَعْـوَةَ نَـازِحِ   خُفُوقَ الحشَا رَهنُ المَطَامِعِ هيمَانِ
وَسِيلَتِي العُظْمَى شَفَاعَتُكَ الَّتِـي   يَلُوذُ بِهَا عِيسَى وَمُوسَى بن عِمْرَانِ
فَأَنْتَ حَبِيبُ اللَّـهِ خَاتمُ رُسُلِـهِ   وَأكرَمُ مَخْصُوصٍ بزُلْفَى وَرِضْوَانِ
وَحَسْبُكَ أَنْ سمَّاكَ أسمَاءَهُ العُلاَ   وَ ذَاكَ كَمَالٌ لاَ يشَابُ بِنُقْصَانِ
وَأَنْتَ لِهَذَا الكَوْنِ عِلَّـة كوْنِـهِ   وَلَوْلاَكَ مَا امْتَازَ الوُجُودُ بِأَكْوَانِ
خُلاصةُ صَفْوِ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشَمَ   ونكتَةُ سرِ الفَخْرِ مِنْ آلِ عَدْنَـانِ
وسَيِّدُ هَذَا الخلقِ مِنْ نَسْلِ آدَمِ   وأكرَمُ مبْعُوثٍ إِلَى الإِنْسِ والجَانِ
وكَمْ آيةٍ أطلعَتْ فِي أُفُقِ الهُدَى   يبينُ صباحَ الرُّشْدِ منهَا لِيَقْظَانِ
وأكرمَ بآيـاتٍ تحديْتَنَـا بِهَا   ولاَ مِثْلُ آيَاتٍ لِمُحْكَمِ فُرْقَـانِ
ومَاذَا عَسَى يثْنِي البَلِيغُ وقَدْ أَتَى   ثَنَاؤُكَ فِي وَحْيٍ كَرِيمٍ وَقُـرْآنِ[1]

وفي ثالثة[من البسيط]:

ثُمَّ الصلاةُ صَلاةُ اللَّـهِ دائمَـةٌ   عَلَى الَّذِي بَاسِمُهُ فِي الذِّكْرِ سَمَاهُ
المُجْتَبَى وَزِنَادُ النُّورِ مَا قدحَتْ   وَلاَ ذَكَا مِنْ نَسِيمِ الرَّوْضِ مَسْرَاهُ
وَالمُصْطَفَى وَ كمامُ الكَوْنِ مَا فتقتْ   عَنْ زُهْرِ زُهْرٍ يَرُوقُ العينُ مرْآهُ

---

[1] – المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج6 . ص:315.

[1] – المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج7 . ص:145.

يَا فَاتِحَ الرّسْلِ أَوْ يَا خَتْمُهَا شَرَفًا   واللَّهُ قَدَّسَ فِي الحَالَيْنِ مَعْنَـاهُ
لَمْ أَدَّخِرْ غَيْرَ حُبٍّ فِيكَ أَرفَعُهُ   وَسيلَـةٌ لِكَرِيمٍ يَوْمَ أَلْقَـاهُ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَـهٌ أَنْـتَ صَفْوَتُـهُ   مَا طَيبتَ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ أَفْوَاهُ[2]

فهو يعبر عن خالص محبته للرسولﷺ من خلال حنينه وتلهفه إليه .

6– أوجه التداخل بين المديح النبوي وشعر التصوف:

من أهم مميزات المديح النبوي أنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية، ويهدف إلى تغيير العالم المعاش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي. كما أن هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية والنورانية. ويعني هذا أن المديح النبوي يشيد بالرسولﷺ باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقة وخلقا، وهو كذلك كائن نوراني في عصمته ودماثة أخلاقه. لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالتمثل واحتذاء منهجه في الحياة، كما أن عشق الرسول ﷺ في القصيدة النبوية يتخذ أبعادا روحانية وجدانية وصوفية .

وعلى أي حال، يتميز المديح النبوي بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسولﷺ طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى زيارة قبر الرسولﷺ والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج .

ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك إلى الرسولﷺ طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة. وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالمولديات

وتعرف المدائح النبوية كما يقول **الدكتور زكي مبارك** بأنها« فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب

---

[2]– المصدر نفسه . ص:281 .

الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص وهو فن ابتدعه الصوفية »[1].

ومن المعهود أن هذا المدح النبوي الخالص لا يشبه ذلك المدح الذي كان يسمى بالمدح التكسبي أو مدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، وإنما هذا المدح خاص بأفضل خلق ألا وهو محمدﷺ ويتسم بالصدق والمحبة والوفاء والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني اللدني.

وعليه، فالمديح النبوي شعر ديني يركز على سيرة النبيﷺ وفضائله النيرة، وقد رافق هذا الشعر مولده وهجرته ودعوته، كما واكب فتوحاته وحب آل البيت فانصهر في شعر التصوف ليصبح فنا مستقلا مع البوصيري وابن دقيق العيد.

فشعر المديح النبوي شعر صادق بعيد عن التزلف والتكسب، يجمع بين الدلالة الحرفية الحسية والدلالة الصوفية الروحانية. كما يندرج هذا الشعر ضمن الرؤية الدينية الإسلامية .

وكان للمتصوفة الذين بز وجودهم في القرن الثالث في حقبة الجنيد(ت297هـ) والحلاج (ت309هـ) والشبلي(ت334هـ) أثر في التمهيد لفكرة المديح النبوي في قصائد مستقلة وربطه بالحب الإلهي، وأن الحلاج هو أول من أعد لفكرة الحقيقة المحمدية وأنه بحقيقته لا بصورته الجسدية يعد مبدأ العالم، إذ هو نور تفجرت من ينابيعه أنوار النبوات جميعا، بل هو مبدأ الوجود كله عندهم ونبعه الفياض السابق لكل موجود، أو بعبارة أخرى، هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود[1] في تشابه كبير مع الثقافة المسيحية في اتحاد بين اللاهوت الذي هو روح الإلهية مع الناسوت الذي هو الروح الإنساني اللذان يؤلفان الطبيعة الثنائية للمسيح، ونقلها إلى الرسول ومن ثم إلى أقطاب المتصوفة وكان سببا في اتهامهم بالكفر والإلحاد كقول **الحلاج:**

أَنَا مَنْ أَهْوَى، وَمَنْ أَهْوَى أَنَـا　　　نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَـا[2]

[1]– زكي مبارك . المدائح النبوية في الأدب العربي. ط1. منشورات المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1935. ص:17.

[1]– شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني).ط4.دار المعارف،مصر،(د،ت).ص:481.

[2]– المرجع نفسه . ص : 480.

ونقل تلك الأفكار إلى قصيدة المديح النبوي عند الشعراء المتأثرين بهم، وتوصيف الرسول الكريم بما يعجز العقل عن تفسيره، كما كان لهم تأثير في تغيير نمط النسيب في قصائد المديح النبوي إلى مقدمات فيها تشبيب بالأرض الحجازية والهوى العذري والأسماء الرمزية... وغيرها من الألفاظ التي نجدها في قصائدهم، كقول **البوصيري**:

يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِي مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفتُ لَمْ تُلَمِ[3]

وهو القول الذي نجده عند نظيره ابن الفارض الصوفي(ت632هـ):

يَا لاَئِمًا فِي حُبِّهِمْ سَفَهًا كَفُّ الملامِ فلَوْ أَحْبَبْتُ لَمْ تُلَمِ

في قصيدة مطلعها:

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلاً بِذِي سَلَمٍ أَم بَارِقُ لاَحَ فِي الزَّورَاءِ فالعَلَمِ[4]

ويبدو أن القدسية التي أضفاها الشعراء على شعرهم النبوي قد جعلت من اتصال هذا الشعر بالشعر الصوفي أمرا مستساغا لدى الشعراء، فامتلأت بمصطلحات التصوف وأحواله وموضوعاته، وغدا الرسول محورا من محاور التصوف في هذا القرن. لقد بلغ حب الرسول في نفوس شعرائنا مبلغا من السمو، جعلهم يعلنون فناءهم فيه . ولعل هذه النغمة الصوفية التي غزت شعر المديح النبوي كانت واحدا من أسباب الغلو في تناول الذات المحمدية في هذا الشعر، إذ كادوا بغلوهم هذا يخرجون الرسول الكريم عن طور البشرية ويدخلون طور أعلى وأسمى، فهو في رأيهم سبب هذا الوجود.

الفصل الثاني

[3]– البوصيري . الديوان . ص :190 .

[4]–عمر بن الفارض ، حياته وشعره . مكتبة كرم، دمشق،(د،ت). ص: 67.

ترجمة لحياة الشاعرين ودراسة ديوانيهما

المبحث الأول: ترجمة لحياة الشاعرين:

لسان الدين بن الخطيب، ابن جابر الأندلسي

المبحث الثاني: دراسة الديوانين: الأغراض والموضوعات

المبحث الثالث: موضوعات قصيدة المديح النبوي عند الشاعرين

المبحث الرابع: الموازنة بين لسان الدين وابن جابر من حيث الموضوعات والقوافي

I–ترجمة لحياة الشاعرين:لسان الدين بن الخطيب و ابن جابر الأندلسي

1–لسان الدين بن الخطيب:هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، يكنى: أبا عبد الله، واشتهر بـ(لسان الدين)، وهو من الألقاب المشرقية، وقد عاش ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري في الأندلس والمغرب، ويعد هذا العصر من أحفل العصور التاريخية والأدبية في المغرب الإسلامي عامة، وفي الأندلس خاصة، وكان لسان الدين مفكرا لامعا، وكاتبا خصبا، متعدد الجوانب، وشاعرا

مبدعا، ملأ الأندلس والمغرب بشعره الرصين الفائق في مختلف الأحداث والمناسبات، ويقول عنه **أنخل جنثالث بالنيثيا:** و براعته ظهرت في قرض الشعر، وتجلى علمه الواسع بالأدب العربي، في سنه الباكرة[1] وبأنه، وتلميذه ابن زمرك فريدان في بابهما، وإنه أعظم شعراء العصر الغرناطي[2]، وقد لقب بذي الوزارتين، وقد كان مزيجا من عبقريات متعددة، قلما تجتمع في شخص واحد، فقد بلغ القمة في كل منهما، مما جعله في مصاف أعلام الأندلس ومشاهيرها،فهو أفضل شخصيات الأندلس بعامة، وغرناطة بخاصة، فهو طبيب وفيلسوف، وهو كاتب من الطراز الأول، وهو مؤرخ بارع، وأخيرا وزير وسياسي ثاقب النظر، قوي الإدراك[3].

ولد ابن الخطيب بمدينة "لوشة"[4] في 25 رجب 713هـ، الموافق 16نوفمبر 1313م، وقد نشأ في غرناطة التي انتقلت إليها أسرته، وفيها تلقى دراسته، وعاش به حياة حافلة بالعلم والنشاط السياسي والفكري، إلى أن وافته المنية سنة (776هـ)، عن عمر يناهز ثلاثة وسين عاما، بعد أن سجل لنفسه صفحات مشرقة في مجالات الحياة المختلفة، والتي مازلنا نقتبس من معينها حتى يومنا هذا.

والديوان الوحيد الذي يجمع شعر ابن الخطيب، ووصل إلينا هو ديوان:"**الصيب والجهام والماضي والكهام**"، و قد حققه: د. محمد الشريف قاهر، ونشر في الجزائر عام 1975م .

ولقد ترك لنا ابن الخطيب تراثا حافلا من طب، وسياسة،وتصوف،وغيرها، وقد بلغت مؤلفاته زهاء ستين مؤلفا ما بين مطبوع ومخطوط، فقد اغترف من كل بحر، وكتب في كثير من الفنون والآداب، واطلع على كثير مما ألف في العلوم والآداب والتاريخ

---

(1)– ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1955م. ص:252

(2)– ينظر: المرجع نفسه . ص:137

(3)– ينظر :محمد عبد الله عنان. لسان الدين بن الخطيب(حياته وتراثه الفكري).ط1. مكتبة الخانجي،القاهرة، 1388هـ- 1968م . ص:15.

(4)–لوشة– بالفتح ثم السكون وشين معجمة–:مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيرا، وهي تقع على نهر سنجل(نهر في غرناطة)، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا، وبين غرناطة عشرة فراسخ، ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج5 . ط2 .دار صادر ، بيروت، لبنان، 1995م. ص: 26.

والسياسة، مما جعل الباحثين يعدونه خزانة للعلم والأدب،« فقد كان عالما وفقيها وشاعرا وكاتبا وطبيبا، وإن لم يتفوق في شيء تفوقه في الأدب،حتى كان من أئمته»[1]

وقد استحق ما قال عنه المقري: « هو الوزير الشهير الطائر الصيت، المثل المضروب في الكتابة والشعر والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها»[2]. وقد عقب على ذلك إذ قال:

تصَانِيفُ الوَزِيرِ ابنِ الخطِيبِ ألذُّ منَ الصبَا الغضِّ الرَّطِيبِ

فأيةُ راحةٍ ونعيمِ عيشٍ! توازَى كُتُبَهُ أم أي طِيبِ؟

ومن مؤلفاته:1- الإحاطة في أخبار غرناطة.

2-اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية.

3-الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.

4- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

5-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،وما يجر ذلك من شجون الكلام .

6-السحر والشعر .

7-ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب .

8-جيش التوشيح.

9- روضة التعريف بالحب الشريف.

10-خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف.

11-عمل من طب لمن حب.

12-فن العلاج في صنعة الطب .

13- معيار الاختيار في أهوال المعاهد والديار.

<u>1-1-ابن جابر الأندلسي</u>: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي المربي الضرير، وهو غير سميه وسابقه زمنا التونسي محمد بن جابر القيسي

---

[1]- أحمد ضيف. بلاغة العرب في الأندلس. ط2. دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1988م . ص :242.

[2]-المقري .أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1. ص:77وما بعدها، ج9. ص:303.

الوادي آشي المولود في تونس عام 673هـ(1274م)، أي قبل ولادة شاعرنا بخمسة وعشرين عاما، والمتوفي فيها عام 749هـ(1338م)،أي قبل وفاته بواحد وثلاثين عاما[1] .

ولد شاعرنا في مدينة المرية عام 698هـ(1298م)،ودرس فيها وأخذ عن شيوخها، وقرأ القرآن والنحو على ابن يعيش، والفقه على محمد بن سعيد الرندي، وسمع صحيح البخاري على الزواوي، ثم غادرها مع رفيق عمره أبي جعفر الغرناطي في مطلع شبابيهما إلى مصر، وعرفا بالأعمى والبصير،ثم غادراها إلى دمشق عام 741هـ، وسمعا من شيوخها، ثم انتقلا إلى حلب عام 743هـ، وأقاما فيها، وسمعا ودرسا، وحجا منها مرارا، ونسب إليهما مسجد(طغرل) في محلة باب قنسرين، والذي بني زمن ملك حلب الملك العزيز حفيد صلاح الدين الأيوبي عام 617هـ، فقيل عنه مسجد النحاة. ولكنهما افترقا قبل موتهما،لأن ابن جابر تزوج بمدينة البيرة شرق عنتاب، وسكن فيها، وكان له فيها بيت معروف على الفرات. وبعد ذلك توفي أبو جعفر في حلب عام 779هـ، فرثاه ابن جابر رثاء صادقا بقصيدة طويلة، مطلعها:

لقدْ عزَّ مفقودٌ وجلَّ مصابُ فللخدِّ من حُمر الدمُوعِ خضَابُ

ثم تبعه إلى دار الخلود عام 5780هـ[2].

كان ابن جابر إماما عالما بارعا أدبيا أمة في النحو، له النظم والنثر البديعان، اخترع أول بديعية في الأدب العربي، سماها(الحلة السيرا في مدح خير الورى)، والتي عرفت ببديعية العميان[1] وله كتب كثيرة جليلة في اللغة والنحو والبلاغة والعروض، منها شرح ألفية ابن مالك، وشرح ألفية ابن معط، ورسالة في السيرة ومولد النبيﷺ، والمنحة في اختصار الملحة. ثم له قصائد وأراجيز عدة في العروض والنحو واللغة وغيرها،منها وسيلة الآبق في أسماء الصحابة والتابعين، وغاية المرام في تثليث الكلام، وحلية الفصيح في نظم الفصيح،(أي كتاب الفصيح لثعلب) ومنظومة في المقصور والمدود، وأخرى في الظاء والضاد، وغير ذلك.

---

[1]– ينظر: عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي،ج6. صص: 442-530.

[2]– سبط ابن العجمي. كنوز الذهب في تاريخ حلب،ج1، تحقيق: شعث والبكور. دار القلم العربي، حلب، 1996م . ص: 469.

[1]– أحمد فوزي الهيب. الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء.(د،ط).مؤسسة الرسالة، بيروت،1986م. ص :122.

وهو، فضلا عن ذلك، شاعر مكثر، له شعر كثير متفرق في كتب الأدب، كما له أيضا ديوان كامل في مدح الرسولﷺ، وهو المحقق في هذا الكتاب وموضوعه. قال عنه وعن رفيقه أبو جعفر: ولا أعلم بعدهما قدم حلب من المغاربة مثلهما[2]. كما قال شوقي ضيف عن شاعريته: نشعر دائما عنده أنه يستمد من نبع فياض لا يتوقف ولا ينقطع، بل يتدفق تدفقا غزيرا[3] .

من مؤلفاته:

1-نظم فصيح ثعلب، وسماه"حلية الفصيح في نظم ما قد جاء في الفصيح"وأتمه في البيرة قرب حلب في المحرم عام 747هـ

2- شرح ألفية ابن معط في ثمان مجلدات كما يقول ابن القاضي و الزركلي أو ثلاثة كما قال غيرهم.

3- شرح ألفية ابن مالك- ديوان شعر في مدح النبيﷺ"نفائس الملح وعرائس المدح"- بديعية مشهورة"بديعية العميان في أسماء القرآن" وهي قصيدة مطولة ذكر فيها أسماء سور القرآن الكريم مع مدح النبيﷺ ومطلعها[من البسيط]:

فِي كلِّ فاتِحَةٍ للقوْلِ معتبرهْ   حُقَّ الثناءُ على المبعوثِ بالبقرَهْ

ومن غرر قصائده قصيدة مطولة عارض فيها بانت سعاد ومطلعها[من البسيط]::

بانتْ سعادُ فَعِقْدُ الصبْرِ محلُولُ   والدمْعُ في صَفَحَاتِ الخدِّ مبذُولُ

4-نظم"كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ" للقاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الخوي، المتوفي693، وسم نظمه"عمدة المتلفظ في نظم كفاية المتحفظ".

5-مجموعة قصائد في العروض، لامية وتائية ودالية، بمكتبة باريس الوطنية.

6-منحة الإعراب و سنحة الآداب،أو كما تعرف"المنحة في اختصار الملحة".

7- قصيدة في المقصور والمدود.

8- قصيدة رائية في المثلث بعنوان"غاية المرام في تثليث الكلام" في اثنين وسبعين ومائتي بيت.

9- قصيدة ميمية في الضاد والضاد .

10- قصيدة بائية في النحو.

---

[2]- سبط ابن العجمي. كنوز الذهب في تاريخ حلب،ج1. ص: 484.

[3]- شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات(الأندلس). جامعة حلب،1994م . ص: 377.

11- وسيلة الأبق"أرجوزة جمع فيها أسماء الصحابة والتابعين على ما رواه أبو نعيم".

12-بديعية العميان المسماة"بالحلة السيرا في مدح خير الورى" قصيدة رقم "119" بديوان"نفائس المنح وعرائس المدح" السابق، وجعلها محمود مكي، أشهر البديعيات التي اتخذت فن البديع، وجعلته مطية للمديح النبوي[1] .

وقد شرح ابن جابر بديعيته هذه شرحا مختصرا جدا، لم يرض صديقه أبا جعفر الرعيني، لشدة اختصاره، وقصوره عن استيعاب ما في البديعية من فنون، لذا شرحها الرعيني شرحا متوسطا ليس بالطول الممل ولا بالقصير المخل، سماه"طراز الحلة وشفاء الغلة" لحل رموزها، وما استغلق من معانيها.

13- المقصد الصالح في مدح الملك الصالح[2]،وهو ديوان شعري ضخم في مدح السلطان الصالح ابن المنصور محمد قلاوون الصالحي الارتقي، وكان هذا السلطان ممدحا للشعراء، وعاش في كنفه وتحت رعايته عدد منهم غير ابن جابر.

14-"ديوان نفائس المنح وعرائس المدح" الذي يضم نصف شعر ابن جابر تقريبا في المديح النبوي، أي حوالي أربعة آلاف بيت.

15- "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين"وهما عقدان أو ديوانان في سلسلة مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم،التي وضعها ابن جابر وضمت أكثر من ثمانية آلاف بيت شعري في مدحه صلى الله عليه وسلم.

II-دراسة الديوانين: الأغراض والموضوعات

1- ديوان لسان الدين بن الخطيب

1-1-طبعات الديوان: طُبع ديوان لسان الدين بن الخطيب طبعات كثيرة ،ذكرها الدكتور "محمد الشريف قاهر " في تحقيقه لديوان لسان الدين ، وهي خمس طبعات:

أ- نسخة الأستاذ محمد الفاسي: هذه النسخة من الديوان يبدو أنها أكمل النسخ، وأصحها،وأقربها،إلى التدقيق، وهي تقع في(157) سبع وخمسين ومائة صفحة تحتوي كل صفحة منها على (15) خمسة عشر سطرا،مكتوبة بخط مغربي واضح جميل، مشكول بعض الشكل، وعناوين القصائد،وما يسبقها من بيان الغرض الذي قيلت فيه،مكتوب

---

[1]-محمود علي مكي . المدائح النبوية. ط1. دار نوبار للطباعة، روض الفرج، شبرا، القاهرة،1991م. ص : 138-139.

[2]- من هذا الديوان نسخة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ورقمها(801) أدب .

بحروف فخمة كبيرة، ولكنها غير مزينة ولا ملونة. وقد كشفت لنا هذه النسخة عن أمور جديدة كانت مجهولة لدى الباحثين، وحتى المتخصصين منهم في التاريخ لابن الخطيب، كالمقري في أزهار الرياض، ونفح الطيب فهي التي بينت لنا اسم الديوان، وذلك في المقدمة التي كتبها ابن الخطيب له، فقد ذكر فيها أن له ديوانا قد ضاع يسمى"**الحالي والعاطل والمسعف والماطل**" وديوانا آخر ضاع له مع اسمه ،

وأن هذا الديوان الذي يقدم له هو تعويض لديوانه السابق المسمى"**بالصيب والجهام والماضي والكهام**"[1] وجموع ما في هذه المخطوطة ن القصائد والمقطوعات هو(1966) ستة وستين وتسعمائة وألف بيت. وقد رمز لها محقق الديوان "محمد الشريف قاهر " بحرف‹**ف**› .

<u>ب-نسخة الشيخ العربي الحريشي</u>: تقع هذه النسخة في(198) صفحة تحتوي كل صفحة على (17) سطرا مكتوبة بخط مغربي متوسط الوضوح، بعضها مشكول، وعناوينها مكتوبة بخط كبير، ولكنها غير مزركشة، ولا مزينة بالألوان، وهذه النسخة تكاد تنطبق على النسخة السابقة فهي تنقص عليها ببيتين رقم (11و19) في حرف الجيم في القصيدة رقم(115) ولكنها تزيد عليها في حرف الدال بخمس وستين قصيدة ومقطوعة تحتوي على (400)أربعمائة بيت .ويكون مجموع ما بها من قصائد،(263) ثلاث وستين ومائتي قصيدة، تحتوي على(2913)ثلاثة عشر وتسعمائة وألفي بيت.وقد رمز لها محقق الديوان بحرف‹**ح**›.

<u>ج- نسخة الأستاذ محمد المنوني</u>: وتقع هذه النسخة في 216 صفحة في كل صفحة 15سطر مكتوبة بخط أندلسي عتيق بالسواك، وفي هذه النسخة محو كثير، وطمس لمقطوعات كاملة ، بعضها بقي عنوانها، والبعض الآخر لم يبق منها شيء ، كما أن مقطوعات كاملة ساقطة منها. ويبدو أن هذه النسخة كانت كاملة، فعبثت بأوائلها وآخرها أيدي الزمان،فهي ناقصة في أولها بخمس ورقات فقط، كما ضاعت منها مقدمة الديوان،مما جعل الأستاذ المنوني يظن أن اسم الديوان هو"**طل الغمام المقتضب من الصيب و الجهام**" .

---

[1]- الصيب: السحاب ذو المطر، والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، والماضي:السيف القاطع، والكهام: السيف غير القاطع.

فيكون مجموع ما بها من قصائد،(257) سبعة وخمسين ومائتي قصيدة، تحتوي على(2643)ثلاثة وأربعين وستمائة وألفي بيت.وقد رمز لها محقق الديوان بحرف‹**م**› .

د- <u>نسخة القرويين</u>: وهذه النسخة يبدو أنها أقدم ديوان لابن الخطيب، ولو سلمت أوائلها من التآكل والضياع لكشفت لنا عن اسم الديوان وعن القصائد الأولى في حرف الألف، فهذا الديوان يتوقف في اليوم التاسع من محرم عام 744هـ فهو يمثل بالكورة شعر ابن الخطيب أيام شبابه الأولى، فقد أكمله ولما يتجاوز الواحدة والثلاثين من عمره ومما يؤسف له أن هذه المخطوطة بها خروم كثيرة، وتآكل لصفحات عديدة، وتصحيفات، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل، مشكولة في مجموعها، وعناوين قصائدها مكتوبة بحروف بارزة ، غير ملونة.

فيكون عدد قصائد هذه المخطوطة،هو(97) سبعة وتسعون قصيدة بها (2243)ثلاثة وأربعون ومائة وألفا بيت . وقد رمز لها محقق الديوان بحرف‹**ق**› .

هـ-<u>نسخة الأستاذ محمد الشاذلي النيفر</u>: هذه المخطوطة توجد ضمن مجموع وتحتوي على اثنتين وسبعين صفحة، في كل صفحة تسع عشرة سطرا، مكتوبة بخط مغربي لا يقرأ بسهولة، غير مشكول غالبا، وتبتدئ هكذا: "**تقييد رسائل من الصيب و الجهام للسان الدين ابن الخطيب**" .

وتمتاز هذه المخطوطة بكونها أوردت أشعارا لابن الخطيب لم ترد في النسخ الأربع الأخرى فيكون مجموع ما بهذه المخطوطة من قصائد ،هو(21) إحدى وعشرين قصيدة تحتوي على(384)أربعة وثمانين وثلاثمائة بيت.وقد رمز لها محقق الديوان بحرف‹**ن**›.

<u>1-2-أهم أغراضه الشعرية:</u>

موضوعات شعر ابن الخطيب، هي موضوعات الشعر العربي المعروفة، والمطروقة، من غزل ونسيب، ووصف، وفخر ،وهجاء، ورثاء، وزهد، وتصوف،وسياسة وجهاد، وإخوانيات. غير أن أكثر قصائده في المديح، والمناسبات الدينية والسلطانية. وسأبدأ بالمديح لأنه أكثر ما اشتمل عليه الديوان:

<u>أ-المدح</u>: كان مدح ابن الخطيب في البدء خاصا بالملوك والأمراء حين كان عزيز الجانب قوي النفوذ، فلما أرغمته الظروف السياسية على الخروج من الأندلس، والالتجاء

إلى المغرب،وجدناه يمدح بعض الوزراء، والولاة ، لينال رضاهم،ويضمن لنفسه المكانة اللائقة بينهم، يقول مادحا الغني بالله ويصفه بالشجاعة والإقدام، والبذل،والعطاء، والإصلاح، والعدل، ونصرة الحق، ومهاجمة الأعداء في عقر دارهم بجياد مختالة لفرط مراحها، وجيوش مسلحة بالقنا وبيض الصفاح، مرسلة النقع سحبا، تنشر الرحمة والخصب أينما حلت:

بِمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنَ الحجّاجِ — لَيْثِ العِدَا أوْغَيْثِ السَّمَاحِ
نَاصِرِ الحَقِّ مُرْسِلِ النَّقْعِ سُحْبًا — بَيْنَ سُمْرِ القَنَا وَبِيْضِ الصِّفَاحِ
وَمُزِيرِ الجِيَادِ أرْضَ الأَعَادِي — وَهِي مُخْتَالَةٌ لِفَرْطِ المِرَاحِ
مَحَّضَ اللَّهُ مِنْكَ يَاقُوتَةَ المُلْكِ — وَيَنْبُوعَ العَدْلِ وَالإِصْلاَحِ(1)

ب-**الغزل**: لابن الخطيب نوعان من الغزل:

1- نوع يبدأ به مطولاته من قصائد المديح، والتهاني بالأعياد، والمواسم والمناسبات، نهج فيه منهج الغزليين من الشعراء، إظهارا لمهارته الفنية.يقول من قصيدة في صباه، استجابة لرغبة أحد ندمائه، مخاطبا، وملتمسا مرة، ومتسائلا وواصفا، ومشبها مرة أخرى، فابن الخطيب يعيش في ضياء ونور، وسرور وغبطة، مادام سراجه وهلاله معه، فإذا غاب عنه، فهو في ظلال وعذاب، ولا علاج له إلا إذا تداركه بنظرة من جفونه التي فيها نسك بشر الحافي الصوفي المعروف، وسطوة الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي المشهور:

يَا سِرَاجَ الجَمَالِ يَا بْنُ سِرَاجِ — يَا هِلاَلاً فِي أَسْعَدِ الأَبْرَاجِ
أَنْتَ شَمْسِي فَكُلَّمَا غَابَ عَنِّي — فَنَهَارِي مِثْلُ الظَّلاَمِ الدَّاجِي
يَا مَرِيضَ الجُفُونِ أَمْرَضْتَ قَلْبِي — فَأَدرِكْنِي فَفِي يَدَيْك عِلاَجِي
أجْفُونُ تُجِيلُهَا أَمْ كُؤُوسٌ — أُتْرِعَتْ لِلْهَوَى بِغَيْرِ مِزَاجِ؟
تَخْدَعُ النَّاسَ بِالفُتُونِ فَفِيهَا — نُسْكُ بِشْرٍ وَسَطْوَةُ الحَجَّاجِ
لَوْ تَرَانَا وَاللَّيْلُ فِي عُنْفُوَانٍ — قُلْتُ سِرَّيْنِ فِي فُؤَادِي الدَّيَاجِ
نَقْطَعُ اللَّيْلَ فِي الْتِثَامٍ وَضَمٍّ — وَسُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وابْتِهَاجِ(1)

(1)- لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام . صص:392-393.

(1)- لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام . صص:345-346.

2- وآخر أوقف عليه قصائد ومقطوعات كاملة إلا ما يتعلق به ويكمله، من وصف القيان، والآلات الطرب، والعود، والراح، والطبيعة المتحركة. يقول في قصيدة يمزج بين الدعوة إلى الأنس، ووصف الراح، والطبيعة، والمغنية، والعود.

هَلُمَّ جَفْنُ الدَّهْرِ قَدْ لاَذَ بِالْغِمْضِ وَأَمْكَنَ مَيْدَانَ التَّصَابِي مِنَ الرَّكْضِ
وَرَوْضٌ دَنَتْ لِلْهَاصِرِينَ قُطُوفُهَا فَكَانَ كَلاَمُ القَوْمِ بَعْضًا إِلَى بَعْضِ
أَهَذِي الَّتِي كُنَّا وُعِدْنَا بِنَيْلِهَا وَجَنَّةُ عَدْنٍ فِي السَّمَاءِ أَمِ الأَرْضِ؟
كَأَنَّ الصَّبَا جَاءَتْ تُخَبِّرُ قُضْبَهَا سُحَيْرًا، بِأَنَّ الوَقْتَ ضَاقَ عَنِ الفَرْضِ
فَأَسْرَعَتِ الأَغْصَانُ تَبْتَدِرُ الثَّرَى وَتَعْمُرُ بَاقِي الوَقْتَ مِنْهُ بِمَا تَقْضِي
وَمُرْضِعَةٍ طِفْلاً مِنَ العُودِ ثَدْيُهَا وَلاَ درّ إِلاَّ الدُّرَّ مِنْ أَدَبٍ مَحْضِ
إِذَا لَمِسَتْهُ بِالْبَنَانِ تَخَالُهَا طَبِيبًا مِنَ الحُذَّاقِ جَسَّ عَلَى نَبْضِ
وَرَاحَ إِذَا نَاجَيْتَ فِي الكَأْسِ رُوحَهَا رَأَيْتَ اتِّصَالَ الرُّوحِ بِالعَالِمِ الأَرْضِ (2)

ج-الرثاء: نجد في الديوان مقطوعة رثى بها المعتمد بن عباد، أمير إشبيلية، عندما زار قبره بأغمات، أيام مقامه بالمغرب: وفيها يصف ابن عباد، بأندى الملوك يدا، وسراج الليالي المد لهمات، والكريم حيا ميتا، وسلطان الأحياء والأموات:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَن طَوْعٍ بِأَغْمَاتِ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِن أَوْلَى المُهِمَّاتِ
لِمَ لاَ أَزُورَكَ يَا أَنْدَى المُلُوكِ يَدًا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُدْلِهِمَّاتِ
كَرُمْتَ حَيًّا وَمَيْتًا وَاشْتَهَرْتَ عُلاً فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ(3)

كما رثى ابن الخطيب أبا الحجاج يوسف، وكتب على قبره، وفيها يخاطب القبر، ويحييه، ويطلب الرضا والغفران لمن حل فيه مدى الدهر، ويصفه بالروضة العاطرة، و كمام الزهر، وصدف الدر، وملحد التقوى، ومدفن الهدى، ومسقط العليا، ومغرب البدر، ثم ينتقل إلى ذكر محاسن أبي الحجاج، فينعته بأصيل المعالي، وبدر الدجى، والمستجار من الذعر، وحامي حمى الهدى، وماحي دجى الكفر:

يُحَيِّيكَ بِالرَّيْحَانِ وَالرُّوحِ مِنْ قَبْرِ رِضَا اللَّهِ عَمَّنْ حَلَّ فِيكَ مَدَى الدَّهْرِ
وَلَسْتَ بِقَفْرٍ إِنَّمَا أَنْتَ رَوْضَةٌ مُنَعَّمَةُ الرَّيْحَانِ عَاطِرَةُ النَّشْرِ
وَلَوَ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ الْحَقَّ لَمْ أَقُلْ سِوَى يَا كِمَامِ الزَّهْرِ،أَوْ صَدَفُ الدُّرِ

(2)- المصدر نفسه . صص :605-606 .
(3)- المصدر نفسه . صص :338-339.

وَيَا مَلْحَدَ التَّقْوَى وَيَا مَدْفَنَ الهُـدَى وَيَا مَسْقِطَ العَلْيَا وَيَا مَغْرِبَ البَدْرِ
لَقَدْ حَلَّ فِيكَ الرَّحْلَ أَيُّ خَلِيفَــةٍ أَصِيلُ المَعَالِي غُرَّةً فِي بَنِي نَصْرِ
لَقَدْ حَلَّ فِيكَ العِزُّ وَالمَجْدُ وَالعُـلاَ وَبَدْرُ الدُّجَى وَالمُسْتَجَارُ مِنَ الذُّعْرِ
وَمَنْ كَأَبِي الحَجَّاجِ حَامِي حِمَى الهُدَى وَمَنْ كَأَبِي الحَجَّاجِ مَاحِي دُجَى الكُفْرِ[1]

ويذكر حادثة اغتياله أثناء سجوده لصلاة عيد الفطر، حيث نال الشهادة من يد شقي، حقير الذات، والخلق، والقدر.

تَوَلَّى شَهِيدًا سَاجِدًا فَي صَلاَتِهِ أَصِيلَ التُّقَى رَطْبَ اللِّسَانِ مِنَ الذِّكْرِ
وَبَاكَرَ عِيدَ الفِطْرِ وَالأَمْرُ مُبْرَمٌ وَلَيْسَ سِوَى كَأْسِ الشَّهَادَةِ مِنْ فِطْرِ
أُتِيحَ لَهُ وَهُوَ العَظِيمُ مَهَابَةً وَقَدْرًا، حَقِيرُ الذَّاتِ وَالْخَلْقِ وَالْقَدْرِ
شَقِيٌّ أَتَتْهُ مِنْ لُدُنْـهُ سَعَادَةٌ وَمُنْكَرُ قَوْمٍ جَاءَ بِالحَادِثِ النُّكْرِ[2]

د–الهجاء: من الأغراض التي اشتمل عليها الديوان، ومن خلال القصائد ندرك مدى قدرة الرجل على إظهار العيوب، وابتكار أساليب القذع والشتم وتتبع العثرات والمثاليب، ويصف هجاءه المقري بقوله:« وقد أقذع وبالغ في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال، وهو أشد من وقع النبال»[3] .

يقول ابن الخطيب يهجو ساقطا أفرط في الخنزوانة وتناهي، وفخر بالغرض الحائل وباهي، حيث يصف هذا الساقط بأوصاف قذرة، يستحي من ذكرها القلم فضلا عن اللسان، فهو طلعة الشؤم، ووقفة الناعي بمقتل عزيز غال، وزورة الألم الذي يسبق الموت، وصبغة الشيب المنذر بارتحال الشباب...

فالدهر يشتكي من عاره، والزمان يتبرم من عيوبه، ويغضبه ندامة، فلا يستطيع أن يرفع رأسه في محفل، ولا يفتح عينيه في مجمع من سوء ما أتى به من أفعال قبيحة، وارتكبه من أعمال منكرة:

يَا طَلْعَةَ الشُّؤْمِ الَّتِي مَهْمَا بَدَتْ يَئِسَتْ عُفَاهُ النُّجْحِ مِنْ أَسْبَابِهِ
يَا وَقْفَةَ النَّاعِي بِمَقْتَلِ وَاحِدٍ أَذْكَى عَلَى الأَحْشَاءِ حَرَّ مُصَابِهِ
يَا زَوْرَةَ الأَلَمِ الّذي يُرَى جَاءَتْ رِكَابُ المَوْتِ فِي أَعْقَابِهِ

(1)– لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام. ص:531 .
(2)– المصدر نفسه . ص : 532 .
(3)– المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج7. ص:256.

يَا صِبْغَةَ الشَّيْبِ الْمُلِمِّ بِعَارِضٍ زَجَرَتْ حَمَائِمُهُ غُرَابَ شَبَابِـهِ
يَا خَجْلَةَ مِنْ ضَارِطٍ فِي مَحْفَلٍ تَبْقَى غَضَاضَتُهَا عَلَى أَعْقَابِـهِ
يَا مَنْ تَشَكَّى دَهْرُهُ مِنْ عَارِهِ يَا من تَبَرَّمَ دَهْرُهُ مِنْ عَابَـهِ
يَا مَنْ يَغَصُّ بِهِ الزَّمَانُ نَدَامَةً مِنْ كَفِّهِ،وَتَرَاهُ قَارِعَ نَابِـهِ
وَيَغَصُّ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ جُفُونَهَ مِنْ سُوءِ مَا قَدْ جَاءَهُ وَأَتَى بِهِ[1]

هـ-الإخوانيات: هذا العنوان يندرج تحته عدد كبير ن قصائد ومقطوعات الديوان، في أغراض شتى، كتبها ابن الخطب إلى بعض أساتذته ومعلميه، وأصدقائه، وأقاربه، وهي في العتاب، أوفي الإجابة عن كتاب، أو مواساة لمصاب، أو شكر على هدية، أو فك لغز،أو استفتاء، أو مداعبة، أو تهنئة، أو إجازة عن بيت،وغيرها كثير، وهي منتشرة في ثنايا الديوان، ولا ترتفع إلى المستوى الجيد، بل تكاد تقترب من النثر العادي، وكثير منها قالها ومن دون روية أو تفكير طويل.

كتب ابن الخطيب إلى مرزوق، معاتبا، على اختصار الرسائل التي ترد من البلاط المريني إلى البلاد الغرناطي:

أجِلُّكَ أنْ يُلِمَّ بِكَ العِتَـابُ وَوُدُّكَ لاَ يُدَاخِلُهُ ارْتِيَـابُ
وَاسْتَعْدِي عُلاكَ عَلَى اخْتِصَارٍ إِذَا مَا عَادَ لِي مِنْكَ الْجَوَابُ[2]

وأجاب أستاذه أبا الحسن بن الجياب عن قصيدة متعددة الأغراض، يشكره ويثني عليه، ويعترف بفضله، وينزله منزلة والده، يأوي إليه، ويتقلب في مرضاته، ويرجو أن يتقبل قصدته على ما فيها، لأنها بنية ساعة:

زَارَتْ وَقَدْ صَرَفَ العِنَانَ الْغَيْهَبُ وَالصُّبْحُ يُنْشَرُ مِنْهُ بَنْدٌ مُذْهَبُ
إِيهٍ أَبَا حَسَنٍ بِأَي عِبَـارَةٍ أَثْنِي عَلَى عُلْيَاكَ عَزَّ المَطْلَبُ
أَمَحلَ وَالدِي الَّذِي لِجِنَابِـهِ آوي، وفِي مَرْضَاتِهِ أَتَقَلَّبُ
فامْدُدْ لهَا كُفًّا بُنِيَّهَ سَاعـةٍ لَكِن أبُوهَا دُونَ فَخْرٍ مُنْجِبُ[1]

---

[1]- لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام. ص:297-298.

[2]- المصدر نفسه . ص:298.

[1]- لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام. ص: 253-254.

و-<u>المولديات</u>: في الديوان نقع على قصائد مولدية قالها ابن الخطيب في فترات من حياته. و المولدية عنده تتألف من مقاطع ثلاثة:

أ- مطلع غزلي تقليدي.

ب- مديح للرسولﷺ وذكر معجزاته والحوادث على أيامه، وتوسل به، وتشوق إلى زيارته، ورجاء في شفاعته، وإقرار بالعجز عن الإحاطة بمكارمه وأخلاقه.

ج- وأخيرا يتخلص إلى مدح من رفعت إليه: يقول في المولدية التي رفعها إلى أبي سالم عام 763هـ، ويبدأها بذكر نجد وحاجز، ويكني بدعد وسعدى:

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْـدَا … وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحَ وَالوَجْدَا

سَقَى اللَّهُ نجْدًا مَا نضحت بذكرها … عَلَى كَبِدِي إِلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَـرْدَا

وَآنَس قَلْبِي فَهْوَ لِلْعَهْـدِ حَافِظٌ … وَقَلَّ عَلَى الأَيَّامِ مَنْ يَحْفَظُ العَهْدَا

أَأَجْحَدُ حَقَّ الحُبِّ وَالدَّمْعُ شَاهِدٌ … وَقَدْ وَقَعَ التَّسْجِيلُ مِنْ بَعْدِ مَا أَدَّا

لِي اللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ وَحَاجِزٍ … وَأَكْنَي بِدَعْدًا فِي غَرَامِي أَوْ سُعْدَا

وقبل الانتقال إلى المقصود، يخاطب الركب الحجازي، ملتمسا منه أن يبلغ شوقه إلى رسول الله، وحنينه إلى زيارته، نيابة عنه، وذلك إذا وصل إلى المدينة المنورة‹**طيبة**› وجاء القبر المقدس.

نَشَدْتُكَ يَا رَكْبَ الحِجَــازِ تَضَاءَلَتْ … لَكَ الأَرْضُ مَهْمَا اسْتُعْرِضَ السُّهْبُ وَامْتَدَّا

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطِيبَـةٍ … وَجِئْتَ بِهَا القَبْرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْـدَا

وَآنَسْتَ نُورًا مِنْ جَنَـابِ مُحَمَّدٍ … يُدَاوِي القُلُوبَ الغُلْفَ وَالأَعْيُنَ الرَّمْدَا

فَنُبْ عَن بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الحِمَى … وَأَذْرِ بِـهِ دَمْعًا وَعَفِّرْ بِـهِ خَـدًّا

وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ … خُطَاهُ، وَأَضْحَى مِنْ أَحِبَّتِهِ فَرْدَا

وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ بَعْدِ مَا بعُدَ المَدَى … سِوَى لَوْعَةٍ تَعْتَادُ أَوْ مَدْحَةٍ تُهْدَا

ثم يخلص إلى المديح، ويعتذر عن تقصيره، وعجزه، لأن القرآن لم يترك مجالا لمادح:

تَقَدَّمَتْ مُخْتَارًا تَأَخَّرْتَ مَبْعَثًا … فَقَدْ شَمِلَتْ عَلْيَاؤُكَ القَبْلَ وَالبَعْدَا

بِمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ … وَلَمْ يَألُ فِيكَ الوَحْي مَدْحًا وَلاَ حَمْدَا

ويستعرض الخوارق التي ظهرت في ليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام:

بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ الْوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ … قُصُورٌ بِبُصْرَى ضَاءَتِ الهَضَبَ وَالْوَهْدَا

وَمِنْ رُعْبِهِ الأَوْثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً … وَمِنْ هَوْلِهِ إِيْوَانُ فَارِسَ قَدْ هُدَّا

رَعَى اللَّهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ الهُدَى   عَلَى الأَرْضِ منْ آفَاقِهَا الْقَمَرَ السَّعْدَا[1]

<u>2-ديوان ابن جابر الهواري الأندلسي</u>:إنه معلم هام من معالم الشعر في العصر المملوكي، لأنه يصوره خير تصوير،ويعطينا صورة واضحة جلية عنه، وعن تعاظم الروح الدينية فيه بشكل لافت للنظر لأسباب عدة، لعل أهمها حروب الفرنجة في المشرق العربي وفي الأندلس والمغرب العربي والتي سميت بالحروب الصليبية، وفي الأندلس حروب الاسترداد، يريدون بها القضاء على الإسلام والمسلمين وهدم ضريح الرسولﷺ، ثم الغزو المغولي الوحشي الآتي من الشرق حاملا الدمار والخراب، وما أدت إليه هذه الحروب من إيقاظ الجهاد في جميع أبناء الأمة سواء أكانوا حكاما أم شعوبا، يريدون دفع العدوان والحفاظ على المقدسات والوطن والوجود، وكذلك ازدهار التصوف والزهد

[1]- لسان الدين الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام. ص: 478.

وانتشارهما انتشارا واسعا وتقريب السلاطين والحكام لرجالاتهما والعناية بهم وبأشعارهم، وبخاصة شعر ابن الفارض الذي نستطيع وبسهولة أن نجد تشابها بين ميميته التي مطلعها:

هلْ نارُ ليلَى بدتْ ليلاً بذِي سَلَمِ أمْ بارقٌ لاحَ في الظلْمَاءِ مِنْ إضَمِ

وبردة البوصيري التي مطلعها:

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذِي سَلَمِ مزجْتَ دمعًا جَرَى مِنْ مقلةٍ بِدَمِ

ويبدو هذا التشابه في الوزن والروي والمطلع وبعض المعاني[1].

ثم كثرة الطواعين والزلازل والجوائح، الأمر الذي دفع الأدب إلى أن يهب مدافعا، فظهر عند كثير من شعراء هذا العصر نزوع إلى مدح الرسول ﷺ وتمجيده بقصائد طويلة تتحدث عن صفاته وتدحه وتمجد دينه.

وفضلا عما تقدم هناك أسباب أخرى لازدهار المديح النبوي، منها إحساس الناس بالتقصير في حفظ ذلك التراث المجيد الذي بناه الرسول ﷺ، وما رأوه من تعظيم الفرنجة لعيسى عليه السلام وعنايتهم بميلاده[2]، ومنها أيضا مدائح الرسول وآل بيته الكرام ﷺ التي قيلت في حياته ﷺ، مثل دالية الأعشى ولامية كعب بن زهير ومدائح حسان بن ثابت، والتي قيلت بعدها، مثل ميمية الفرزدق وبعض أشعار الكميت والشريف الرضي ومهيار الديلمي إلى البوصيري وما بعدها[1] . وكذلك منها انتشار عادة الاستشفاع بالرسول ﷺ في عهد الفاطميين، ثم عنايتهم وعناية الذين أتوا بعدهم من أيوبيين ومماليك بالحج وقوافله وطرقه، وظهور المحامل وما كان يرافقها من احتفالات دينية في الذهاب والإياب.

كل ذلك كان يضفي على الحج طابعا مميزا محببا يثير عواطف الشعراء فنظموا قصائدهم النبوية شعرا فياضا بالأحاسيس الصادقة التي تعبر عن أعماق وجدان الأمة .

---

(1)– محمود سالم محمد . المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي.(د،ط).دار الفكر، دمشق، 1996م. صص: 201–203 .

(2)– شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات(الجزيرة العربية والعراق وإيران). جامعة حلب،1994م . ص: 409.

(1)– محمود علي مكي . المدائح النبوية .صص: 14–67.

ومنها أيضا ما نسج حول بردة البوصيري النبوية من حكايات تناقلها الناس مكبرين معظمين على مر السنين. ثم ما كان لشراء تاج الدين بن بهاء الدين بن حنا وزير الملك الظاهر بيبرس[2] لمكان مهيب على شاطئ النيل أودع في الآثار النبوية الشريفة التي اشتراها بمال عظيم من أثر في ازدهار فن المديح النبوي[3]. كما يجب أن نذكر من هذه الأسباب أيضا ظهور فكرة مجاورة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة والمسجد الحرام في مكة المكرمة، وهي نوع من الهروب لفترة من هذا العالم وما فيه، ليستعيد الإنسان السكينة والطمأنينة والتوازن ابتغاء أن يعود إلى الحياة ثانية وهو أشد قوة وصبرا وبصيرة، ولعل أهم هؤلاء المجاورين قبل ذلك العصر أبو حامد الغزالي وجار الله الزمخشري وملك النحاة أبو نزار الحسن بن أبي الحسن الذي مدح الرسول ﷺ بقصائد عدة، الأمر الذي جعله أول شاعر مدح الرسول ﷺ بهذا العدد من القصائد، وقد دفعه إلى ذلك أنه لم يجد في رجالات عصره، وهو المتوفى عام 568هـ، من ستحق مدحه رغم جولاته الواسعة .

كل ما تقدم من أسباب أدى إلى كثرة شعر المديح النبوي وكثرة شعرائه المادحين، ويكفينا دليلا على ذلك (المجموعة النبهانية في المدائح النبوية) ذات الأجزاء الأربعة الكبيرة ليوسف النبهاني، ولم يقف الأمر بالشعراء عند إكثارهم من المديح النبوي، بل لقد ألف بعضهم ديوانا خاصا بمدحه ﷺ، وإذا كان بعضهم ينتمي إلى ما بعد هذا العصر اليعمري،وديوانه(بشرى اللبيب بذكر الحبيب)، والشهاب حمد بن سليمان، وديوانه(أهنى المنائح في أسنى المدائح)[1]. وابن جابر الأندلسي شاعرنا، وديوانه(نظم العقدين في مدح سيد الكونين).

وأما معاني المديح النبوي، وبإيجاز شديد جدا، كانت كثيرة متنوعة خصبة، إذ لم يترك الشعراء، ومنهم شاعرنا ابن جابر، صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بالرسول ﷺ من قريب أو من بعيد إلا أحصوها، وذكروها في أشعارهم، وتناولوها تناول العاشق الهيمان،

---

(2)– خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات،ج1. تحقيق: س ديورينغ ، طبع : فرانتز شتاينر، فيسبادن، ألمانيا،1974م . ص :217 .

(3)– عمر موسى باشا. أدب الدول المتتابعة.(د، ط). دار الفكر الحديث، بيروت، 1967م . صص :458–459 .

(1)–أحمد أحمد البدوي. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية.ط4. مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د، ت). ص : 517.

وأفادوا في ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وشعر السابقين[2] . ونجد ذلك واضحا مجسدا في ديوان ابن جابر الأندلسي .

2-1- طبعات الديوان:

اعتمد الدكتور **أحمد فوزي الهيب** في تحقيق هذا الديوان على أربع مخطوطات هي:

أ- نسخة مصر: أحضرت من دار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، في القاهرة، ورقمها 1061 شعر، تيمور، وساعد على ذلك مدير مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة أ.د.عبد الباسط بدر. وعنوانها "**نظم العقدين في مدح سيد الكونين**" ، وهو مثبت في آخرها. وعدد أوراقها 149ورقة، تحتوي كل منها صفحتين متقابلتين، كتب في كل منهما عشرون بيتا أو سطرا، فضلا عما كتب في الهوامش،وهو كثير في بعض الأوراق. وساعدتنا هذه النسخة في التأكد من صحة ترتيبنا لأوراق نسخة وزارة الأوقاف العراقية التي سنتحدث عنها لاحقا، لأنها وصلت إلينا متأخرة.وهي تامة ما عدا ورقة العنوان. رتبت فيها القصائد وفق قوافيها على ترتيب المشرق العربي، والذي غدا الآن شائعا عند العرب والناطقين بالعربية جميعا. ومع ذلك فقد وجدنا فيها نقصا فيه بعض القصائد الزائية والسينية والشينية والصادية، لم نستطع استكماله، لأنه، أي النقص،مكرر في نسخة وزارة الأوقاف العراقية، الأمر الذي يعني،مع تطابقهما، أنهما قد نقلتا من مصدر واحد. كما لم تستطع بقية النسخ الإفادة في ذلك .

كتبت هذه النسخة بخط نسخي، وقد أثبت ناسخها في آخرها أنه انتهى منها يوم الأحد12 من ذي الحجة عام 881هـ من غير أن يذكر اسمه ولا مكان النسخ، وهذا يعني أنها قد كانت بعد وفاة الشاعر بقرن واحد فقط،لأن الشاعر قد توفي عام 780هـ،الأمر الذي جعله يقدمها على أخواتها،ويضعها في المقام الأول، ويعدها النسخة الأم. وقد رمز إليها بالحرف‹**م**› .

ب-نسخة العراق: تم إحضارها من مديرية الآثار العامة، حيازة المخطوطات، مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، ورقمها فيها 491، بوساطة جمعية إحياء التراث الإسلامي، مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت عام 1989م. وعنوانها "**نظم العقدين في مدح سيد الكوْنين**" .وعدد أوراقها 185ورقة، احتوت كل من صفحتيها 21 بيتا أو سطرا وقد

---

[2]- أحمد فوزي الهيب . الحركة الشعرية زمن المالك في حلب الشهباء .(د، ط).مؤسسة الرسالة، بيروت،1986م.ص:100 وما بعدها .

أعيد تجليدها من غير عناية، فاختلطت أوراقها، الأمر الذي اضطرنا إلى تقسيم كل ورقة إلى صفحتين اثنتين، لنتمكن من إعادة ترتيبها من جديد مستعينين بالترتيب الألفبائي للقصائد وأوزانها وقوافيها، ثم تأكدنا من صحة ترتيبنا بعدما نقصا من أولها، قدره 14 ورقة، ضمت ثلاث قصائد همزية وجزءا كبيرا من القصيدة المقصورة، استكملناها من بقية النسخ. وفيها أيضا النقص الموجود في النسخة التيمورية نفسه، لأنهما نسختا من مصدر واحد على الأرجح .وأما خطها فنسخي جيد واضح إلى حد كبير. وقد رمز إليها بالحرف‹ع›.

ج-نسخة برلين:أحضرت من المكتبة الوطنية في برلين، ورقمها فيها(7867we1738)،وعليها خاتم مكتبة دولة برلين في حكومة (فيلهلم الأول) عام 1868م،وعدد أوراقها67 ورقة، تضم كل منها صفحتين،في كل منهما 19 بيتا وسطرا.

بدأت هذه النسخة بداية سليمة دقيقة جيدة، واستمرت كذلك إلى القصيدة قبل الأخيرة من قصائد حرف الدال، التي بدأ فيها نقص استمر إلى قصائد حرف الكاف، الأمر الذي يدل على أن عدد الأوراق الساقطة الضائعة 68 ورقة تقريبا، وفضلا عن ذلك وجد فيها نقصا آخر في نهايتها، يبدأ في قصيدة لامية إلى آخرها، وهذا أضاع علينا اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتحديد مكانه. ولعل سبب ذلك تفسخ أوراق المخطوط مما أدى إلى ضياع بعضها، وإعادة تجليده من غير الانتباه إلى ذلك جهلا أو إهمالا ومع ذلك يرى المحقق أنها أفادتنا إفادة جليلة لوضوح خطها وجماله وضبطه ورمز إليها بالحرف‹أ›.

د-نسخة فرنسا: ورقمها في المكتبة الوطنية في باريس1051، وعليها خاتمها، وكتابة لاتينية تذكر ما فيها من كتب ومنظومات في العروض والقوافي والنحو واللغة، بلغ عددها اثني عشر في 259 ورقة. منها قصيدة واحدة لابن جابر،وهي المقصورة الشهيرة التي التزم في كل عشرة أبيات منها حرفا من حروف المعجم قبل حرف الألف الذي التزمه في جميع أبياته الثلاثمئة، وقد جاءت في تسعة أوراق فقط، في كل منها ثمان وثلاثون بيتا موزعا على صفحتيها، الأمر الذي جعل الإفادة منها قليلة من حيث عدد أوراقها، وتكمن القيمة العلمية الجليلة لهذه النسخة لما فيها من حواش كثيرة مفيدة شرحت غريبها ولوضوح خطها وجماله وضبطه. كما زاد من قيمتها أيضا قدمها، إذ كتبت في ، كما هو مبين في آخرها،في 16 رجب عام 770هـ آي في حياة الشاعر ابن جابر، بل قبل وفاته بعشر سنين ثم ناسخها، وهو أحمد بن محمد بن يوسف الرعيني الغرناطي ابن أخي أبي جعفر

رفيق ابن جابر، وصاحبه في حله و ترحاله، ماعدا سنوات عدة في آخر عمرهما، افترقا فيها لزواج ابن جابر في مدينة البيرة شمال شرق حلب. كما أن الناسخ قد ذكر مكان نسخه لها، وهو المدينة المنورة، وقد أحضرت هذه النسخة بوساطة جمعية إحياء التراث الإسلامي، مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت. ورمز إليها بالحرف‹**ف**›.

وفضلا عن ذلك أفدنا كثيرا من المصادر التي ورد فيها بعض شعر الديوان، مثل نقح الطيب ن غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني، والمجموعة النبهانية في المدائح النبوية .

2-3-العنوان: إن ما يلاحظ على عنوان الديوان هو ذلك الاختلاف البسيط، ففي نسخة العراق وجدناه "**نظم العقدين في مدح سيد الكونين**" في بدايته ونهايته، وكذلك أيضا في نسخة دار الكتب المصرية. وتابعها في ذلك شوقي ضيف[1]، كما أكد ذلك أيضا يوسف بن اسماعيل النبهاني في تقديمه لإحدى قصائد ابن جابر الأندلسي في كتابه«**المجموعة النبهانية**»[2] .

أما في نسخة برلين فالعنوان "**الغين في مدح سيد الكونين**"، واعتمد ذلك العنوان خير الدين الزركلي[3]، وعمر فروخ[4].و**الغين**، لغة، **الشجر الكثيف الملتف أو** الغيم،ولكنه، أي

---

[1]– شوقي ضيف . تاريخ الأب العربي، عصر الدول والإمارات(الأندلس). ص:376.

[2]– يوسف بن إسماعيل النبهاني.المجموعة النبهانية في المديح النبوي، ج3. دار المعرفة، بيروت، 1974م. ص:351 .

[3]– خير الدين الزركلي. الأعلام.دار العلم للملايين،ج5. بيروت، 1984م. ص: 328.

[4]– عمر فروخ. تاريخ الأدب العربي.ط3. دار العلم للملايين، بيروت،1981م. ص: 531

الغين، في التصوف، هو ذهول عن الشهود واحتجاب عنه مع صحة الاعتقاد[5]. أو الخلوة مع صحة الاعتقاد[6] .

وبناء على ما سبق رجح المحقق الدكتور أحمد فوزي الهيب العنوان الأول"**نظم العقدين في مدح سيد الكونين**"،لأنه ورد في أقدم النسخ المخطوطة وأكملها. ولم يهمل العنوان الثاني "**الغين في مدح سيد الكونين**"،وإنما جعله أسفل العنوان الأول بين قوسين إتماما للفائدة ومنعا لأي لبس.

2-4-أهم أغراضه الشعرية:

لقد كانت موضوعات شعر ابن جابر في ديوانه"**نظم العقدين في مدح سيد الكونين**"، تدور كلها حول مدح الرسول ﷺ، كما طرق مواضع الشعر العربي المعروفة كالغزل والحكم والمواعظ .

أ-المدح: لقد خصص ابن جابر حيزا كبيرا من ديوانه في مدح **خير الأنام** . يقول في هذه الأبيات.

رحلُوا فكيفَ يَطِيبُ بعدُ ثَـواءُ ... أمْ هلْ لدَاءِ الشَّوْقِ مِنْكَ دَوَاءُ
قعدتْ بكَ الأيامُ فانتهَضَتْ بِهِمْ ... هِمَمُ بها تَتَمَسَّكُ الجـوزَاءُ[1]
قومٌ تضيءُ مع الدُّجَى عزَماتُهُمْ ... حتَّى تُمِيطَ قناعَهَا الظلمَـاءُ
فإذَا هُمُ سمعُوا بذكرِ محمَّدٍ ... طرَدَ المَنَـامَ تـأَوَّهٌ وبكَـاءُ
إنْ أوْقَدُوا فمن الجوانِحِ نَارُهُم ... أو أورَدُوا فَمِنَ الجفُونِ المَـاءُ
سارُوا يَؤُمُّون التي ضُمَّت بها ... مِنْ خيرِ مَنْ وطِئَ الثَّرَى أعضَاءُ[2]

ويقول أيضا:

شَوقٌ بأثنـاءِ الضلوعِ تأجَّجَا ... طرَدَ الكرَى عَنْ مُقْلَتَـيَّ وأَزْعَجَا
مَا شاقنِـي إلا الحداةُ وقولُهُمْ ... حُثُّوا المطَايَا والْبِسُوا قُمُصَ الدُّجَى
ذُكِرَ النَّبيُّ الهاشمـيُّ فلمْ تَزَلْ ... تجرِي الدموعُ تشوُّقًا وتهيُّجًا

---

[5]- الجرجاني. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت،1967م. ص:210.

[6]- ابن الفارض. الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين.دار الكتب العلمية، بيروت،1990م. ص:43 حاشية رقم : 09.

[1]- هو برج في السماء، يضرب المثل بعلوه .

[2]- ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص: 23.

يا سائِقَ الأظعانِ شأنكَ والسُّرَى و اطوِ المناهِلَ مُسْحِرًا أو مُدْلِجًا
وارفقْ بنا فالشُّوقُ منَّا قدْ بَرَى مُهَجًا وقدْ شكتِ المطيُّ مِنَ الوجَا
دعها فإنَّ الشوقَ يجذِبُهَا إلَى تلكَ الديَارِ وإنْ يكنْ ليلٌ سجَا
يا أيُّهَا الحادي وشوقُكَ شَوْقُنَا سرْ عنْ يمينِ الواديينِ مُعَرِّجَا[3]

فهو يعبر عن ما يختلج في داخله من أشواق إلى النبي الكريم.

ويقول وهو بصدد طلب الشفاعة من المصطفى:

يا سيِّدَ الرسْلِ عبدٌ قدْ أَتَى ولَهُ مِنْ سالفِ الذَّنبِ تخويفٌ و تخجِيلُ
يرجُو شفاعَتَكَ العُظْمَى إذا اشتعَلتْ نارٌ على مَنْ عصى منها سرابِيلُ
وقدْ أَتَيْتُ بِضِعْفَيْ ما أَتَاكَ بهِ كَعْبٌ على أنَّ باعي ما لها طُولُ
فإنْ قبلْتَ ونالتْنِي مراحمُ قَدْ نالتْهُ لمْ يبقَ لي مِنْ بعدِهَا سولُ[4]

فهو الوحيد الذي ترجى شفاعته.

ب–<u>المواعظ والحكم</u>: ففي باب حرف الراء تناول ابن جابر قصيدة مشتملة على مواعظ وحكم. هي:

عِلْمُ الحديثِ أجلُّ السؤُلِ والوَطَرِ فاقْطع بهِ العيشَ تُدرِكْ لَذَّةَ العُمُرِ
وانقلْ رِحالَكَ عنْ مَغْنَاكَ مُرتحلاً لكيْ تفوزَ بنقلِ العلمِ والأثرِ
ولا تَقُلْ عاقَنِي شُغْلٌ فليسَ يُرَى في التَّرْكِ للعلْمِ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتذِرِ
وأيُّ شغلٍ كَمِثْلِ العلمِ تطلبُهُ ونَقْلِ ما قدْ رَوَوْا عنْ سيِّدِ البشَرِ
لا تفخرنَّ بدنيَا لا بقَاءَ لَهَا وبالعفافِ وكَسْبِ العلْمِ فافتخرِ
تفْنَى الرجالُ ويُبقي علمُهمْ لهمُ ذكرًا يُجدَّدُ في الآصالِ والبُكَرِ
ويذهبُ الموتُ بالدنيا وصاحِبِها وليسَ يَبْقَي لهُ في الناسِ منْ أثَرِ
تظنُّ أنك فِي الدُّنْيَا أخُو كِبَرٍ وأنتَ بالجهْلِ قدْ أصبَحْتَ ذا صِغَرِ
والناسُ أخلاقُهُمْ شتَّى وأنفُسُهُمْ منهمْ بصيرٌ ومنهمْ مُخطِئُ النظَرِ
فأصوَبُ النَّاسِ رأيًا مَنْ تَصرُّفُهُ فيما بِهِ شرَفُ الألبابِ والفِكَرِ

[3]– المصدر نفسه . ص :121 .
[4]– المصدر نفسه . ص :435 .

إنَّ القناعةَ مالٌ لا نفادَ لهُ فاقنعْ تعشْ ذا غنى خالٍ منِ الغيَرِ

فالفقْرُ أهونُ مِنْ ذُلِّ السؤَالِ ولو نلتَ الغنى كيفَ إنْ تُعْطَ مِنْ وَطَرِ

فالبخْلُ للمرءِ عندَ الناسِ داعيَةٌ للعبدِ عنهمْ وذنبٌ غيرُ مغتفَرِ[1]

طبعا هذه جل الأغراض الشعرية الموجودة في ديوان ابن جابر، والتي تدور حول الرسول ﷺ بالإضافة إلى الحكم والواعظ .

III-موضوعات قصيدة المديح النبوي: قصيدة المديح النبوي في الأندلس في القرن الثامن الهجري عند لسان الدين بن الخطيب وكذا مواطنه ابن جابر قصيدة مركبة لا يخرج الشعراء في بنائها عن بناء القصيدة العربية المعروفة ويمر الشاعر في بنائها بمحطات رئيسية ثلاث هي:المقدمة، الموضوع أو الغرض، و الخاتمة.

إن الموضوع الأساسي الذي أنشئت من أجله قصيدة المديح النبوي، هو مدح النبي ﷺ.وقد حفل ديوانا لسان الدين وابن جابر بمدح النبي ﷺوالإشادة برسالته العلمية السامية كما وصفا جماله الخلقي وحسن جماله الذي سحر العقول، وحاولا الشاعران ترسيخ حب النبي ﷺ في قلوب الناس وشد نفوسهم إلى السنة النبوية الشريفة، ويمكنني أن أرصد جملة من الموضوعات تمحورت في المديح النبوي وهي:

1-عند لسان الدين بن الخطيب:

1-1-الشوق والحنين للنبي ﷺ:أفصح الشاعر عن شوقه لزيارة قبر النبي وحاول استظهار مشاعره الطيبة السامية أمام هذا الموقف الرهيب،مظهرا حبه وعشقه لشخص النبي ﷺ،فقد أرهقت نوائب الدهر نفسه، وهو في حاجة للحظة البوح والاعتراف بالذنوب

[1]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص :213 وما بعدها.

أمام سيد الخلق أجمعين، والتضرع لله تعالى أن يغفر تقصيره وإسرافه على نفسه، فقد خير ابن الخطيب رفيقيه بين أن يتركاه يحث الخطى مرتحلا إلى الحجاز، ليروي ظمأه منه، أو أن يطفئ نار الشوق والوجد في فؤاده، ثم تحدث عن دمعه الهتان، كلما هبت ريح الصبا حاملة من المشرق شذا الرسولﷺ،وعن أشواقه إلى البرق الحجازي وسهده ونفاد صبره إلا من بقية تخفف عنه ما يعانيه من وجد، وعن حنينه إلى نجد وحاجز، وتكنيته بدعد وسعدى، وعن دمعه الفضاح لما يريد أن يكتمه من وجد، قال:

دَعَا عَزَمَاتِي وَالمَطِيَّةَ وَ الوَخْـدَا وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّيَ وَالْوَجْـدَا
وَلاَ تُصْلِيَا دَمْعِي بِتَجْرِيحِ مُقْلَتِـي فَدَمْعِيَ مَقْبُولٌ عَلَى القَلْبِ مَـا أَدَّا
أَلَمْ تَرَيَانِـي كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا أَبُلُّ بِهَا مِنْ نَارِ لَوْعَتِـيَ الخَـدَّا
وَأَصْبُو إِلَى البَرَقِ الحِجَازِّي كُلَّمَا أَجَالَتْ أَكُفُّ الأُفُقِ فِي آسِيهَا الزَّنْدَا
وَمَا كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ جَفْنِيَ سَاهِرًا نَعَمْ، هَجْرُ سُعْدَى عَلَّمَ المُقْلَةَ السُّهْدَا
وَلَمَّا تَفَانَى الصَّبْرُ إِلاَّ صَبَابَـةٌ تُسَهِّلُ مِنْ وَقْعِ الحَوَادِثِ مَا اشْتَدَّا
حَنَنْتُ إِلَى العَهْدِ القَدِيمِ الَّذِي قَضَـى حَمِيدًا فَمَا أَغْنَى الحَنِينُ وَلاَ أَجْدَى
لِيَ اللَّهُ كَمْ أَهذي بِنَجْدٍ وَحَاجِرٍ وَأَكْنِى بِدَعْدٍ فِي غَرَامِيَ أَوْ سُعْدَى
وَمَا هِيَ إِلاَّ زَفْرَةٌ هَاجَهَا الهـوَى وَأَبْدَى بِهَا تَذْكَارُ يَثْرِبَ مَا أَبْـدَا
وَكَم قَدْ كَتَمْتُ الشُّوقَ لَوْلاَ مَدَامِعٌ يُرْوِي حَدِيثَهَا المَحَاجِر وَالخَـدَا
وَتَخْرُجُ مِنْ بَحْرِ الجُفُونِ جَوَاهِراً تُحَاجِي بِهَا مَنْ أَذْكَرَ الجَوْهَرَ الفَرَدَا(1)

ثم تساءل مستنكراً:أهناك تعليل لنفسه بعد رحيل ركب الحجيج إلى الحجاز، وأنى له أن يصبر إلى العام القادم.

أَبَعْدَ سُرَى الرَّكْبِ الحِجَازِيِّ مُوْهِناً أَمُدُّ لِنَفْسِـي فِـي تَعَلُّلِهَا مَـدًّا
وَأَرْجِعُ عُمْرِي مِنْ زَمَانِي لِقَابِـلٍ كَأَنِّيَ قَدْ أَحْصَيْتُ أَيَّامَـهُ عَدًّا(2)

ثم رفع صوته منادياً راجياً حداة الركب بما بينه وبينهم من مودة أن يخبروا الرسولﷺ بحاله وغربته وشوقه ورغبته بزيارته:

أَلاَ يَا حُدَاةَ الرَّكْبِ يَبْغُونَ يَثْرِبًا وَيَلْقَوْنَ فِي اللهِ السَّأْمَةَ وَالجَهْـدَا
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خُلَّةً طَابَ ذِكْرُهَـا إِذَا فَرَّغَتْ عُوجُ المَطِيَّ بِكُمْ نَجْـدَا

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب. مقدمة ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام .صص:479–480.

(2)– المصدر نفسه. ص: 480 .

وَأَبْصَرْتُمُ نُورَ النُّبُوَّةِ سَاطِعـًا قَدِ اكْتَنَفَ التُّربَ المُقَدَّسَ وَ اللَّحْدَا
وَ نَاجَيْتُمَا مِنْ مَطْلِعِ الوَحْيِ رَوْضَةً أعَدَّ لَهَا اللَّهُ السَّعَادَةَ وَ الخُلْـدَا
وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ خَافِقٌ فِـي شِغَافِـهِ وَلاَ طَرْفَ إِلاَّ مِنْ مَهَابَتِهَا ارْتَـدَّا
مَعَاهِدُ مَدَّ الغيمُ فَضْلَ رُوَاقِـهِ بِهَا، وَكَسَاهَا مِنْ نَسِيجَتِهِ بُـرْدَا
وَهَبَّ العَليلُ اللَّدْنُ مُسْتَشْفِيًا بِهَا فَكَانَ الدَّوَاءَ الْبَانَ وَالشِّيحَ وَالرَّنْدَا
فقولُوا رَسُول اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِـهِ وَأكرم مختارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْـدَا
غَرِيبٌ بِأَقْصَى الغَرْبِ طَالَ اشْتِيَاقُهُ فَلَوْلاَ تَعِلاَّتُ الْمُنَى لَقَضَى وَجْـدَا
يُؤَمِّلُ نَيْلَ القُرَبِ وَالذَّنْبُ مُبْعِدٌ وَقَدْ سُدَّ مِنْ طُرْقِ التَّخَلُّصِ مَا سُدَّا[3]

واللافت للنظر في الأبيات السابقة تلك العاطفة المشبوبة الصادقة المشبعة بالروح الصوفية الهائمة بحب الرسولﷺ، وذلك التبجيل الكبير الذي رأيناه في المعاني، كما رأيناه في أسلوب الأبيات الرصين المحكم الذي اختاره لسان الدين، ليناسب منزلة الحبيب القريب إلى القلب مع سموه ورفعته، فهو القريب البعيد، البعيد القريب.

1-2-التغني بفضائل النبيﷺ: لقد تغنى الشاعر بفضائل الرسولﷺعلى الأمة الإسلامية جمعاء، فقد مدحه ابن الخطيب بأنه ملاذ الخلق وأكرمهم وأعظمهم في حياته وبعدها، ولولاه لما استبان الضلال من الهدى، ولما زالت مثالب الجاهلية ولعلوه علا دينه الأديان، وفتحت جنوده البلاد، قال:

وَلكنَّهُ يَرْجُو الَّذِي أَنْتَ أَهْلُـهُ وَأَنْتَ الَّذِي أَعطَى الجَزِيلَ وَمَا أَكْـدَا
وَأَنْتَ مَلاَذُ الخَلْقِ حَيًّا وَمِيّتـاً وَأَكْرَمُهُمْ ذَاتاً وَأَعْظَمُهُـمْ مَجْـدَا
فَلَوْلاَكَ مَا بانَ الضَّلاَلُ من الْهُدَى وَلاَ امْتَازَ فِي الأَرْضِ الْمُكِبُّ مِنَ الأَهْدَى
وَلَمَا مَحَتْ آيُ الشَّرَائِعِ فِطْرَةً وَأَصْبَحَتِ الأَهْوَاءُ لاَ تَعْرِفُ القَصْـدَا
وَتَعْبُدُ مِنْ دُونِ الإِلَـهِ حِجَـارَةً طَغَامُ رِجَالٍ يَجْعَلُـونَ لَـهُ نِـدًّا
وَقَدْ شُنَّتِ الغَارَاتُ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ فَأَصْبَحَ حُرُّ القَوْمِ عَنْ كَثَبٍ عَبْـدَا
أَرَادَ بِكَ اللَّـهُ انكِحَامَ شَتَاتِهِم وَسَلَّ وَشِيكاً مِنْ صُدُورِهِم الحِقْدَا
وفاضَ على الأَدْيَانِ دِينُكَ واحْتَوَتْ جنودُكَ أَقْصَى الشَّامِ والصِّينِ والهِنْدَا[1]

[3]- المصدر نفسه . صص :480-481 .

[1] – لسان الدين بن الخطيب. مقدمة ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. صص:481-482 .

3-1-تعداد معجزاته ﷺ: يعد تعداد معجزات النبي ﷺ عنصرا أساسيا في بناء قصيدة المديح النبوي،وهو غالبا ما يأتي بعد مدح النبي ﷺ، وتعداد صفاته ومناقبه، وقد يتحدثون عن أوصاف الرسول الحسية، ويمزجون هذه الأوصاف بأوصافه المعنوية فيشيدون بزهده وعفته وكرم أخلاقه، ويرددون بعض أقواله أو يضمنون بعض أحاديثه.

والمعجزة هي أحد مظاهر النبوة فما من نبي إلا وأيده الله تعالى بما يثبت نبوته وصحة رسالته، فقد مدح لسان الدين الرسول ﷺ بالصبر وبالمعجزات الباهرة، ثم دعا الله تعالى أن يصلي عليه قائلاً:

وكَمْ قَدْ تَجَهَّمَتِ الخُطُوبَ كَوَالِحاً   وَصَابَرْتَ لَيْلَ الرَّبْعِ وَهُوَ قَدِ ارْبَدَّا

وكَم قد جَلَوْتَ المعجِزَاتِ عَلَيْهِمُ   شُمُوساً أقَامُوا دُونَهَا اللَّبْسُ والجَحْدَا

وَمَا يُثْمِرُ البُرْهَانُ إلاَّ لَجَاجَةً   إذَا لَقِيَتْ أَنْوَارُهُ أَعْيُناً رُمْداً

فَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ   وَأَشْفَقَ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَأْفَةٍ كَبْدَا(2)

ثم تمنى أن يكون إلى جواره، وأكّده بقوله:

وَيَا لَيْتَ أَنِّي فِي جِوَارِكَ ثَاوِيَا   أُوَسَّدُ مِنْهُ المِسْكَ وَالعَنْبَرَ الوَرْدَا

وَإِنْ فَسَحَ الرحمَنُ فِي العُمْرِ بُرْهَةً   فلا بدَّ مِنْ حَث المَطِيَّةِ لاَ بدَّا(1)

وعاد مرة أخرى إلى رفيقيه اللذين رأيناهما في مطلع قصيدته، ليخبرهما أن القول عاجز عن حصر مناقبه وتعدادها،وعن وفائه حقه، ثم ذكر بعض معجزاته مثل الإسراء والمعراج، وتكليم الله، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك في قوله:

وفِي ليلةِ الميلاَدِ أكبَرُ آيَةٍ   تَخِرُّ الجِبَال الرَّاسِيَاتُ لَهُ هَدَّا

أشادَتْ بهَا الكُهَّانُ قبلَ طُلُوعِهَا   وَمِنْ هَوْلِهَا إيْوَان كِسْرَى قَدِ انْهَدَا

فيَا لَيْلَةً قَدْ عظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهَا   وأنجَزَ للنُّورِ المُبِينِ بِهَا وَعْدَا

وَصَيَّرَ أوثَانَ الضَّلاَلَةِ خُضَّعاً   إلَيْهَا فلم يَتْرُكْ سُوَاعاً ولاَ وُدَّا

وعاجَلَ بِالإِخْمَادِ نيرانَ فارِسٍ   فَلَمْ تُرَ للنيران من بَعْدِهَا وَقْدَا

أعدَّكِ مِيلاَداً لخاتَم رُسْلِهِ   وَأَطْلَعَ فِي آفَاقِكِ الشَّرَف السَّعْدَا

فَصُولِي علَى مَرِّ الزمَانِ وَفَاخِرِي   بهَذَا النَّبِيِّ الحالَ والقَبْلَ وَ البَعْدَا

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نَحُلَّ لَكِ الحُبَا   وَنَقْرِيكَ مِنَّا البِرَّ والشُّكْرَ وَ الحَمْدَا

---

(2) – المصدر نفسه . ص: 482 .

ونَجْعَلُ فِيهَا مِنْكَ عِيداً وَمَشْهَداً   نُ ُشِيعُ مِنَ الذِّكْرِ الحَكِيمِ بِهِ شَهْدَا
وَنَخْلَعُ مِنْ أَمْدَاحِ أَحْمَدَ حُلَّـةً   عَلَيْكَ ومن مَنْظُومِ آيَاتِـهِ عِقْدَا[2]

ولعل من الجدير أن نذكر أن مديحه السابق للرسول ﷺ قد خلا مما ذكره في قصائده الأخرى[3]، وهو الغاية الفلسفية في النبوة، وأن النبي ﷺ علة الكون وسره، وأن لحقيقته مظهرين، أحدهما في عالم الأسرار، حيث تتجلى في ذاته أنوار الحضرة الإلهية، وثانيهما في عالم الحس، حيث هو سبب هداية الناس وشفاء أسقامهم، ولولا أن الله قد اختاره لهذه المهمة، لما كان ذا مظهر بشري قط، لأنه يعلو عليه في الحقيقة. ولا ريب
أن هذا الأخير يشير إلى اعتقاد الصوفية بمهمة الحقيقة المحمدية في الكون، من حيث كونها عماده الرئيس وقوته المدبرة والوساطة بينه وبين الحق، وإذا كان لسان الدين لم يغل في اعتقاده غلو الصوفية، فلا شك أنه كان مولعاً كثيراً بترديد قوله: إن النبي هو

(1)– لسان الدين بن الخطيب. مقدمة ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:482–483 .
(2)– المصدر نفسه . ص : 483 .
(3)–ينظر مثلاً القصيدة رقم 237 من ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام .

العلة الحقيقية للوجود[1].

ومن الطبيعي أن يستمد لسان الدين معاني مديحه للرسول ﷺ من كتب السيرة، وأن يتخذ هذا المديح شكل خطاب الحي الذي يمثل الشاعر أمامه مادحاً، لأنه كان يعتقد أن الرسول ﷺ حي في قبره كما أسلفنا من قبل.

ومن شعر لسان الدين بن الخطيب هذه الحائية التي ذكر فيها المعجزات التي أرخت لميلاد صاحب الشريعة الغراء ﷺ ، ونختار منها :

وفِي لَيْلَةِ المِيلاَدِ لاَحَتْ شَوَاهِـدٌ   تَوَالَتْ بِهَا لِلَّـهِ فِينَا المَنَائِـحُ
أَضَاءَتْ قُصُورُ الشَّامِ مِنْهُنَّ وَانْجَلَتْ   مَعَالِمُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْـهِ الأَبَاطِـحُ
وَهُدَّ لَهَا إِيْوَانَ كِسْرَى مَهَابَـةً   وَأَخْمِدُ مِنْ نِيرَانِ فَارِسَ لاَفِـحُ
وَغَاضَ بِهَا وَادِي السَّمَاوَةِ فَانْثَنَتْ   تُقَلِّصُ ذَيْلَ الخِصْبِ فِيهِ المَسَارِحُ
وَأَبْصَرَ سَيْفُ المُلْكِ رُؤْيَا فَأَصْبَحَتْ   لِتِذْكَارِهَا تَرْتَاعُ مِنْـهُ الجَوَارِحُ
وَأَعْلَمَـهُ كُهَّانُــهُ أَنَّ أَرْضَـهُ   أتِيحَ لَـهَا مِنْ سَيِّدِ العُرْبِ فَاتِـحُ[2]

(1)– ينظر: لسان الدين بن الخطيب. الديوان. ص: 226 .

كما يذكر بعض المعجزات النبوية ليذكر النصارى الذين تكالبوا على الدين وأرض العرب، بأن الإسلام ممثلا بنبيه، قادر على كل شيء، وما المعجزات إلا تأكيد لما يريد الله أن ينشره:

إِنْ سَارَ فِي الرَّمْلِ لَمْ يظهَرْ لَهُ أَثَرٌ　　　وَإِنْ عَلاَ الصَّخْرَ،عَادَ الصَّخْرُ كَالطِّينِ
وفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ الجِذْعَ حَنَّ لَـهُ　　　وَالعِذْقُ أَنَّ إِلَيْـهِ أيّ تَأْنِيـنِ
وَقَدْ سَمِعْنَا بِأَنَّ الطَّيْرَ خَاطَبَـهُ　　　فِي مَنْطِقٍ مفصحٍ مِنْ غَيْرِ تَلْكِينِ
وَالظَّبْيُ وَالضَّبُّ جَاءَا يَشْهَدَانِ بِأَنَّ　　　لاَ شَـيْءَ أَعْظَمُ مِنْ طَـه وَيَسِينِ(3)

وقد ردد ابن الخطيب ذكر المعجزات في اغلب قصائده كقوله:

لَهُ المُعْجِزَاتُ الزَّاهِرَاتُ كَأَنَّهَا　　　بُرُوقٌ بِآفَاقِ اليَقِينِ لَوَائِـحُ
كَإِخْبَارِهِ بِالغَائِبَاتِ فَعِنْـدَهُ　　　لأَبْوَابِ أَسْرَارِ الغُيُوبِ مَفَاتِـحُ
وَأَعْطَى عَسِيب النَّخْلِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى　　　فَهُزَّ حُسَامٌ مِنْهُ للدَّمِ سَافِحُ(1)

ومما يميز هذه القصيدة أن الشاعر يدعم آراءه بالبراهين والأدلة كيلا يترك مجالا للشك في نفوس المشككين.

وقد أضاف ابن الخطيب إلى مناقب وخصال الرسولﷺ بعضا من معجزاته، فرددها في معظم مدحه، فيقول مصورا ذلك:

لكَ المعجِزَاتُ الغرُّ يبهِرُ نُورَهَا　　　إِذَا اربَدَّ منْ جُنْحِ الظلاَمِ بهيمُهُ
وحسبُكَ منْ جذْعٍ تكَلَّمَ مفْصِحًا　　　وقَدْ دميت يومَ الفراقِ كلومُـهُ
وَبدرٌ بدَا قسْمَيْنِ فالقِسْمُ ثَابِتٌ　　　مقِيمٌ، وقدْ أهْوَى إِلَيكَ قَسِيمُـهُ
ومعجزةُ القرْآنِ أجْلَى فإِنَّـهُ　　　عجَائِبهُ لاَ تَنْقَضِـي وَعُلُومـهُ(2)

ويقول كذلك في إحدى مدحه النبوية،وفيها يصور صعود الرسولﷺ إلى أطباق السماء:

سمَا فَوْقَ أطْبَاقِ السَّمَاءِ مُنَاجِيًا　　　وَ كلَّمَ تَكْلِيمًا بِهَا الأحدُ الفرْدَا

---

(2)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:369.

(3)– أحمد بن محمد المقري التلمساني. أزهار الرياض في أخبار عياض،ج1،تحقيق ، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939م.ص:317.

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص : 368.

(2)– المصدر نفسه . صص : 550–551 .

وَمَا زَاغَ مِنْهُ الطرفُ كلا وَلاَ طَغَى   فَلِلَّهِ مَا أَجْلَى، وَاللّهُ مَا أَهدَى[3]

لقد عدد ابن الخطيب في مدحته النبوية العديد من معجزات الرسول الكريم ﷺ فهي من الكثرة بمكان، فلا يمكن لأحد أن يستعرضها بسهولة ويسر، ولذلك وجدناه يقول:

وَمَاذَا يُعَدُّ الوَصْفُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ   وَآيُ رسُولِ اللَّهِ تستغرَقُ العِدَا[4]

1-4-الإشادة بليلة مولد الرسول ﷺ:

وبما أنها أنشئت أساسا لامتداح النبي ﷺ،وتعظيم ذكرى مولده فقد كان هذا هو الموضوع الأساسي للقصيدة،ثم يليه موضوع ثانوي هو مدح الملك الذي ترفع إليه القصيدة المولدية وتنشد بين يديه ليلة الاحتفال بذكرى المولد النبوي . يقول لسان الدين في شأن ذلك:

فَيَا ليْلَةً قَدْ عظَّمَ اللَّـهُ قدرهَا   فصولِي عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وفَاخِرِي

وأنجز للنُّورِ المبينِ بِهَا وعدَا   بهَذَا النَّبِيِّ الحالِ والقبلِ والبعدَا[1]

ومع أن بعض هذه المعاني قد تكررت عند الشعراء، فإن آخــرين حاول التفرد في بعضها، فابن الخطيب يكاد ينفرد من بين شعراء عصره في مسألة حمل آمنة بنت وهب للرسول الكريم، حيث قال:

ولمْ تشْكُ ثقلَ الحمْلِ آمنِةُ الرِّضَا   وَفِي لَيْلَةِ المِيلاَدِ مِنْهُ بَدَتْ لَهَا

وبشرَهَا الأَمْـلاَكُ أنَّ وِلِيدَهَـا   إِلَى أنْ تفرى الليْلُ عَنْ نُورِ وَجْهِهِ

وَلاَ دهيتْ مِنْهُ بِكربٍ وَلاَ غـم   شوَاهِدُ لَمْ تَخْطَرْ لِنَفْسٍ وَلاَ وَهـمِ

إِمَامُ النَّبِيئِينَ الكرام أُولِي العزْمِ   كَمَا شف سحب عَنْ سَنَا قمرٍ تَم[2]

---

(3)- المصدر نفسه . ص: 356 .

(4)- المصدر نفسه . ص: 483 .

(1)- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص : 378 .

فقد أشار إلى أنها لم تتعرض لآلام الحمل، ومعاناة الولادة كغيرها من النساء، واكتفى بالإشارة إلى ما كان من بشارة الملائكة لها بنبوة وليدها.

وقد تكررت عند الشعراء إرهاصات النبوة، وما كان من حوادث رافقت ليلة ميلاده، وما حدث فيها من ظواهر كونية.ولم يكتف الشعراء بما ورد عن الأنبياء والكتب السماوية، بل أشاروا إلى ما بشر به الكهان،فقد روي عن الكهان:شق وسطيح أنهما أخبرا الناس بقرب مجيء النبيﷺ،وهما بذلك يؤكدان صدق ما جاء به الرسول الكريم، وما جاء في الكتب السماوية :الإنجيل والتوراة، وهي أمور لم تكن لنبي قبله، في تهيئة الناس لاستقبال رسالته، قال لسان الدين بن الخطيب:

وأخْبَرَ شَقَّ أَنَّ فِي الأَرْضِ عِنْدَهَا ... طُلُوعَ نَبِيٍّ طَاهِرِ الأَبِ وَالأُمِ

رَسُولٌ من الرَّحْمَنِ يدْعُو إِلِى الهُدَى ... ويَدْعُو إِلَى السَّلاَمَةِ وَالسّلْمِ[3]

أراد الشاعر من ذكر تلك الإشارات في شعره،والتنوع في مدلولاته تأكيد نبوة الرسول.

<u>1-5-الاستنجاد بالرسول</u> والإيمان بأن الله لا يتخلى عن دينه، وأن شخصية الرسول هي القوة المعنوية المنقذة بعد سيطرة اليأس عليهم .يقول لسان الدين بن الخطيب:

بجَاهِ العظِيمِ أدْرَكَ ذماءَنَـا ... برحْمَى يحلي المؤمِنِين شُذُورُهَا

وارسِلْ علَى هَذَا العَدَوِّ رزيـة ... يروحُ ويغْدُو بالبوارِ مبيرَهَا

يشتِّتُ شملَ الكفرِ تشتِيتَ نقمةٍ ... وينظمَ شَمْلَ المؤْمِنِينَ حَصِيرَهَا[1]

<u>1-6-طلب الغوث والشفاعة من الرسول</u>ﷺ: لقد سادت روح التصوف وفنونه المدحة النبوية عند ابن الخطيب، حتى أصبحت متضمنة التوسل والشفاعة، وطلب الاستغاثة. فيبدأ مدحته بتوجيه الخطاب مباشرة إلى النبي الكريم ويلتمس منه الشفاعة، وقد يتوجه بحديثه إلى الله سبحانه وتعالى ويسأله الصلاة والتسليم على رسوله الكريم ويخلص من ذلك إلى مدح النبي . يقول ابن الخطيب في طلب الغوث والشفاعة من الرسولﷺ :

تداركهُ يَا غوثَ العبَادِ برحْمَةٍ ... يقضِيهِ دِينُ العَفْوِ فِيهَا غَرِيمُهُ

أيجهرُ بالشكوَى وأنتَ سَمِيعُهُ ... أيعلنُ بالنجْوَى وَأَنْتَ عَلِيمُـهُ

أتعوزهُ السُّقْيَا وأنْـتَ غياثُـهُ ... أتتلِفُهُ البَلْوَى وَأَنْتَ رَحِيمُـهُ[2]

---

[2]- المصدر نفسه . ص: 399 .

[3]- المصدر نفسه . ص: 412 .

[1]- جمعة شيحة. الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي . (د.ط). تونس،1994م. ص : 75.

ويبدو أن ابن الخطيب من خلال إنشاده تلك المدائح النبوية وجد تنفيسا لما يعانيه المسلمون في ذلك الوقت من نير الحروب الاسبانية، وحسبه أن في ذكر الرسولﷺ واستحضار صفاته ومناقبه و معجزاته والتذكير بمواقفه الجهادية استنهاضا لهمم المسلمين من أجل الذود عن بلادهم ودينهم الذي يتعرض إلى أشرس عدوان صليبي .

2- عند ابن جابر الأندلسي:

2-1-الشوق لرؤية النبيﷺ:أما ابن جابر فيذرف الدموع غزيرة تترى شوقا وهياما لرؤية النبيﷺ :

إليكَ قَصَدْنَا لاَ لِسَلْمَى ولاَ سُعْدَى وَأَنتَ أَرَدْنَا لاَ العقِيقَ و لاَ نَجْدَا

ولوْلاَ اشتيَاقِي أَنْ أرَاكَ بِمُقْلَتِـي لما كُنْتُ أشتَـاقُ الأرَاكَ ولاَ الرنْدَا

ومِنْ أجْلِكُم أصْبُو لِبَردِ الصَّبَا إذَا تَجرُّ صباحًا فَوْقَ أرضِكُمْ بُرْدَا

ومَا افْتَرَّ ثغرُ البْرقِ مِنْ أرضِ بَارِقٍ لِعَيْنِيَّ إلا فَاضَ دمْعِي لَـهُ وَجْدَا

وَلَولاَ رَجَاءُ القرْبِ مِنْ ذلِكَ الحِمَى لما اختَرْتُ عن أهْلِي وعَنْ وَطَنِي بُعْدَا

ولا أستَلِذُّ العيشَ في غيرِ أَرْضِكُمْ وَلاَ أَشْتَهِي مِنْ غيرِ مَائِكُمْ وِرْدَا[1]

فقد قطع ابن جابر وغيره الفيافي والقفار يحثون مطاياهم ويستعجلونها كلما أتعبها الترحال، ويصبرون أنفسهم، ويمنونها برؤية العقيق والرند ونجد وغيرها من المواضع التي أحبوها لحبهم للرسولﷺ، هذا الحبيب الذي يذكرونه دائما ويصبون إليه.

2-2-التغني بفضائل النبيﷺ:على الرغم من احترام المسلمين لجميع الرسل وإيمانهم بهم، فإنهم فضلوا نبيهم محمداً ولا غرو في ذلك،فالله فضله على خلقه جميعاً، واعترف الرسل عليهم السلام بفضله عليهم،إذ ائتموا به ليلة الإسراء في بيت المقدس وصلى بهم، كما أنهم يُحشرون يوم القيامة تحت لوائه، وقد ذكر ابن جابر ذلك فقال:

إمامُ جميعِ الرُّسْلِ ليلَةَ إذْ سَرَى فصَلَّى بهِمْ فِي مَحْفَلٍ أيِّ محفَلِ

---

[2]- لسان الدين بن الخطيب. الديوان. صص: 549-550 .

وَيَأْتِي غداً والرُّسْلُ تحْتَ لِوَائِه   وقدْ خُصَّ فيهمْ بالمقَامِ المُفَضَّلِ[2]

كما فضل ابن جابر الرسولﷺ على غيره من الرسل عليهم السلام بالشفاعة يوم القيامة،إذ يستشفع الناس من هول القيامة بالرسل فلا يستطيعون أن يجيبوهم ويشفعوا لهم،ثم يشير عيسى عليه السلام عليهم أن استشفعوا بمحمدﷺلأن قوله الحق، فيأتون محمداً مستشفعين،فيقول لهم أنا كفيل بها، فيدعو ربه ويشفع للمؤمنين، وهنا يصيخ الناس لصوت الحق المهيب قائلاً:لقد أوتيت سؤلك يا محمد،فيتنفسون الصعداء،وقد صور ابن جابر ذلك بصورة قصصية زادها الحوار والحركة جمالاً، فقال:

---

[1]– ابن جابر .ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.صص :191–192.

[2]– المصدر نفسه . صص :447–448 .

لَهُ الشفَاعَةُ حيثُ الرُّسْلُ جاثِيَـةٌ   وكُلُّ شخْصٍ لِذَاكَ اليَوْمِ مخْبولُ

و جَاءَتِ الخلْقُ أفواجاً ليَلْتَمِسُوا   لهُمْ شفِيعاً ومَا فِي الأَمْرِ تَمْهِيلُ

وحيثُ جاؤُوا رسولاً قَالَ لستُ لهَا   فليْسَ لِي عَنْ مَقَامِ الخَوْفِ تَحْوِيلُ

حتَّى إذَا مَا أَتُوا عِيسَى يقولُ لهُمْ   أَمْرُ الشفَاعَةِ للمُخْتَارِ مَوْكُولُ

فقولُـهُ القـول لا رَدٌّ ولا فَنَـدٌ   إذَا تُرَدّ عَلَـى النَّـاسِ الأَقَاوِيـلُ

حَتَّى إذا سألُوا المُخْتَارَ قَالَ لَهُمْ   أَنَا لِذَاكَ وَلـيْ بالأَمْرِ تكفِيـلُ

هنَاكَ يُدْعَى بِهِ سَلْ تُعْطَ وادْعُ تُجَبْ   واشْفَعْ تُشفَّعْ فوَعْدُ اللَّهِ مفْعُولُ[1]

وللسبب نفسه وصفه ابن جابر بنجم الهدى إذا كانت الرسل سماء، وبالبدر إذا كانوا نجوماً، وبواسطة العقد إذا كانوا جواهر، فقال:

إنْ تحسب الرسْلَ سمَاءً قدْ بَدَتْ   فَإِنَّهُ فِي أُفقِهَا نَجْمُ هـدَى

وَإنْ يكُونُوا أَنْجُماً فِي فَلَكٍ   فَإِنَّهُ منْ بَيْنِهِمْ بَـدرٌ بَدَا

واسِطَةُ السِّلكِ إذَا مَـا نظمُوا   وَمَلْجَأُ القَوْمِ إِذَا الخطبُ عَدَا[2]

لذلك بشر به الأنبياء من قبله، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، كما بشر به أيضاً الأحبار والرهبان وسطيح وشقّ وسيف بن ذي يزن وبحيرا وقُسّ وغيرهم، حتى لم

---

[1]–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين .ص:432–433 .

[2]– المصدر نفسه. ص:190.

يخل جيل من علامة لبعثته، لقد اتفقوا جميعاً على هذا الأمر على الرغم من اختلاف بلادهم ولغاتهم وأجناسهم وأزمنتهم ومشاربهم، قال ابن جابر:

لِمبعَثِهِ منْ كلِّ جيلٍ علامَـةٌ　　علَى ما جلَتْهُ الكتُبُ مِنْ أَمْرِهِ الجَلِيِّ

فجَاءَ بهِ إنجيلُ عيسَى بِآخِـرٍ　　كمَا قَدْ مَضَتْ توراةُ موسَى بِأوَّلِ

لأخْبَارِهِمْ فِي حُسْنِ إخبارِهِم نَبَا　　نَبَا عنْهُ حدُّ الحاسِدِ المتَـأوِّلِ

علاَ جدُّ (سيفٍ) حينَ بشّرَ جَدَّهُ[3]　　بذلكَ تَنبيهاً علـى قَدْرِهِ العلـيِّ

وإنَّ بحيرا أَمَّ مـرآةَ عِلْمِـهِ　　فأبصَرَهُ فيهَا بعينِ التخيُّـلِ

وَقَدْ قَامَ قُسٌّ فِي عُكَاظٍ فقَصَّ مِنْ　　نُبُوَّتِـهِ مَـا قالَـهُ كـلُّ مُنْـزَلِ

وأرشَدَتِ الرهبانُ (سلمانَ) نحوهُ　　وقالُوا لذاتِ النَّخْلِ يَثْرِبَ فارْحَلِ[4]

<u>2-3-تعداد معجزات النبي</u>ﷺ: اختص الله سبحانه وتعالى كل نبي بمعجزة خاصة أو معجزات، وقد ذكرت في القرآن الكريم، الذي يعد معجزة، إذ أن الله تحدى به العرب فعجزوا على أن يأتوا بمثله« فالقرآن الكريم بإعجازه هو إثبات لقدرة الله تعالى وإثبات عجز الخلق عن معارضته »[1]. وقال الله تعالى:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2] .

فالقرآن الكريم معجزة بفصاحته وبلاغته، وبهذا يكون من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبيه الكريم.فقد تحدث ابن جابر أيضاً عن معجزة الرسولﷺالخالدة، وهي القرآن الكريم، الذي نرى فيه العظات والتبيين والتفصيل وعلم الأولين والآخرين والحلال والحرام، كل ذلك بأسلوب سام معجز، تحدى الله الإنسان والجن على أن يأتوا بسورة منه فعجزوا، وخذلوا على الرغم من فصاحة العرب وبلاغتهم، وأنه جاء بلغتهم، فقال:

وجاءَكُمْ بكتابٍ فيـهِ موعِظَـةٌ　　للسامِعِينَ وَتبيينٌ وتَفْصيلُ

وفيهِ أُودِعَ عِلْمُ الأولّينَ وعِلْـ　　مُ الآخرينَ وتحريمٌ وتَحْليلُ

علَى مسَاقٍ ونظمٍ ليسَ مِنْ بَشَرٍ　　فلِلْمُعارِضِ تعجيزٌ وتخذِيلُ

---

[3]- أي جد الرسولρ .

[4]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:448.

[1]-عبدالحميد محمود. المعجزة والإعجاز في سورة النمل.(د-ط)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، (د- ت). ص :15 .

[2]- سورة البقرة . الآية :23 .

والعرْبُ عنْ سُورَةٍ منْ مِثْلِهِ عَجَزُوا   فِي وَفْرِهِمْ وهُمُ اللُّسْنُ المقاوِيلُ[3]

كما عدد ابن جابر أيضاً معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الكثيرة، مثل كلام البعير معه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليه، وانشقاق البدر، وتظليل الغمام، واخضرار الدوح بعد جفافه، وتكليم الميت وقيامه، وشهادة الضب على نبوته، وطاعة الغزالة له تعداداً جعله يبتعد عن الشعر ليقترب من النظم العلمي، فقال:

ذُو المُعجِزَاتِ المعجزاتِ لكلِّ مَنْ   فِي صَدْرِهِ غِلٌّ ثوَى وَ تَلَجْلَجَا
نطقَ البعيرُ لـهُ وسبَّحتِ الحصَى   والجِذْعُ حنَّ لَـهُ بصوتٍ قدْ شَجَا
والشمسُ بعدَ غروبِهَا رُدَّتْ لـهُ   والبدْرُ بينَ يديْهِ شُقَّ وَأُفْرِجَـا
وإِذَا مشَـى كَـانَ الغمَـامُ يُظِلُّـهُ   كَرَماً إذَا لهبُ الـهجِيرِ تَوَهَّجَـا
والدوحُ أورقَ وهْو يبْسٌ عندمـا   وافى ومدَّ عليهِ ظلاً سجسَجَا
والميْتُ كَلَّمَـهُ وقَامَ بأمـرِهِ   يمشِي و فِي أكفانِهِ قَدْ أُدْرِجَا
والضَّبُّ قالَ شهدْتُ أنَّكَ مَرسَلٌ   للعالمينَ فَمَنْ أجابَ فَقَدْ نَجَا
هذِي الغزَالَـةُ إذْ أطاعتْ أَمْرَهُ   وجدَتْ سبيلاً للنجَاةِ ومَخْرَجَا[1]

وقد أشاد الشاعر بمعجزات الرسول التي لا تحصى، ولا يخفى ما لذكر المعجزات في المدح من تنبيه لعقول البشر، وحث على تعلقها بالممدوح ورسالته وقد أعلن الشاعر، كما اعترف الشعراء من قبل أنّ الرسول الكريم الذي خصه الله بآيات معجزات يعجز أيّ شاعر عن أنْ يحيط بوصفه، ولذلك فهو يطلب الشفاعة من الله تعالى، مستغفراً عما جناه في حياته من ذنوب.

2-4-الحديث عن غزوة بدر: وبالإضافة إلى ذلك تحدث ابن جابر عن غزوة بدر الكبرى، ووصفها وصفاً دقيقاً، استمده من القرآن الكريم وكتب السيرة، تكلم فيه عن بطولة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وعن تأييد جبريل والملائكة لهم، وعن رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى في أوجه المشركين، ثم عن المعركة، وعدّد أسماء كل من الطرفين، وانتصار المسلمين وهزيمة المشركين تاركين قتلاهم الذين رماهم المسلمون في القليب، وتقريع الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، فقال:

بَدَا يوْمَ بدرٍ وهْو كالبْـدرِ حوْلَـهُ   كواكبُ في أُفْقِ المواكِبِ تنجَلِـي

---

[3]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص:433.

[1]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:122-123.

وجبريلُ فِي جنْدِ الملائِـكِ دونَـهُ فلمْ تُغْنِ أعدَادُ العدوِّ المُخـذِّلِ
رمَى بالحَصَى فِي أوْجِهِ القومِ رَمْيَةً فشرَّدَهُمْ مثلَ النعامِ بِمَجْهَلِ
ففرُّوا سراعاً يهربـونُ كأنَّمَا تحوَّلَ منهُمْ بَطْشُ أيْدٍ لأرْجُلِ
وجادَ لهم بالمشرفـيِّ فسلَّمـو فجادَ لـهُ بالنَّفْسِ كلُّ مُخذِّلِ
عُبيدةَ سلْ عنهمْ وحمزةَ واستمـعْ حديثَهُم في ذلك اليومِ مِنْ علـي
فَهُمْ عَتَبُوا بالسيفِ عُتبَةَ إذْ غَـدَا فذاقَ الوليدُ الموتَ ليسَ لـهُ ولي
وشيبةُ لمّا شابَ خوفاً تبادرتْ إليه العوالِي بالخِضاب المعجَّلِ
وجالَ أبو جهلٍ فحقَّقَ جهْلَـهُ غداةَ تردَّى بالرَّدَى عَنْ تَذَلُّلِ
فأضحَى قليباً في القليبِ وقومُـهُ يؤمُّونَهُ منها إلى شَرٍّ مَنْهَـلِ
وجاءهُمْ خَيْرُ الأنـامِ مُوَبِّخـاً ففتَّحَ مِنْ أسماعِهِمْ كلَّ مُقْفَلِ
وأخبرَ مَا أنتمْ بأسمـعَ منهُمْ ولكنَّهُمْ لا يهتـدونَ لِمقْـوَلِ(1)

2-5-مدح كل من له شرف بالقرب منه: ولم يكتف ابن جابر بمدح الرسول فحسب، وإنما مدح كل من شرف بالقرب منه، مثل المهاجرين الذين مدح نسبتهم إلى قريش التي نظرت القبائل العربية إليها نظرة خاصة، واحترمتها لانتمائهﷺ إليها، ومدحهم أيضاً بالبشر والجود والعز بكرامتهم عند الله الذي ينجي من يحبهم، ويدخل النار من يبغضهم، فقال:

همُ قريشٌ وما أدراكَ مِنْ مَـلأٍ مِنْ نَيْلِهِمْ قَدْ جَرَى فِي مِصْرِهِمْ نيلُ
قومٌ وجوههمُ بِشْرٌ و أنملهـم بَذْلٌ وربْعمُ بالعزِّ مأهُـولُ
ومَا مرادُكَ مِنْ قومٍ مُحبُّهـمُ نَاجٍ وشانيهُمْ في النـارِ مملولُ
تضيءُ أحسابهم ليلاً وأوجهُهُمْ كَأَنَّمَا فِي الدُّجَى منهُمْ قنَادِيلُ(2)

كما مدح أيضاً الأنصار الذين شرفوا بنصرتهم للنبيﷺ ومساعدتهم للمهاجرين في دحر الشرك وإعلاء كلمة الله تعالى، ونعتهم بجمال الوجه وكرم الفعل ورجاحة العقل وحسن الصبر والشجاعة في الحرب، فقال:

وساعدتْهمُ من الأنصَـارِ طائفـةٌ بهم غَدَا الشِّرْكُ قِدْماً وهْوَ مخـذولُ

---

(1)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:449.
(2)- المصدر نفسه. ص : 435.

زُهْرُ الوجوهِ كرامُ الفِعْلِ عندَهُمُ   لِكُلِّ صَعْبٍ منَ الأشيَاءِ تذلِيلُ

يمشونَ مَشْيَ الأسودِ الضاريَاتِ إذَا   ما صاحَتِ الحرْبُ فِي أبطالِهَا جُولُوا[3]

ثم إن ابن جابر خص آل البيت والعشرة المبشرين بالجنة من الصحابة رضي الله عنهم بقصيدة طويلة مدحهم بها وعدد مآثرهم واحداً واحداً[4] .

كما تفردت المدينة المنورة أيضاً على جميع البلاد بأنها ضمت جثمان الرسول ﷺ بين ثناياها، الأمر الذي جعلها أشرف البلاد مثلما قال ابن جابر:

لَقَدْ فضلتْ كُلَّ البِلاَدِ بأسرِهَا   كَمَا أَنَّ مَنْ حَازَتْهُ قَدْ فَضَلَ الخلقَا

ومَا ضَمَّ أعضاءَ الرسُولِ فَإِنَّهُ   أجلّ مكانٍ لاَ خلافَ هُنَا يَبْقَى

وليسَ لِهَذَا مِنْ نَظِيرٍ بغيرِهَا   وقَدْ حَازتِ التفضِيلَ لا شكَّ وَالسبْقَا[1]

وهنأ ابن جابر أهل المدينة على مر العصور بسكناهم فيها وجوارهم للرسول ﷺ، ونصحهم بالبقاء فيها مهما جار الزمن عليهم، فيكفيهم حسن الجوار، قال:

هناؤكمُ يَا أهلَ طيْبَةَ قدْ حقا   فبالقربِ منْ خيْرِ الوَرَى حُزْتُمُ السبْقَا

فَلاَ يتحركْ منكمُ ساكنٌ إلى   سِوَاهَا وَإِنْ جارَ الزمَانَ وإِنْ شَقَا[2]

بل إنه قد هنأ المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم لتشرفهم بالانتماء إلى دين محمد ﷺ، ذلك الانتماء الذي أعلاهم على جميع الأمم، فقال:

يَا أُمَّةَ المصطَفَى الهَادِي لِيهْنِكُمُ   هذَا الرَّسُولُ بِهِ بينَ الورَى صُولُوا

فأنتمُ اليومَ أعلَى أمَّةٍ ولكُمْ   أعْلَى النَّبِيِّينَ هَذَا العزُّ والطُّولُ[3]

<u>6-2-طلب نيل الشفاعة في الآخرة</u>: وكان ابن جابر يبغي من وراء مديحه هذا . بالإضافة إلى التعبير عن حبه للرسول ﷺ وتعظيمه وغير ذلك ـ أن ينال شفاعته ﷺ ليمحو بها ذنوبه ويقوي بها ضعفه، قال:

يَا سيِّدَ الرُّسْلِ عبدٌ قدْ أَتَى ولَهُ   مِنْ سالفِ الذَّنْبِ تخوِيفُ وتخْجِيلُ

---

(3)- المصدر نفسه .ص : 435.

(4)- المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج10. ص:217 وما بعدها .

(1)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:380.

(2)- المصدر نفسه . ص : 382.

(3)- المصدر نفسه. ص : 433.

يرجُو شفاعتَكَ العظْمَى إذَا اشتَعَلَتْ نارٌ علَى مَنْ عَصَى منهَا سَرَابِيلُ

وَقَدْ أتيتُ بِضِعْفِي مَا أَتَاكَ بِهِ كعبٌ علَى أَنَّ بَاعِي مَا لَهُ طُولُ

فَإِنْ قبلتَ ونالتْنِي مَرَاحِمُ قَدْ نَالَتْهُ لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ بَعْدِهَا سُولُ[4]

وقد أنهى ابن جابر معظم مدائحه النبوية بالصلاة على النبي وعلى آله وصحابته، والتي غدت تقليداً لدى كثير من شعراء المديح النبوي، وتفنن فيها تفنناً جميلاً، إذ عبر عن ديمومة صلاة الله على النبي بدوام سجع الحمائم على الأغصان، فقال:

صَلَّى عليْكَ إِلَهُ العَرْشِ مَا سجَعَتْ وُرْقٌ لَهُنَّ علَى الأَغْصَانِ تَهْدِيلُ

أَزْكَى صَلاَةٍ تعمُّ الآلَ واصِلَةً صَحْباً همُ للوَرَى زيْنٌ وَتَحْجِيلُ[5]

<u>2-7-محبة الكائنات الحية له</u>ﷺ: ونذكر هنا ما ذكره الشعراء حول معجزات حب الكائنات الحية لحبيب الله تعالى،وطاعتها لهﷺ مثل حنين الجذع، وإسراع الأشجار إليه،وتكليم الذئب، ونطق الحصى.. وغير هذه المعجزات الشريفة التي تناقلتها كتب السيرة الشريفة، ومنها أبيات الشاعر الأندلسي محمد بن جابر يقول فيها:

أَلمْ يعلمُوا علْمَ اليقينِ بصدْقِهِ و لكنَّهُمْ لا يرجعُونَ لِمَعْقَلِ

أليسَ الذِي في كَفِّهِ سبَّح الحصَى وأَرْوَى جميعَ الجيشِ مِنْ نَبْعِ أَنْمُلِ

أليسَ انشقاقُ البدرِ كانَ لأجلِهِ فشَقَّ على نفسِ الشقِيِّ المذلَّلِ

ألم ينظرُوا للدَّوْحِ تسعى لقصدِهِ ألمْ يُبصرُوا فِعْلَ الغَمامِ المُظلِّلِ

أليسَ الذي قدْ آلمَ الجذْعَ فَقْدُهُ فأَنَّ أنينَ الشيِّقِ المتملِّلِ

أليسَ الذِي أعْطَى الغزالَةَ عهدَهُ فعادَتْ ولمْ تُخْلِفْ ولم تَتَمهَّلِ

أليسَ بعيرُ القومِ لاذَ بِعَدْلِهِ فأنجَاهُ مِنْ جُوعٍ وتثقِيلِ مَحْمَلِ

أما الجمَلُ الصعْبُ القيادِ أطاعَهُ وأهوى لوَجْهِ الأرضِ فِعْلُ مُقَبِّلِ

ألمْ تَرَ أَنَّ الوحشَ والدوحَ سلَّمَتْ عليهِ ومَا يلقَاهُ مِنْ كلِّ جَنْدَلِ

أليسَ الَّذِي قد كلَّمَ الضبَّ سائِلاً فقَالَ مجيبًا أنتَ آخرُ مُرْسَلِ[1]

---

[4]- المصدر نفسه . ص : 435.

[5]- المصدر نفسه . ص : 436.

[1]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص :449 .

وأسلوب الاستفهام التقريري الذي ابتدأ به الشاعر أبياته وكرره بهذا الشكل لهو خير دليل على اندفاع العاطفة الإيمانية لدى الشاعر وامتزاجها بحالته الشعورية لحظة إبداع قصيدته .

<u>2-8-معجزة الإسراء والمعراج:</u> لقد كانت قصة الإسراء والمعراج منبعا يستمد منه ابن جابر مدائحه:

سبحَانَ مَنْ أسرَى بِهِ مِنْ بَيْتِهِ   للمسجِدِ الأقْصَى بليلٍ قدْ دَجَا

ركِبَ البُراقَ وجَالَ سبْعَ طِبَاقِهَا   في ليلةٍ ودَنَا وبُلِّغَ مَا ارْتَجَى

ذُو المعجزَاتِ المعجزاتِ لِكلِّ مَنْ   فِي صَدْرِهِ غِلٌّ ثَوَى وَتلَجْلَجَا[2]

<u>IV-الموازنة بين لسان الدين وابن جابر من حيث الموضوعات والقوافي:</u>

طرق ابن الخطيب وابن جابر في ديوانيهما اللذين بين أيدينا مواضع الشعر العربي المعروفة، من الغزل والمدح والرثاء والهجاء و الإخوانيات والحكم والمواعظ .

وجاء شعرهما في أغلب بحور الشعر العربي المعروفة، على تفاوت فيما بينها، وتتبعت قصائد ديوان ابن الخطيب دون مقطوعاته، فوجدت الطويل أكثرها استعمالا حسب ما يوضحه الجدولان:

1- ابن الخطيب:

بحر الطويل	بحر الكامل	بحر البسيط	بحر الخفيف	بحر المنسرح	بحر المتقارب	بحر الرمل	بحر السريع	بحر الوافر
62 قصيدة	35 قصيدة	10 قصائد	06 قصائد	05 قصائد	05 قصائد	03 قصائد	02 قصيدة	01 قصيدة

2- ابن جابر.

بحر الطويل	بحر البسيط	بحر الكامل	بحر منسرح	بحر الوافر	بحر الرمل	بحر المتقارب	بحر المديد	بحر الرجز	بحر المقتضب	بحر المجتث	بحر الخفيف	بحر الخبب	بحر السريع
37 قصيدة	**21** قصيدة	**14** قصيدة	**10** قصائد	**09** قصائد	**08** قصائد	**05** قصائد	**05** قصائد	**02** قصيدة	**01** قصيدة	**01** قصيدة	**01** قصيدة	**01** قصيدة	**01** قصيدة

وأكثر القوافي استعمالا في ديوان ابن الخطيب،هي قافية حرف الدال، وتليها قافية حرف الباء، ثم الراء، أما قافية حروف: الخاء، والطاء، والصاد، والواو فلم تأت فيها أية قصيدة.

---

(2)- المصدر نفسه. ص:122.

أما عند ابن جابر فأكثر الحروف استعمالا، هي قافية حرف الراء، وتليها قافية حرف الصاد، ثم الباء، ثم الحاء.

بالإضافة إلى ذلك نجد في مدائحهما بعض الأغراض الثانوية، مثل النصح والحكمة والوصف والفخر وغيرها مما ينسجم مع الغرض الرئيس، و المديح النبوي.

كما نرى تفوق شعر المديح النبوي عند ابن جابر على مثيلها عند لسان الدين، من حيث الكثرة تفوقا كبيرا جدا، إذ اقتصر لسان الدين على اثنتي عشرة قصيدة بينما ملأ ابن جابر منه ديوانا كبيرا، بلغ عدد أوراقه خمسا وثمانين ومئة ورقة، تحتوي كل منها على صفحتين اثنتين، فضلا عما نجده له من قصائد ومقطعات في كتب الأدب والمجموعات.

ونراها أيضا في أن المدائح النبوية عند لسان الدين (مناسبيات) إن جاز التعبير، إذا قالها بعامة في مناسبة المولد النبوي الشريف، لذلك سميت بالمولديات، على مدار العام. كما أن لسان الدين قد رفع قصائده هذه بعامة إلى ممدوح غير النبيﷺ،ختم بمديحه قصائده، بينما حرص ابن جابر على أن يختم كل مدحة نبوية بالصلاة على الرسولﷺ التي جعلها لسان الدين في أثناء أبيات القسم الثاني من مولديته، والذي مدح فيه الرسولﷺ. وبذلك ضمت مولدية لسان الدين ممدوحين اثنين، أولهما النبيﷺ، وثانيهما هو السلطان خلافا لابن جابر. كما كان لسان الدين أقل شاعرية من ابن جابر الذي كان شاعرا بفطرته التي يفيض منا الشعر كما يفيض الماء من النبع الغزير، ولقد ساعده على ذلك التفوق تفرغه للشعر وإخلاصه له، الأمر الذي لم يتوفر للسان الدين.كما تفوق عليه أيضا بابتكاره لفن البديعيات، وإبداعه له، وبفتحه بذلك فنا من فنون الشعر العربي، سار فيه كثيرون من كبار شعراء العربية في زمنه وبعده .

الفصل الثالث

بنية قصيدة المديح النبوي عند الشاعرين

المبحث الأول: تحديد مصطلح البنية

المبحث الثاني: المطالع

المبحث الثالث: المقدمات

المبحث الرابع: حسن التخلص

المبحث الخامس: حسن الختام أو المقطع

***تحديد مصطلح البنية:**

لم يعد من الممكن في الدراسات الحديثة التخلي عن مصطلح "بنية" "STRUCTURE" والذي يعد تحديده أمرا صعبا وهذا ما يقر به كثير من الباحثين.

لقد غدت "البنية" من أهم مقاربات البنيوية، هذه الأخيرة التي يقول عنها "**روبرت شولز** ROBERT SCOLER":«البنيوية في معناها الواسع هي طريقة بحث في الواقع وليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها»[1].

أما" ليونارد جاكبسون L.JAKObSON" فيرى أن البنيوية في مفهومها الواسع هي:« القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات والعقول واللغات والأساطير كل منها نظاما تاما أو كلا مترابطا أي بوصفها بناء »[2].

من خلال ما تقدم يتضح جليا أن البنيوية كمنهج نقدي تولي اهتماما كبيرا بالكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما، فهي تعني إذن مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها، حيث تتوقف قيمة كل عنصر في المجموعة من خلال علاقته ببقية العناصر الأخرى.

ومما لا شك فيه هو أن البنيوية Structuralisme كمنهج نقدي قد حظي باهتمام كبير من طرف النقاد والباحثين، هذا المنهج الذي تعد"البنية Structure" الركيزة الأساسية فيه، ولتحديد ماهية كلمة "بنية" لا بد من الرجوع إلى المعاجم اللغوية:

– تشتق كلمة"بنية Structure" في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني"Sture" الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما،ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي[3].

هذا عن أصل كلمة "بنية" في اللغات الأوروبية، وهو لا يبعد كثيرا عن أصلها في الاستخدام العربي.

---

[1]–روبرت شولز.البنيوية في الأدب، ترجمة:حنا عبود.(د.ط).إتحاد الكتاب العرب،دمشق،1984.ص:14.

[2]– ليونارد جاكبسون. بؤس البنيوية، دراسة فكرية، ترجمة:تامر ديب.ط1. منشورات وزارة الثقافة، سوريا،2001م. ص:47 .

[3]– صلاح فضل. نظرية البنائية في النقد الأدبي.(د.ط).منشورات مؤسسة مختار للنشر، القاهرة،1992م. ص:175.

أما عن المفهوم الاصطلاحي لكلمة"بنية" فهي حسب رأي صلاح فضل« ما يكشف عنه التحليل الداخلي لكل ما »[1]، ويكشف عن كل العلاقات الجوهرية والثانوية. وترجع البدايات الأولى لظهور هذا المصطلح إلى الدراسات اللسانية وتوغلها في الدراسات الأدبية، منذ دراسات فردينارند دوسوسير [2] Ferdinand desaussure.

فتمييز دوسوسير بين اللغة كنظام واللغة كحدث فعلي يمارسه فرد ما قد استحوذ على اهتمام البنيويين وأرسى دعائم البنيوية[3] .

ويرى أنصار الاتجاه البنيوي، أن النص حينما يأخذ شكله النهائي يصبح منفصلا عن قائله أو مؤلفه، ولا يحيل إلا على نفسه[4] وهي دعوة صريحة إلى التركيز على النص، والاتجاه إليه بالدراسة والتحليل، بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية، وحول هذا الموضوع يرى "جودت الركابي"«أنه لا يمكن عزل النص عن مقوماته الأخرى»[5] .

الرأي نفسه يذهب إليه عبد العزيز حمودة استنادا على مقولة لـ"رومان جاكبسون" حول استقلالية البناء اللغوي[6]، حيث أكد على أنه لا يمكن أن نحلل العمل الأدبي، بمعزل عن القوى الاقتصادية والاجتماعية، التي تشكل وعي الكاتب وثقافته.

على الرغم من هذه الآراء المناهضة للاتجاه البنيوي، إلا أنه يبقى الهدف الذي يسعى إليه هذا الاتجاه هو إعادة تكوين شيء ما، والبنيوية حسب رأي عبد السلام المسدي

---

(1)– صلاح فضل. نظرية البنائية في النقد الأدبي. ص :175.

(2)–باحث سويسري، كان لمحاضراته التي نشرت في كتاب"دروس في الألسنية العامة" منذ عام 1916م، أثر في بيان أسس البنيوية في المجال الألسني.

(3)– ميجان الرويلي، سعد البازعي. دليل النقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا. المركز الثقافي العربي.ص:70.

(4)– إسماعيل زردومي.النص الأدبي بين النسق المغلق والمفتوح في المناهج النقدية.الملتقى الأدبي الوطني السادس، أبو علي الحسن رن رشيق المسيلي. النص الأدبي وإشكالية المنهج. أيام 2007/12/2.3.4م. ص: 02.

(5)– جودت الركابي .الحداثة والبنيوية في معرفة النص الأدبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، العدد:10 ،1995م . ص: 14.

(6)– ينظر: عبد العزيز حمودة .المرايا المحدبة.(د.ط). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، أفريل، 1998م . ص: 188.

«هي ظل أو صورة لهذا الشيء »[1] .

وقصارى القول أن مصطلح بنية لم يعد من الممكن التخلي عنه في الفكر الحديث، فكلمة بنية أصبحت مرتكزا أساسيا لفهم العمليات النقدية والشعرية. ذلك أنه منذ اتكأت البحوث الحديثة على هذا المصطلح، اكتشف به التنظيم الداخلي للوحدات، وعلاقاتها ، ووحداتها، ولأن مفهوم «**بنية**» ذو طابع تجريدي فهو أكثر علمية وأشد قابلية للالتقاط عبر مستويات عديدة تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى حتى تصل إلى النص كله باعتباره بنية[2].

[1]– عبد السلام المسدي. قضية البنيوية . (د . ط). دار الجنوب للنشر، تونس ،1995م . ص: 153.

[2]–ينظر صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص.ط1.دار الكتاب المصري، القاهرة، 2004م.ص:163.

حظي بناء القصيدة العربية باهتمام كبير من طرف النقاد، والقصيدة الجاهلية كادت تكون المقياس الوحيد والأنموذج الأمثل، الذي اتخذه النقاد واتبعوه، فكلامهم عن القصيدة وبنائها[1]. فقد تجسدت البنية الشكلية للقصيدة عند الشاعر الجاهلي، ويمكن تلخيص هذه البنية في النقاط الأساسية التالية:

المقدمة وفيها المطلع، والرحلة،والغرض الأساسي; وهو المدح في غالب الأحيان أو الفخر، والخاتمة.«وهذه المحطات الهامة في القصيدة صارت معالم وتقاليد يتمسك بها الشعراء ويلتزمون بها في قصائدهم»[2].

<u>**1– المطلع**</u>: عرفه ابن قتيبة بقوله:«هو في القصيدة أولها وقد اهتم الشعراء كثيرا بمطالع قصائدهم نظرا لأهميتها في التأثير على السامعين»[3].

وقد اهتم النقاد بمطالع القصائد، وفي ذلك يقول"ابن رشيق":«وبعد، فإن الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي على الشاعر أن يجود شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة...» [4].

وحسن الابتداء أو براعة الاستهلال كلاهما يتصل بمطالع القصائد وبداية الكلام، فإذا جاء مطلع القصيدة أو بداية الكلام حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، صار داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده وصف بـ(حسن الابتداء)،وإذا جاء بداية الكلام أو مطلع القصيدة

دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناثر أو الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة، تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل المستمع من ذلك على ما يتصل به الكلام أو القصيدة من مدح أو تهنئة أو عتاب، أو رثاء أو هجاء، وصف

---

(1)– يوسف حسين بكار. بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث.ط2. دار الأندلس، بيروت، لبنان،1982م. ص: 28.

(2)–علي عالية. شعر الفلاسفة في الأندلس في القرن الخامس والسادس الهجريين.أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي . جامعة باتنة،2005/2004م. ص:207.

(3)–ابن قتيبة . الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1981م . ص :18.

(4)–ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده،ج1. ط1. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان،(د.ت). ص:152.

ب-(براعة الاستهلال)(1).

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال:"من يتفقد الابتداء والمقطع"(2).

ويقول أبو هلال العسكري:"الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكون جميعا مونقين"(3).

وبالتالي فالمطلع هو أول ما ينظم من القصيدة، وهو أول ما يطرق السمع، لذا وجب على الشاعر أن يهتم به، ويعطيه القدر الكافي من الجودة والإتقان لما لذلك من تأثير في نفسية المتلقي.لأن المطلع الحسن يكون سببا في الاستماع إلى ما بعده، وفي ذلك يقول "حسين بكار":« فإذا كان بارعا وحسنا بديعا ومليحا رشيقا، رصد بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو أشرب بما يؤثر فيها، انفعالا ويثير لها حالا، من تعجيب أو تهويل، أو تشويق، كان داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده »(4).

ونظرا لأهمية المطلع فقد وضع له النقاد شروطا أهمها: أن ينتبه الشاعر جيدا في مطالع قصائده، ويهتم أكثر بنفسية المتلقي، كذلك مراعاة القاعدة البلاغية"مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وبالتالي يجب أن يكون مطلع القصيدة مناسبا لموضوعها، كذلك سلامة التركيب والبعد عن التعقيد وتفادي استعمال الألفاظ الغريبة. وتزداد أهمية المطلع كلما ازدادت أهمية المتلقي، لهذا اهتم الشعراء كثيرا بمطالع قصائدهم خاصة قصائد المدح،

فالشاعر فيها يتفادى استعمال الألفاظ الغريبة، ويحاول قدر الإمكان أن يكون المطلع سليم التركيب وبعيدا عن العقيد.

وقد جمع حازم القرطاجني(ت:684هـ) ملاك الأمر فقال:« وملاك الأمر في جميع ذلك أن المفتتح مناسب لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر

---

[1]– ينظر: بدوي طبانة. معجم البلاغة العربية.المجلد الأول.ط2.دار العلوم،الرياض،1402هـ–1982 م . (براعة الاستهلال).ص:85. و(حسن الابتداء). ص:197.

[2]–العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله . كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر. ط2. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1404هـ–1984م . ص :493 .

[3]– المصدر نفسه . ص : 494

[4]– يوسف حسين بكار. بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الجديد. ط2 . دار الأندلس، بيروت، لبنان،1982م . ص :204 .

كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون في رقة وعذوبة... وكذلك سائر المقاصد»[1]

وتحدث حازم القرطاجني كذلك عن المطالع فقال:« وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة في القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك، وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها »[2].

وقد جعل القرطاجني(الإبداع في الاستهلال) من مذاهب البلاغة المستشرقة، وذكر أن تحسين مبادئ القصائد لا يمكن إغفاله لأنه يثير في السامع حالات الانفعال الملائمة لغرض القصيدة فقال:« ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعلال ويثير لها حالا من تعجب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك...وفي الكلام ماله صورة يصير بها لائقا أن يكون رأس كلام ومفتتح قوله، ومنه ملا يليق بالمبادئ ولا يكون له هيئة تصلح لها، ويجب أن يجتلب القول للمبادئ من المعدن الأول »[3].

وأشار حازم القرطاجني إلى أن (حسن المبادئ) يأتي على ثلاث رتب على النحو التالي:

الرتبة الأولى: ما تناصر فيه حسن المصراعين وحسن البيت الثاني« وأكثر ما وقع الإحسان في المبادئ على هذا النحو للمحدثين. فأما العرب المتقدمون فلم يكن لهم بتشفيع البيت الأول بالثاني كبير عناية »[4] .

الرتبة الثانية: أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني.

الرتبة الثالثة:أن يكون المصراع الأول كامل الحسن، ولا يكون المصراع الثاني منافرا له، وإن لم يكن مثله في الحسن.

---

[1]–حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن الأنصاري القرطاجني. منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد حبيب بلخوجة. ط2. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1971م. ص:310 .

[2]– المصدر نفسه. ص : 309.

[3]– المصدر نفسه. ص : 310 .

[4]– المصدر نفسه. ص : 310 .

ولا يدخل في حسن المبادي عند القرطاجني ما جاء مصراعه الأول رديئا، وإن أجاد المصراع الثاني.« وليس يجب أن يعتبر في حسن المبادي ما وقع الإحسان في مصراعه الثاني إذا كان المصراع الأول قبيحا »[1]

وخصص االقزويني(ت:739ه)آخر الفصول في كتابه(الإيضاح) للحديث عن الابتداء والتخلص والانتهاء، وأشار في غضون حديثه عن الابتداء إلى(براعة الاستهلال) وذلك في قوله:« وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال كقول أبي تمام المعتصم بالله في فتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت»[2]:

السيفُ أصدَقُ أَنبَاءً مِنَ الكُتُبِ   فِي حَدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللعِبِ

بيضُ الصفَائحِ لاَ سُودُ الصحائِفِ فِي   مُتُونِهِنَّ جَلاَءُ الشَّكِّ وَالرِيَبِ

وورد في التبيان للطيبي(ت:743ه)حديث عن المطلع استهله بقوله:« وفي حسنه شرطان: أحدهما: أن يضمن معنى ما سيق الكلام لأجله، ليكون الابتداء دالا على الانتهاء، ويسمى ببراعة الاستهلال...»[3]. ثم يقول بعد ذكر عدد كبير من الأمثلة لذلك:« والشرط الثاني: أن يجتنب في المديح مما تطير به »[4] .

وجاء في كتاب الطرز للعلوي (ت:745هـ) فصل في المبادي والافتتاحات يذكر فيه أهمية الافتتاح الحسن ويقول فيه : « ينبغي لكل من تصدى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام ، أن كون مفتتح كلامه ملائما لذلك المقصد دالا عليه ، فما هذا حاله يجب مراعاته في النظم والنثر جمعا ، ويستحب التزامه في الخطب والرسائل و التصانيف، وهكذا حال التهاني والتعازي يكون مبدأها وتصديرها بما يناسب ذلك المعنى ، ليكون

---

[1]– حازم القرطاجني. منهاج البلغاء و سراج الأدباء . ص : 311 .

[2]– القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن.الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع.(د. ط)، دار الجيل ، بيروت، (د.ت). ص :242 .

[3]–الطيبي، شرف الدين حسين بن محمد. التبيان في علم البديع والبيان، تحقيق: هادي الهلال. ط1. عالم الكتب، بيروت، 1407هـ–1987م . ص :456.

[4]– المصدر نفسه . ص : 459 .

معلوما من أول وهلة، فحيث يكون المطلع جاريا على ما ذكرناه فهو من الافتتاح الحسن»[1].وذكر لذلك شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب وشعرهم.

وخلاصة ما سبق من حديث عن المطلع يوحي بتعدد المسميات والمصطلحات وأهم هذه المصطلحات(الابتداء، براعة الاستهلال، المبادي، الافتتاح، وحسن الافتتاح). وكلها تتجه إلى بداية القصائد في الشعر، وصدر الكلام في النثر.

وشاعرا المديح النبوي في الأندلس في القرن الثامن الهجري، ابن الخطيب، وابن جابر أبديا اهتماما واضحا بمطالع قصائدهم، وسأحاول أن أبين إلى أي مدى قد وفق الشاعران في هذه الفترة في الاهتمام بتلك المطالع، ومدى مراعاتهم للشروط التي سبق ذكرها:

فأشهر شاعر في المديح النبوي ابن جابر الضرير الأندلسي، والذي قال عنه المقري:« و أمداحه النبوية في غاية الإجادة »[2]. له قصيدة رائعة في مخاطبة أهل طيبة بهنائهم بالإقامة جوار الرسول ﷺ مطلعها :

هناؤُكَمْ يَا أهلَ طِيْبَةَ قَدْ حقَا بالقرْبِ منْ خَيْرِ الوَرَى حُزْتُمُ السبقَا[3]

كما له مقصورة تجمع بين قصيدتي كعب بن زهير و البوصيري بنفحة أندلسية متكونة من مائتين وستة وتسعين بيتا مطلعها:

بادر قلبِي للهَوَى ومَا ارْتَأَى لما رأي منْ حسنِهَا مَا قَدْ رَأَى[4]

يبدأها بالنسيب ثم يتخلص إلى مناجاة المكان وبيان الغرض من تنظيم القصيدة، والذي هو التوبة وإصلاح ما فاته من الذنوب في حوار داخلي مع النفس، صعودا بالافتخار الذاتي وهبوطا في الحديث عن الشيب والكبر والدعوة إلى التزهد وعرض الخواطر والحكمة بأسلوب وعظ عن الجود والبخل والغنى والفقر والعلم والجهل والزمن ـــــ

[1]– العلوي، يحي بن حمزة. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، جزء 2.(د.ط). دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ–1982م. صص :266–267 .

[2]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج2 . ص : 664.

[3]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص: 385.

[4]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج10 . ص : 167.

والدهر...والعبرة من التاريخ بتذكير المتلقي بعروش ساسان ومعاوية والمأمون... وتفصيل القول في شمائل الرسول ومعراجه ومعجزاته، كما تحدث عن تفاصيل حجه إلى البيت الحرام واكتحال عينيه بنور قبره، وتغلب الوعظية والمباشرة على القصيدة مع كثرة الخواطر والحكم وقلة الصور البانية والبديعية وغلبة نظام السرد وفيها ضعف في العاطفة لطول القصيدة، وهي أقرب إلى الشعر التعليمي .

أما ابن الخطيب فيقول في قصيدة مديحية بدأها بمطلع غزلي، كعادته في المديحيات:

صفراءُ تَصفُرُ عَنْ حَبَابِ كؤُوسِهَا رَقَّتْ فَرَقَّ لَنَا الزَّمَانُ بذاتِهَا

مِنْ كَفِّ سَاجِيةِ الجُفُونِ كأنَّمَا هَبَّتْ وفِي الأجْفَانِ بعضُ سِنَاتِهَا

وَلِثَغْرِهَا عنْدَ ابْتِسَامِ أَقَاحِهِ بَدْرٌ تَأَلَّقَ فِي سنَا وَجَنَاتِهَا

دعْ عَنْكَ هِندًا وَالدِّيَارَ ومَنْ بِهَا وَدَعِ الْغَرَامَ يكونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا[1]

فقد تأثر في هذه الأبيات، بل في المطلع كله، بقصيدة أبي نواس التي يقول فيها:

صَفْرَاءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتَهَا لوْ مسَّهَا حجرٌ مستْهُ سرَّاءُ

قامَتْ بإبريقِهَا والليْلُ معتكرٌ فلاحَ مِنْ وجهِهَا فِي البيتِ لألاءُ

لتلْكَ أبْكِي ولاَ أبْكِي لمنزلَةٍ كانتْ تحل بِهَا هِنْدُ وأسمَاءُ

ولابن الخطيب رسالتان على لسان السلطان الغني بالله، حاكم غرناطة في دولة بني الأحمر(635–897هـ)، مطلعها :

دعَاكَ بأقْصَى المغرِبَيْنِ غرِيبُ وأنتَ على بعدِ المزَارِ قرِيبُ

مدل بأسبابِ الرجَاءِ وطرْفُهُ غَضِيضٌ علَى حُكْمِ الحَيَاءِ مريبُ[2]

والقصيدة كلها في الشوق إلى زيارة مقامه الطاهر مختتما بالصلاة الله عليه:

عليْكَ صلاةُ اللَّهِ مَا أَطْيَبَ الغضَا   عليْكَ مطيلُ بالثنَـاءِ مطيـبُ

ومَا اهتَزَّ قدْ للغصونِ مرنـحٌ   ومَا افترَّ ثغرٌ للبروقِ شَنِيبُ[3]

ثم ختمها برسالة نثرية في مناقب الرسول: خلقه، نسبه، منزلته، شفاعته ومعجزاته

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب و الجهام والماضي الكهام . ص:326 .

[2]– المصدر نفسه. ص :320 .

[3]– المصدر نفسه. ص :325 .

ومن ثم بيان ما آلت عليها الأوضاع في الأندلس نتيجة تكالب الأعداء عليها وجهود ملك دولة بني الأحمر في الدفاع عن المناطق المتبقية والرجاء منه العون والشفاعة بتسهيل الأسباب في بلوغ النصر وحفظ الإسلام في تلك الجزيرة .

2-المقدمات:

مقدمة القصيدة ظاهرة فنية نشأت مع ولادة القصيدة العربية، واستمرت في العصور المتلاحقة،وقد شغلت قضية مطالع القصائد النقاد منذ القديم، وكثر حوارهم حول مقدمات القصائد وتعددها .

وقد حافظ الشعراء في العصور الأدبية المتتالية على منهج القصيدة، وقلما دخل شاعر إلى موضوعه من دون مقدمة .

وسار شعراء الأندلس غالبا على نهج أسلافهم، وقدموا لموضوعاتهم بمطالع عبروا من خلالها إلى الغرض الأساسي.

إن قصيدة المدح النبوي وحدة متكاملة، جسدا واحدا، وأي تجزيء للقصيدة، يعد تجزيئا للجسد الواحد إلى أشلاء مبعثرة، ولكني أجد نفسي مضطرا إلى تقسيم القصيدة تقسيما بسيطا إلى مقدمة وموضوع للاستقراء والدراسة، لأن ذلك يمكنني من دراسة المقدمات دراسة متكاملة، ومن ثم انتقل إلى دراسة موضوع المديح وما فيه من عناصر تقليدية وجديدة.

تأثرت قصائد المديح النبوي بتقاليد الشعر العربي المعروفة منذ العصر الجاهلي دون مراعاة الغرض الحقيقي للقصيدة أو مراعاة الجو النفسي الذي يتحتم توفره لإيجاد الوحدة في البناء الشعري أو خلق التلاحم الفني، وكانت تلك القصائد في أغلبها أسيرة قصيدة كعب بن زهير في المقدمات الغزلية أو التشبيب بالأراضي الحجازية كما قال أبو جعفر الألبيري:« هي حجة الشعراء، وملاك أمرهم فيما ملكوه»[(1)].

وقول المقري:« ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه »[2].

ولم يتناولوا مفاتن المرأة ومحاسنها إلا نادرا وكان يدور على ما يعاني المحب من السهر والأرق ...

وسأحاول استقراء بعض المقدمات التي مهد بها لسان الدين بن الخطيب وابن جابر،

---

[1]– ناظم رشيد . الأدب العربي في العصر الوسيط . (د، ط). دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1992م. ص: 86.

[2]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 . ص:443.

وما حملته تلك المقدمات، من بذور التقليد، وما أضافته إلى موروث الشعر العربي من لمحات التحديد.

أ– المقدمة الغزلية:

تعد المقدمة الغزلية من المقدمات الواسعة الانتشار في صدور المدائح النبوية، إلا أن الغزل الذي تصدر قصيدة المدح النبوية قد اكتسب ميزات خاصة، فلم يعد النسيب فيه يقصد لذاته حتى يتحدث الشاعر عن هواه، وإنما هو نسيب وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية، ولولا حرص الشاعر على متابعة افتتاح القصائد بالنسيب، لما كان للتغزل في مثل هذه القصيدة مكان.

« فقد افتتح الشعراء الجاهليون، قصائد كثيرة بالمقدمة الغزلية، وتتألف هذه المقدمة، من الحديث عن صد المحبوبة وهجرها أو بعدها وانفصالها، وما يخلفه البعد والهجر والفراق، من تعلق شديد وشوق مستبد، ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة وألما ولهفة، وسرعان ما تفد على خاطره أيامه الماضية السعيدة، وذكرياته الحلوة الجميلة، حين كان يلتقي بمحبوبته، ويبوح كل منهما لصاحبه بحبه، وتبادله إعجاباً بإعجاب وشوقاً بشوق، حتى إذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها ومفاتن جسدها، وهو وصف التفتوا فيه إلى المحاسن الجسدية أكثر من التفاتهم للمحاسن المعنوية..»[1].

هذا النهج وصفه الشعراء الجاهليون، وسار عليه الشعراء العرب من بعدهم، فلم يكلفوا أنفسهم عناء التغيير – إلا ما ندر– .

وقد شاعت المقدمة الغزلية كما رسمها شعراء الجاهلية في صدور المدائح النبوية ، بكثرة، واقتفى فيها الشعراء العرب في الأندلس آثار أسلافهم غالباً. فنراهم يستهلون مدائحهم

النبوية بمقدمة غزلية ينتقلون بعدها إلى مدح الرسول ﷺ وغالبا ما يختم الشاعر مدحته بالصلاة على النبي ﷺ.

ويقول ابن حجة الحموي:« الغزل الذي يصدر به المديح النبوي، يتعين على الناظم، أن يحتشم فيه ويتضاءل، و يتشبب بذكر سلم و رامة وسفع العقيق والعذيب و الغوير ولعلع، وأكناف حاجر، ويطرح ذكر المرد والتغزل في ثقل الردف ورقة

---

[1]-حسين عطوان. مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي.(د.ط)، دار المعارف، مصر،1974م . ص : 128.

الخصر وبياض الساق وحمرة الخد، وخضرة العذار، وما أشبه ذلك...»[1]. و كان معظمها تأتي من باب الخيال أو من باب التذكر، وحديثهم يدور عن الماضي من شعراء عرفوا بالالتزام الديني.

ولم يدخل ذكر أسماء معالم الجزيرة العربية لذاتها وإنما لما تقدست هذه الأماكن بظهور الرسول في أكنافها وارتباطها ببعثتة ، كما قال ابن الخطيب في مطلع قصيدة له:

تَأَلَّقَ نجْدِيًّا فأَذْكَرَنِي نجْـدَا وَهاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحُ والوجْدَا[2]

وقد افتتح لسان الدين بن الخطيب بعض مدائحه النبوية بمقدمات غزلية تفيض بعواطف الحب والشوق، إلى رؤية المحبوب، وصور فيها الشاعر ما يعانيه من وجد وسقام، وهذه المقدمات لوحات فنية مناسبة لقصيدة المدح النبوي لما فيها من عمق نفسي، وبعد عاطفي جعلها أقرب إلى الحب أو الغزل الرمزي لتكون وثيقة الصلة بالعواطف الدينية النابعة عن حب الرسول ﷺ مما يجعلها تختلف اختلافا واضحا عن عناصر الغزل التقليدي، كقول لسان الدين في فاتحة إحدى مدائحه:

مَا عَلَى القَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَـاحِ أَنْ يُرَى طَائِرًا بِغَيْرِ جَنَـاحِ

وَعلَى الشَّوْقِ أَنْ يشبَّ إِذَا هَبَّ بِأَنْفَسِكُمْ نَسِيمُ الصَّبَـاحِ

جِيرَة الحيِّ والحَدِيثُ شُجُونٌ واللَّيَالي تَلِينُ بَعْدَ الجِمَـاحِ[3]

وتغلب على هذه اللوحات مشاهد التصوير الذاتي، إذ يعكس الشاعر صورة نفسه المعذبة، وما يعانيه من ألم الفراق والوجد، ويغلف لوحته بوشاح من عواطف الصوفية يتجلى بوضوح من خلال قوله:

يَا تُرَى والنُّفُوسُ أَسْرَى الأَمَانِي مَالَهَا عَنْ وِثَاقِهَا مِنْ بَرَاحِ

هَلْ يُبَاحُ الوُرُودُ بَعْدَ ذِيَادٍ   أَوْ يُتَاحُ اللِّقَاءُ بَعْدَ انتِزَاحِ
وإِذَا أعوزُ الجُسُومِ التَّلاقِـي   نَابَ عَنْـهُ تعَارُفُ الأَرْوَاحِ[4]

---

[1]–ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي. خزانة الأدب وغاية الأرب . شرح، عصام شعيتو، ط1. دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1987م . ص: 11 .

[2]– لسان الدين ابن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص: 471.

[3]– المصدر نفسه. ص: 389.

[4]– المصدر نفسه. ص: 390.

ويبرز الشاعر في هذه المقدمة عنصر الرحلة التي هي رحلة شوق صوفي، فالشاعر يعبر عن شوقه على الرسول ﷺ من خلال تصويره للرحلة عبر الفيافي ليصل إلى مهد رسول الله، ويكحل عينيه بمرأى مثواه:

وَركَابٍ سَرَوْا وقَدْ شَمِلَ اللَّيْلُ   بِمَسْحِ الدُّجَى جَمِيعَ النَّوَاحِي
وَطَوَوْا طَوْعَ لاعجِ الشَّوْقِ والوجْدِ   إِلَى الأَبْطحِي غَبْرَ البِطَـاحِ
مُصْطَفَى الكَوْنِ مِنْ ظُهُورِ النَّبِيئِينَ   هُدَاةِ الأَنَـامِ سُبْلَ الفَـلاَحِ[1]

وقد استطاع أن يرسم صورة للمقدمة الغزلية في قصيدة المدح النبوي ووفر لها كثيرا من المقدمات التي تضفي على لوحته الكمال، وقد ربط بين مشاهدها بخيوط متينة من العواطف الجياشة.

وقد تجلت الرمزية بوضوح في كثير من المقدمات الغزلية ففي افتتاحية قصيدة للسان الدين في مدح النبي الكريم يكنى باسم سلمى عن حبه لرسول الله، ثم يصور ألمه وحزنه لبعده عنها وأثر الصد والحرمان على نفسه، ويشير إلى تعلقه الشديد بها، فما من شيء في الدنيا يستطيع أنس يفرق بينه وبينها، ولعل هذا التملق من الرموز التي يهدف إليها الشاعر ليدل على حبه للرسول الكريم:

سلْ مَا لِسَلْمَى بِنَارِ الهجرِ تكْوِينِي   وحبُّهَا فِي الحشَى مِنْ قبلِ تَكْوِينِي
وفِي مناهَا تمنيتُ المُنَـى فَغَدَا   قَلْبِي كئِيبًا ببلْوَاه يُنَاجِينِـي
وفِي قِبابِ قُبًا قامَتْ لَنَـا بَقِيـا   طرازُهَا مذهبٌ فِي حُسْنِ تَزْيِينِ[2]

ويزيد الشاعر لوحته جمالا باستكمال أكثر عناصر المقدمة الغزلية إذ يعرج على ديار الأحبة، وهذا التعريج الرمزي من شاعر أندلسي، يتجلى في ذكر الأماكن الحجازية، كي تكون خاتمة المطاف إلقاء التحية على الرسول الكريم :

يَا صاحِ عجْ بالحِمَى وانزلْ بهِمْ سحرًا وانظُرْ لعجبِ أَثْيلاَتِ البَسَاتِينِ

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:390-391.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني.أزهار الرياض في أخبار عياض،ج1، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939م. ص:317.

وفَوْقَ سَفْحِ عَقيقِ الدَّمْعِ عُجْ لِتَرَى جآذِرَ الحِيِّ بينَ الخردِ العينِ
وَمل عَلى أثْلاَثِ البَانِ مُنْعَطِفًا وَحْي سلعًا و سَلْ عَنْ حَالِ مسكِينِ
ثُمَّ آتِ جزعًا وجزعِي حي كاظمَةٍ واقرَأْ السلامَ علَى خَيْرِ النَّبِيِّينَ
محمَّدُ المصْطَفَى المُخْتَارِ مَنْ ظهرَتْ آيَاتُـهُ فَتسلَى كـلُّ محـزُونِ[1]

وبذلك استطاع الشاعر أن يمهد لقصيدته بمطلع يتصل بالقصيدة اتصالا روحيا وما زيارة الأماكن إلا ليسهل الانتقال إلى المدح.

وغالبا ما ترد أسماء لنساء تردد ذكرها في الشعر العربي مثل **زينب** و**ليلى** و **سعدى** و **دعد** وغيرها، وفي أسماء ليس لها وجود في واقع حياة الشاعر، ووجودها في معرض القصيدة وجود شعري وحسب، بمعنى أن كل واحدة منهن رمز في وجود فني، حيث يشكل معجم الأسماء في القصيدة المديحية فضاء واسعا لتوظيف هذه الأسماء ضمن حقل اللغة الشعرية، من خلال إسقاط الأبعاد الدلالية التي يتميز بها كل اسم في حقل من الحقول الدلالية، قال ابن الخطيب:

لِي اللَّهُ كمْ أهذِي بنَجْدٍ وحَاجِزٍ وأكنَي بدَعْدَ فِي غرَامِي أَوْ سُعْدَى
ومَا هِي إلاَّ زفرَةٌ هاجَهَا الهَوَى وأبْدَى بِهَا تِذْكَارُ يثربَ مَا أَبْـدَا
وَكَمْ قَدْ كتمتِ الشَّوْقُ لوْلاَ مَدَامعُ يَروي حَديثُها المحاجرُ و الخَدَّا[2]

وبذلك فإن الشاعر يستثمر ما بهذه الأسماء من طاقة إيحائية للتعبير عن حبه للنبي الكريم والأماكن المقدسة متأثرا في ذلك بطريقة المتصوفة في الرمز.

أما ابن جابر الأندلسي، فيبدأ إحدى نبوياته بمقدمة غزلية تقليدية بطلب المرور على بعض الأماكن الحجازية، وإلقاء التحية على الديار وبثها ما تثيره ذكراها في نفسه من شجون، ويذكر اسم فتاته، ويشير إلى حبه لها، وتعلقه بحماها، إشارة رمزية تدل على ذكر أسماء تلك المواطن التي تحمل معاني مقدسة.

إِذَا أَبْصَرْتَ بانَ الجِزْعُ بَانًا — فَمَا حقُّ المدامِعِ أنْ تُصَانَا

هُنالِكَ تُسْكَبُ العبرَاتُ شَوْقًا — إِلَى قَمَرٍ بِذَاكَ الحَيِّ كَانَا

---

[1]– المقري .أزهار الرياض في أخبار عياض،ج1. ص :317 .

[2]–لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص: 480 .

شغفْتُ بِهِ وَلَمْ أَرَهْ بِعَينِي — فَكَيْفَ إِذَا نظرْتُ لهُ عيَانا

سقَى صوْبَ الغمَامِ ديَارِ حَي — بِكاسَاتِ المَحَبَّةِ قدْ سَقَانَا

ديَارٌ قَدْ حمدتْ بهَا حِيَاتِي — فلاَ أنْسَى ليَالِينَا الحِسَانَا

منازِلُ أقفرَتْ منهُمْ وَلَكِنْ — عمرتُ بهَا الجوَانِحَ و الجنَانَا

تذكَّرْتُ العقَيقَ فعَادَ دمْعِي — عَقِيقًا بعْدَما أضْحَى جمانَا

هَوانًا أنْ نَزُورَ دِيَارًا سلع — لأنَّا لا نَرَى فيهَا هَوَانَا

وَجَدْتُ العيْشَ فيهَا خَيرَ عَيْشٍ — وكَانَ لَنَا الزَّمانُ بهَا زمانا

ولمْ أرَ بعدهُنَ الأرضَ أرضًا — ولاَ البانَ الذِي ألقاهُ بانَا

بحقِّكُمْ و حقُّكُمْ عَظيمٌ — خُذُوا لِي منْ بعَادكُمْ أنَا

فَقَدْنَاكمْ فَقَدْ بِتْنَا كَأنَّا — عَلَى جمْرِ الغضَى نَطْوِي حشَانَا[1]

مما سبق نستطيع أنْ نقول إنّ المقدمة الغزلية التي تتصدر بعض القصائد النبوية اكتست ثوباً جديداً، مختلفاً عن ثوب الغزل في مقدمات قصائد المدح التقليدية، فقد تخففت المقدمة الغزلية في المدائح النبوية من الأوصاف الحسية التي غصت بها المقدمات التقليدية، بالإضافة إلى غلبة روح الحنين والشوق إلى أماكن التغزل لما لها من معانٍ دلاليةٍ، وكذلك فقد توشحت هذه المقدمات بالمعاني الرمزية الصوفية، التي أخرجتها عن دائرة التقليد الحرفي، وأدخلتها في نطاق الرمز والتجديد.

وكذلك فإنّ عنصر الرحلة من عناصر المقدمة الغزلية، ولكن الرحلة في مقدمة القصيدة النبوية، تحمل معاني سامية، فهي رحلة تعبر عن السمو الفكري والأخلاقي ولا تقصد إلى الكسب من ممدوحٍ، ملك أو خليفة أو زعيم، وبذلك فإنّ المقدمة الغزلية في المدائح النبوية قد صِغَتْ صياغَةً مناسبة لتكونَ صدراً ملائماً لجسدٍ متماسكٍ.

---

(1)–ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص: 511.

ب/المقدمة الطللية:

يعد التقليد الشعري أحد التقاليد التي حافظ عليها – غالباً – شعراء الأندلس وتتجلى هذه المحافظة في صدور القصائد، على الرغم مما تضفيه البيئة المتحضرة، من لمسات جديدة.

ولعل من أبرز التقاليد التي استمرت في الشعر الأندلسي، تصدر المقدمة الطللية بعض مدائح الشعراء الأندلسيين.

لقد افتتح **لسان الدين بن الخطيب** بعض مدائحه بمقدمات طللية، عدد فيها أسماء الأماكن، وعبّر عن حنينه وشوقه إلى تلك المواطن التي أحالتها يد الزمان إلى معالم دارسة، ونهج في ذلك نهجاً تقليدياً استمد عناصره من معين الأدب الجاهلي:

هَاجَتْكَ إذْ جِئْتَ اللِّوَى فَزُرُودا ... ذِكْرَاكَ أَوْطَانًا بِهَا وَعُهُودَا

عَاثَتْ بِهِنَّ يَدُ الزَّمَانِ فَلَمْ تَجِدْ ... أَعْلاَمَهُنَّ عَنِ العَفَاءِ مَحِيدَا

إلاَّ مَوَاقِدَ كَالحَمَامِ جَوَاثِمَا ... وَتَرَى بِأَظْلاَفِ الظِّبَاء كَدِيدَا

دِمَنُ غُذِيَتْ بِهَنَ أَخْلاَفُ الْهَوَى ... وَلَبِسْتَ رِيعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدَا[1]

ولكنه التفت في غمرة التقليد،ليعلن أنْ لا فائدة من استرجاع ذكريات الماضي،والأجدر بالإنسان أنْ يلوذَ بكنفِ الرّحمن، فبذكراه تطيب النفوس.

مَالِي وَتَذْكَارُ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا ... وَمَوَاثِقَا عِنْدَ الْهَوَى وَعُهُودَا

وَصَبَاحُ شَيْبِ الْفَوْدِ لاَحَ بِمَفْرِقِي   فَغَدَوْتُ من فَقْدِ الصِّبَا مَفْؤُودَا

وَتَذَكَّرْتُ عَهْداً بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى   لاَ يَسْتَحِيلُ، وَمَوْثِقًا مَشْهُودَا[2]

وقد ربط الشاعر بين المقدمة وغرض المدح، بذكر الأماكن الحجازية التي تحمل معاني مقدسة، وكذلك بلجوئه إلى كنف الرحمن، ومن ثم انتقاله إلى الرسول ليشفع له لمغفرة ذنوبه وخطاياه.

فالشاعر الأندلسي، الذي عاش مغترباً، وقف على أرض المغرب البعيد، رامياً بنظره إلى أرض الآباء والجدود، إلى أرض المشرق العربي، مستعيداً ذكراه بتلك

[1]–لسان الدين ابن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. صص:484-485 .

[2]– المصدر نفسه . ص: 485 .

البقاع، ومردّداً بأسلوبٍ تقليديّ مشاهدَ الوقوف الطللي الذي وقفه الشعراء منذ عصر الجاهليين، فإنْ كان شعراء الجاهلية يستوقفون ويقفون، فإنَّ عبد الله بن لسان الدين يستحلف الرّكبَ أنْ يقفوا على أطلال الديار، التي اضطر إلى الرحيل عنها، ويعبر عن حنينه لتلك المعاهد، ولذلك فهو يلح على صاحبه أن يعرّج عليها لعله يشفي بمرآها قلبه العليل، ثم يدعو لهذه الديار بالسقيا،ولا يخفى أنَّ الدعاء بالسقيا تقليدٌ جاهليٌّ:

بحقِّ الهوَى يا حداةِ الحمولِ   قفوهَا قليلاً بتِلْكَ الطلُولِ

معاهدٌ مرتْ عليهَا السحَابُ   ببرقٍ خفوقٍ ودمع همول

أحنُّ إليهَا حَنِينَ العشَارِ   وأبكِي عليْهَا بشَجْوٍ طَوِيلِ

فيَا سعدُ عرّجْ عليْهَا الركابُ   ففيهَا لقبِي شفاءُ الغَلِيلِ[1]

فلم يكتف الشاعر بمشهد الرحيل لبيان شدة لوعته وقلة حيلته في مرافقة ركب الحجيج، بل أضاف إلى ذلك الصورة السمعية المتأنية من حنين الإبل وصوت البكاء وصوت حداة الإبل، وهو سائرون إلى حيث مهبط الوحي ومثوى الرسول الكريم، وما يستدعي ذلك من طلب التعريج على الديار، ليعلل الشاعر بها نفسه الظامئة لزيارتها، فإنه يستشعر اللذة في قسوة الرحلة ومعاناتها.

ومن الملاحظ أنّ أطلالَ الشاعر الأندلسي منازل حيّة ملأى بالناس، وتسير فيها الحياة سيراً طبيعياً إلا أنّ الشاعر اضطر مُرْغماً إلى البعادِ عنها، وحنينه دائماً إليها، ولذلك فهو يصوّر حالته النفسية، ويعكس أحزانه لأنّه لا يستطيع أنْ يعيش في تلك الديار، ويأمل أنْ ينعم بزيارتها:

**وَممَّا شجَانِي وَمِيضٌ خفُوقٌ		كقلْبِي غداةَ النَّوَى والرحِيلِ**

**ودمعٌ يساجِلُ دمعَ الغمامِ		وشجوَ الحمَائِمِ عندَ الهدِيلِ**

**فيَا ليتَ شعرِي وهلْ منْ سَبيلٍ		عَلَى الوجدِ يومًا بصبْرٍ جمِيلِ**

**وهلْ يسمحُ الدهرُ بعدَ العِنَادِ		بجبر الكسيرِ وعزِّ الذلِيلِ**

**وهلْ راجع عهدنَا بِالحِمَى		علَى رغْمِ دهرٍ ظلومٍ جَهُولٍ**[2]

وتكتسب هذه المقدمة قيمة معنوية كبرى من خلال دلالتها على المعاني الدينية الكبرى التي تجسدّها عندما يذكر الشاعر أسماء الأماكن الحجازية المقدسة، فالشاعر

---

[1]– المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7 . ص: 290 .

[2]– المصدر نفسه . ص: 291.

صاغَ هذه المقدمة لتكونَ تمهيداً للمديح النبوي، ولذلك فقد وشاها ببعض المعاني الدينية التي كان يردّدَها الصوفيون:

**وفِي ذِمةِّ اللهِ رَكْبٌ سَرُوا		يجدونَ والليلُ مرخى السَّدُولِ**

**نشاوَى بكأْسَيْنِ كَأسُ الهوَى		وكأْسُ منَ الأمنِ مثْلَ الشمولِ**

**يؤمُّونَ بِالعِيسِ أُمَّ القُرَى		وقبْرُ النَّبِيِّ الشَّفِيعِ الرَّسُولِ**[1]

وتتجلى الأبعاد النفسية التي يكنها كل شاعر أندلسي مغترب من خلال الأبيات التي صوّر فيها الشاعر أرضَ مكة التي فاضت بنور الإسلام، وشرِّفَتْ بضم جثمان الرسول الكريم، ممهداً بذلك للانتقال إلى مدح الرسول، من خلال تحية يلقيها عليه ويحملها كل ما يستطيع من آلام نفسه المعذبة:

**فأبلغْ تحيَّةٌّ صب مشوقٍ		عدته عوَادِي الزمَانِ الخذولِ**

**وقُلْ يَا رسُولَ الهُدَى والشَّفِيعِ		إِذَا ضَاقَ صَدْرُ أَبٍ عَنْ سَلِيلِ**

**عَلَيْكَ الصَّلاَةُ وطيبُ السَّلاَمِ		يُحَيِّيكَ عِنْدَ الضُّحَى وَالأَصِيلِ**[2]

بهذا الانتقال الموفق استطاع الشاعر أن يعكس آلام الأندلسيين في ديار الغربة وشوقهم إلى زيارة الأرض المقدسة، ولكن البعد عن المشرق، وعوادي الزمن والمشكلات السياسية تقف حائلاً يمنع من ذلك فتفتت قلوب الشعراء المغتربين، فالطلل الأندلسي لم يكن آثاراً دارسةً، وإنّما هو ديار مهجورة يحن المغتربون إلى العودة إليها فيها من مقدسات تربطهم بها، وتربط مقدمة الطلل بغرض المدح النبوي.

وأقام الشعراء المقدمة الطللية على النسق الشعري الذي بنيت عليه القصيدة العربية الموروثة من حيث سؤال الطلل وعجمته، وطول الليل المثقل بهواجس النفس، بسبب

انشغال الشعراء بهواجسهم، وهي صورة متكررة في القصيدة العربية الموروثة، قال **ابن جابر:**

فَتَزُور آثَارَ النبوَّةِ والهُدَى وَيُبَاح للصَّبِّ المشُوقِ لِقَاءُ
تلكَ الدِّيَارُ هِيَ الدِّيَارُ فطالَمَا جُلِيَتْ بهَا عَنْ قَلْبِي الغمَّاءُ
لُصبُ الهِضَابِ لِجرِّ أذيَالِ الصَّبَا بهِمَا لَدَيْهِمَا تُرْفَعُ الضَّرَّاءُ
بُشْرَى الذينَ سَرَوا ولمْ تَشْغَلْهُمْ عنْ قَصْدِهِ الأموَالُ وَالأَبْنَاءُ
أَلِفُوا ظُهُورَ العيسِ حتى أصبَحتْ وَكَأَنَّهَا من أَيْنِهَا أَحْنَاءُ

[(1)]– المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7. ص: 291.
[(2)]– المصدر نفسه . ص: 292.

مِنْ كُلِّ حَرْفٍ حينَ تَسْمَعُ بِاسْمِهِ فَلِفِعْلِهَا عِنْدَ الرَّحِيلِ مَضاءُ[(1)]

يقول ابن جابر كذلك:

هِيَ اللَّيَالِي لَيْسَ يُرْعَى صَرْفُهَا لاَ خَامِلاً فِيهَا وَلاَ مَنْ قَدْ سَمَا
فَكَانَ كَالصُّبْحِ جَلاَ جُنْحَ الدُّجَى فأذهب الإظْلاَمَ عَنَّا وَانْتَضَى
إِذَا أَدَارُوهَا وَقَدْ جُنَّ الدُّجَى وَشَى بِهِمْ نَيِّرُهَا فِيمَنْ وَشَى
وَاخْضَعْ إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ وَقُمْ عَلَى قدمِ الرَّجَاءِ فَلَمْ تَكُنْ لِتُخَيَّبَا[(2)]

ويبدو من هذه الأبيات أن الشاعر أضاف عنصرا جديدا إلى هذا النسق بما يمكن أن نسميه التجديد داخل الإطار الموروث، وهو أن شعور الشاعر بطول الليل راجع إلى انشغاله بمديح الرسول الكريم، وما يجد فيه من لذة ومتعة، يستشعر من خلالها نشوة الكبرياء، ويستمد منها عزة نفس، لا يتمنى معها انقضاء الليل على عادة الشعراء.

ومن ذلك مخاطبة شخصيتين وهميتين للتعبير من خلالهما عن معاناته، وآهات نفسه، وجعلهما جسرا يعبر الشاعر من خلالهما إلى غرضه، يقول **ابن جابر:**

إِنْ تَبْلُغَا دَارَ الحَبِيبِ فَبَلِّغَا وَتَحَمَّلاَ عنِّي السَّلاَمَ البالِغَا
وَتَلفتا نَحْوَ الخِيَامِ لِتُبْصِرَا مِنْ بَيْنِهَا قمرَ المَحَاسِنِ بازِغَا
وَقِفَا عَلَى أَعْلاَمِ طِيبةَ وَاحْلِفَا أَنْ لَسْتُ عنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ فَارِغَا
بُثَّا حَدِيثِيَ لِلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فَإِذَا تَبُثَّانِ الْحَدِيثَ فَبَالِغَا[(3)]

فقد خاطب الشاعر شخصيتين ليس لهما وجود في واقع حياة الشاعر، إذ أن مخاطبة الإثنين تقليد كان شعراء الجاهلية يحرصون على إيراده، لطبيعة حياتهم

الانفرادية، التي تحتاج إلى الأصحاب والسمار، وكأنما هذا الخطاب موجه لذات الشاعر، التماسا لرفقة تحمي من الشعور بالوحدة والضياع، وللتعبير عن المعاناة في وقت لا ينفع فيه الندم على ما فرط الشاعر في جنب الرسول الكريم.

وبذلك فقد استطاع الشاعر أن يقدم لقصائده بهذه المقدمات بشكل تتجلى فيه قدرته الإبداعية على رسم المشهد الطللي .

---

[1]–ابن جابر . ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص: 27.

[2]– المصدر نفسه. صص:53–55.

[3]– المصدر نفسه. ص:349.

لكننا ربما لاحظنا على المقدمات الطللية لدى الشاعرين في تلك الفترة أنها غير تلك المقدمات الطللية ذات الأصول المشرقية القديمة فهي«تتوفر على حمولة عاطفية، ودلالات رامزة مرتبطة بحالة نفسية سياسية دينية، وذلك أن ظهور اللحظة الطللية في القصيدة الأندلسية وتكاثرها بشكل لافت للنظر جاء في ظرف كانت الأندلس فعلا بدأت تتحول إلى طلل دارس، فسقوط المدن في أيدي النصارى وتحويل المساجد إلى كنائس... خلق في الذاكرة وعيا بالتاريخ والثقافة الشعرية القديمة حتى صار الأندلسي يتذكر في كل لحظة الرسوم والأطلال، لم لا وقد كان يمر على ديار كان يسكنها ورياض و نزه كان يتمتع بها فيراها فارغة إلا من الكفر، أو ليس هذا طللا!؟ إنه في الواقع أكثر من طلل، لأن الطلل في الثقافة الشعرية القديمة يرتبط بجزء من عواطف الإنسان(بالمرأة) بالحب، أما طلل الأندلسيين فإنه يمس جميع العواطف: الدينية والأخلاقية والسياسية والقومية والوطنية »[1] .

(1)– قاسم الحسيني. بناء القصيدة في الشعر الأندلسي،رسالة دكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس«مخطوطة»، إشراف د،عباس الجراري،1989م . صص: 125–126.

ج–<u>مقدمة الشوق والحنين:</u>

لقد كانت مقدمة الشوق والحنين إلى أراضي الحجاز ومقدساته من المقدمات الملائمة لتصدر قصيدة المدح النبوي، فقد برّح الشوق بفؤاد لسان الدين بن الخطيب، فكان مثالاً بارزاً للشاعر المغترب الذي لا ينفّكُ يلهَجُ بذكرِ الحجازِ على الرّغم من بعدِ الدّارِ وشطّ المزار فقد استهل عدداً من نبوياته بالتعبير عن لوعته وشوقه، فكل ما في الطبيعة من عناصر يثير هياج أشواقه، ويستنزف دموعه، ويحرّك دواعي حنينه:

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِـي نَجْـدَا   وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحَ وَالوَجْدَا

وَمِيضُ رَأَى بُرْدَ الغَمَامَةِ مُغْفَلاً   فَمَدَّ يَدًا بِالتِّبْرِ أَعْمَلَتِ البُـرْدَا

تَبَسَّمَ فِـي بَحْرِيَّـةٍ فَتَجَهَّـتْ   فَمَا بَذَلَتْ وَصْلاً وَلاَ ضَرَبَتْ وعْدَا

وَرَاودَ مِنْـهَا فَارِكًا قَدْ تَمَنَعَتْ   فَأَهْوَى لَـهَا نَصْلاً وَهَدَّدَهَا رَعْـدَا

وَأَغْرَى بِهَا كَفُّ الغِلاَبِ فَأَصْبَحَتْ   ذَلُولاً، وَلَـمْ تَسْطَـعْ لامْرَتِـهِ رَدَّا

فَحُلَّتُهَا الحَمْرَاء مِنْ شَفَقِ الضُّحَى   نَضَاهَا،وَحَلَّ المُزْنُ مِنْ جِيدِهَا عَقْدَا

لَكَ اللَّهُ مِنْ بَرْقٍ كَأَنَّ وَمِيضَهُ   يَدُ السَّاهِرِ المَقْرُورِ، قَدْ قَدَحَتْ زِنْدَا[1]

والجدير بالذكر أنَّ هذه المقدمات كانت تَحْمِلُ ملامح البيئة الأندلسية التي تتغلغل في عناصر وصف طبيعة الحجاز، وكل ما فيها من زهر ونسيم، فالشاعر ابن بيئته، والشاعر الأندلسي يصف أرض الحجاز بروح أندلسية ملأى بالحنين والشوق، فكان يمزج

بين الشيح والورد والنرجس والنسيم العليل فتبدو مقدماته مزيجاً بين العناصر المغربية والمشرقية:

تَعَلَّمَ مِنْ سُكَّانِـهِ شِيَـمَ النَّـدَى   فَغَادَرَ أَجْرَاعَ الحِمَى رَوْضَةً تَنْدَى

وَتَوَجَ مِنْ نُوَّارِهَا قُنَـنَ الرُّبَـا   وَخَتَّمَ مِنْ أَزْهَارِهَا القُضُبَ المُلْدَا

سُرْعَانَ مَا كَانَتْ مَنَاسِفَ لِلصبَا   فَقَدْ ضَحِكَتْ زَهْرًا، وَقَدْ خَجِلَتْ وَرْدَا

بِلاَدُ عَهْدِنَا فِي قَرَارَاتِهَا الصِّبَا   يَقِلُّ لِذَاكَ العَهْدِ أَنْ يَأْلَفَ العَهْدَا

إِذَا مَا النَّسِيمُ اعْتَلَّ فِي عَرَصَاتِهَا   تَنَاوَلَ فِيهَا البَانَ،وَالشِّيحَ وَالرَّنْدَا

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. صص: 471–472.

فَكَمْ فِي مَجَانِي وُرْدِهَا مِنْ عَلاَقَةٍ   إِذَا مَا اسْتُثِيرَتْ أَرْضُهَا أَنْبَتَتْ وَجْدَا[1]

ومن مقومات مقدمة الشوق والحنين الدُّعاء بلهفة وتحنن إلى أرض الحجاز، والدعاء للركب الميممين وجوهَهُمْ نحوها بأن يمهّدَ الله لهم الصعاب، ويبلغَهُمْ أمانيهم.

وقد أكثر الشاعر من استخدام الألفاظ الدينية في مطلع قصيدته مما يزيد المقدمة ارتباطاً بالغرض كقوله:

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مَا نَضَحْتُ بِذِكْرِهَا   عَلَى كَبِدِي إِلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا

وآنَس قَلْبِي فَهْوَ لِلْعَهْدِ حَافِظٌ   وَقَلَّ عَلَى الأَيَّامِ مَنْ يَحْفَظُ العَهْدَا

صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ تَبْقَ إِلاَّ ذُبَالَـةٌ   إِذَا اسْتَنْشَقَتْ مَسْرَى الصَّبَا اشْتَعَلَتْ وَقْدَا

لِي اللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ وَ حَاجِرٍ   وَأَكْنِي بِدَعْدَا فِي غَرَامِي أَوْ سُعْدَى

وَمَا هُوَ إِلاَّ الشَّوْقُ ثَارَ كَمِينُـهُ   فَأَذْهَلَ نَفْسًا لَمْ تُبِنْ عِنْدَهُ قَصْدَا

وَمَا بِي إِلاَّ أَنْ سَرَى الرَّكْبُ مُوهِنًا   وَأَعْمَلَ فِي رَمْلِ الحِمَى النَّصَّ وَالوَخْدَا

وَجَاشَتْ جُنُودُ الصَّبْرِ وَالبَيْنِ والأَسَى   لَدَيَّ فَكَانَ الصَّبْرُ أَضْعَفَهَا جُنْدَا[2]

ولعل أهم مميزات مقدمات الشوق والحنين، تلك النفحات الصوفية التي يعترف بها الشاعر في مطلع مدحته، وهو يشير إلى أنّه يرمز ويكني، وقد استطاع بذلك أنْ يوضح صورة الأندلسي المغترب، الذي يحن إلى أرض الحجاز ويمني نفسه بزيارة المقدسات، ولكن البعد قد حال دون ذلك، وبذلك يسبر الشاعر أغوار النفوس ويصوّرها تصويراً صوفياً صادقاً.

وتعد مقدمة الحنين من أكثر الموضوعات تعبيراً عن الشوق لزيارة النبي، وأكثر تمكّناً من التعبير عن أفكار الصوفية وحبهم لرسول الله،كما يتجلى في قول لسان الدين:

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ   وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبُ

مُدِلٌّ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَرْفُـهُ   غَضِيضٌ عَلَى حُكْمِ الْحَيَاءِ مُرِيبُ

يُكَلِّفُ قُرْصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ   إِذَا مَا هَوَى، وَالشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ

لِتَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غُدْوَةً   وَقَدْ ذَاعَ مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ طِيبُ

---

(1)– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص: 472.

(2)– المصدر نفسه. صص: 473–474.

وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشَّمَالِ شَمَائِـلاً   مِنَ الحُبِّ، لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَّ رَقِيبُ

وَيَطْلُبُ فِي جَيْبِ الْجَنُوبِ جَوَابَهَا   إِذَا مَا أَطَلَّتْ وَالصَّبَاحُ جَنِيبُ

وَيَسْتَفْهِمُ الْكَفَّ الْخَضِيبَ وَ دَمْعُهُ   غَرَامًا، بِحِنَّاءِ النَّجِيعِ خَضِيبُ[1]

وتظهر في هذه المقدمة ملامح البيئة الأندلسية بوضوح، فالشاعر الأندلسي الذي فطرت نفسه على وصف البرق والمطر والزهر والشجر، والسحاب والنسيم، أظهر ذلك في مقدمات الحنين إلى المشرق، فمزج من خلال ذلك بين العناصر المشرقية والمغربية وذلك مما يزيد عنصر العصر عمقاً، وتأثيراً في النفس.

وقد اكتسبت تلك المقدمات عمقها أيضاً من خلال قدرة الشاعر على توفير أكثر مقومات هذه المقدمة، ومن أبرز المشاهد في تلك اللوحة الفنية، مشهد تصوير النفس البشرية، التي تفيض بمشاعر الحنين الصوفي الصادق، وهي تعاني من لوعة الشوق، وتكابد آلام البعد عن مثوى الحبيب الهادي،. ولكن بوارق الأمل التي يمني الصوفية نفوسَهم بها، ما تنفكّ تبرق، فتضيء النفوس، وينعكس هذا البريق في الشعر مسجلاً لوحات فنية، لها مقوماتها البارزة:

وَمَا هَاجَنِي إِلاَّ تَأَلُّقُ بَارِقٍ   يَلُوحُ بِفَوْدِ اللَّيْلِ مِنْـهُ مَشِيبُ

ذَكَرْتُ بِهِ رَكْبَ الْحِجَازِ وَجِيرَةً   أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الْحَبِيبِ مُهِيبُ

فَبِتُّ وَجَفْنِي مِنْ لآلِـىءِ دَمْعِهِ   غَنِيٌّ، وَصَبْرِي لِلشُّجُونِ سَلِيبُ

تُرَنِّحُنِي الذِّكْرَى وَيَهْفُو بِي الْجَوَى   كَمَا مَالَ غُصْنٌ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبُ

وَأَحْضُرُ تَعْلِيلاً لِشَوْقِيَ بِالْمُنَى وَيطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبُ
مُنَايَ لَوْ أَعطيْتُ الأَمَانِي زَوْرَةً يُبَثُّ غَرَامٌ عِنْدَهَا وَوَجِيبُ
فَقَوْلُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقًا عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبُ[2]

كما أفاد ابن جابر وغيره في تعبيرهم عن حبهم للرسول ﷺ، ووجدوا فيه خير معبر عن شوقهم وحبهم، الأمر الذي جعله يتسم بعاطفة جياشة محبة مشتاقة إلى الرسول ﷺ ولمدينته المنورة، لذلك قطع ابن جابر وغيره الفيافي والقفار يحثون مطاياهم ويستعجلونها كلما أتعبها الترحال، ويصبرون أنفسهم، ويمنونها برؤية العقيق

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. صص :320-321.
[2]– المصدر نفسه . صص :322-323.

والرند والغوير ونجد وغيرها من المواضع التي أحيوها لحبهم للرسول الكريم، هذا الحبيب الذي يذكرونه دائما ويصبون غليه، ويذرفون الدموع غزيرة تترى شوقا وهياما،قال ابن جابر:

إليكَ رسولَ الله جبنَا الفلاَ وخْدا ولولاكَ لم نهْوَ العقيقَ ولاَ الرنْدَا
ولولاَ اشتيَاقِي أن أراكَ بمقلَتِي لما كنتُ أشتاقُ الغويرَ ولاَ نجْدَا
ولولاَ رجاءُ القلبِ منْ ذلكَ الحِمَى لما اخترتُ عنْ أَهْلِي وَعَنْ وطنِي بعدَا
ومنْ أجلكُمْ أصبُو إذا هبتِ الصبَا تجر صباحاً فوْقَ أرضكُم بردَا
ومَا افتر ثغرُ البرْقِ منْ أرْضِ بارقٍ لعينيَ إلا فاضَ دَمْعِي لَهُ وَجْدَا
ولاَ أستلذ العيشَ في غيرِ أرضِكُمْ ولاَ أشتَهِي منْ غيْرِ مَائِكُمْ وِرْدَا[1]

وتعد مقدمة مقصورة ابن جابر صورة مثلى للمزاوجة بين مقدمات القصيدة العربية القديمة

بادَرَ قلبي للهوَى ومَا ارتأَى لمَّا رأَى من حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى
فقرَّبَ الوجدُ لقلبِي حُبَّهَا وكَانَ قَلبِي قبْلَ هذَا قَدْ سَأى
يَا أيُّهَا العاذلُ في حبِّي لَهَا أَقْصرْ فلي سمْعٌ عنِ العذْلِ نأى
لوْ أبصرَ العاذلُ منها لمحةً مَا فَضَّ بابَ عذلِهِ ولا فَأَى[2]

وما أشار إليه ابن حجة الحموي في التلاؤم مع قصيدة المديح النبوي[3] وكان هذا سببا إضافيا لاشتهار القصيدة، وفي العصر نفسه، خرج شعراء أخرون عن هذا النهج

وظهرت مقدمات مختلفة تبوح بما يحمله الشاعر من فكر وآراء مثل المقدمات الرمزية الغامضة.

فابن جابر كغيره من شعراء العربية، وفي للتراث العربي، محافظ على تقاليده، ولكن ذلك لا يعني أن الشاعر الأندلسي تقوقع داخل دائرة التقليد مكبلا بقيوده، وإنما أخذ من التراث ما هو حي متجدد، ونفخ فيه روح البيئة.

---

(1)–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.صص:191–192.

(2)– المصدر نفسه . صص :39–40.

(3)– القصيدة كاملة في النفح. ج10.ص: 167–181.

من العناصر المتممة لقصيدة المدح، عنصر التخلص من المقدمة إلى المدح، وابن الخطيب قد استطاع أنْ يتخلّص تخلّصاً حسناً في معظم قصائده.

د–حسن التخلص:

1–التعريف بالمصطلح وتطوره:

التخليص في اللغة: التنجية من كل منشب، نقول: خلَّصته من كذا تخليصا أي:نجيته تنجية فتخلص، تخلَّصه تخلصًا كما يتخلّص الغزل إذا التبس[1].وخلَّصته :أي ميزته .من غيره[2]

أما في الاصطلاح :«فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا»[3]. وعد البلاغيون ذلك دلالة على حذق الشاعر وامتلاكه القدرة على التصرف.

ويجمع أهل البلاغة على أن حسن التخلص في النثر أسهل منه في النظم« لأن الناظم يراعي القافية و الوزن، فيكون في ذلك صعوبة بخلاف الناثر، فإنه لا يراعي قافية و لا يحافظ على الوزن، بل هو مطلق العنان يضع قدمه حيث شاء، فمن أجل ذلك كان أشق على الناظم منه على الناثر»[4].

ويكاد يتفق النقاد والبلاغيون على أن البراعة في"التخلص" مما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم[5] ، فلم يكن القدماء يعنون به .« وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح، بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل و ذ كر القفار وما هم

بسبيله: (دع ذ ا) و(عد عن ذا) ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بـ(أنَّ)المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه، فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا

---

(1)– ينظر: ابن منظور. لسان العرب، ج1، مادة : خلص . ص:877 .

(2)– ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. المصباح المنير،ج1، مادة: خلص ،بيروت: دار الفكر، (د. ت). ص: 177.

(3)–ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج3. ط 2. دار الرفاعي، الرياض، 1404هـ، 1984 م. ص: 147

(4)– العلوي، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج2 . دار الكتب العلمية ، بيروت، 1402هـ، 1982 م . ص:331

(5)–ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد بن أحمد، عيار الشعر،تحقيق عبد العزيز المانع، دار العلوم، الرياض،1405 هـ، 1985 م. ص: 184.

بقوله: (دع ذا) و(عد عن ذا) ونحو ذلك، سمي طفرا وانقطاعا(1).

وإذا كان المتأخرون قد عنوا بحسن التخلص دون العرب الأوائل، فهذا لا يعني أن شعر أولئك القدماء قد خلا تماما من هذا الفن، وإنما المراد عدم توجيه اهتمامهم إليه وذلك شأنهم في سائر فنون البديع التي لم يعهد منهم تمام العناية بها، بل كانوا يؤثرون في ذلك كله عدم التكلف .ولهذا لم يخل شعرهم من (التخلص) تماما، فقد أوردوا لزهير بن أبي سلمى قوله، وهو من هذا الباب:

إِنَّ البَخِيلَ ملوُمٌ حَيْثُ كَانَ وَ لسـ كن الكَرِيم عَلَى علاتِهِ هَرَمُ

يقول ابن حجة الحموي في تعليقه على هذا البيت« انظر إلى هذا العربي القديم، كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد، وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به .وعلى كل تقدير، فمن كلام العرب استنبِط كلُّ فن، فإنهم .ولاة هذا الشأن »(2).

وإذا استطاع الشاعر أن يأتي بالتخلص في بيت واحد كان ذلك عندهم دلالة على تمكنه في هذا الفن، وجعلوا حسن تخلصه ذاك غاية في الرشاقة، ومنتهى الإعجاز و اللطافة، ومن هذا الجانب استحسن النقاد والبلاغيون قول أبي تمام:

مازلت عَنْ سُنَنِ الوِدَادِ ولا غَدَتْ نَفْسِي عَلَى إِلْف سِوَاكَ تَحُومُ
لاَ وَالَّذِي هُوَ عَالِم أَنَّ النَّـوَى مُر وَأَنَّ أَبَا الحُسِيْنِ كَرِيـمُ

وعدوا(براعة التخلص) في هذا النص مقدمة على غيرها من وجوه عدة، منه :أنه

تخلص من النسيب إلى المدح بتخلص سهل رشيق دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، ومنه: حسن الانسجام التام ، وشدة الممازجة والالتئام، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، ومنها أن الشاعر وثب من الشطر الأول إلى الشطر الثاني وثبة اختلاسا، وهذا ما تنافس على الإتيان به شعراؤهم المتأخرون الذين اعتنوا بهذا الفن .

---

(1)– ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1. ص:239 .

(2)– ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 1، صص: 329–330.

وذكروا لأبي تمام أيضا في (حسن الختام) قوله:

فالأَرْضُ مَعْرُوفُ السماءِ قِرى لـهَا   وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو العَبَّاسِ

وفيه انتقال من الوصف إلى المديح، وقد عدوا مثل تلك المخالص من المخالص الفائقة، ووصفوها بالسحر الحلال[1] .

ومن باب وضوح الدلالة على الشيء بتعريف ضده، تحسن الإشارة هنا إلى مقارنة هذا الفن البديعي(حسن التخلص) بضده البعيد كل البعد عن البراعة، وهو ما صنفوه ضمن (التخلص القبيح) وقد سقط في وحله عدد من الشعراء المشار إليهم بالبنان الذين الذين تربعوا على قمة البيان، ومنهم **أبو نواس** الذي عرفت له المخالص الفائقة، فمن تخاليصه القبيحة قوله:

سأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بن يَحْيَى بن خالد   هواك لعَلَّ الفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وقد أراد أن يجعل لممدوحه مكانة عزيزة لدى جميع الناس من ذكر و أنثى، وأنه صاحب الكلمة المسموعة، فجعله في هذا البيت ساعيا بينه وبين محبوبته في الو صال، وتلك مهمة تسقط بعلو الممدوح ورفعته إلى الحضيض، وقد أخذ هذا المعنى **أبو الطيب المتنبي** فجاء بما هو أقبح في قوله:

عَلَّ الأَمِيرُ يَرَى ذلي فيشْفَعُ لِي   إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلاَ

ومثل هذا يتبرأ منه الممدوح، ويخشى من الناس سماعه لما يحمل في مضمونه من صفة ذميمة تحط من قدره، وتقلل من مكانته، وما أدل على ذلك من قصة قيس بن ذريح مع صاحبه ابن أبي عتيق، حين طلَّق قيس زوجته(لُبنى) وتزوجت غيره، فندم على ذلك،

وشبب بها في كل معنى، فرحمه ابن أبي عتيق، وسعى في طلاقها من زوجها، وأعادها على قيس فقال يمدحه:

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي عَلَى الإِحْسَانِ خيرًا مِنْ صَدِيقِ
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِـي جَمِيعًا فَمَا أَلْفَيْتُ كَابنِ أَبِي عَتِيـقِ
سَعَى فِي جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صدْعٍ وَرَأْيٍ حُدْتُ فِيهِ عَنِ الطَّرِيـقِ
وَأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانْتْ بِقَلْبِي أَغْصتْنِي حَرَارَتُهَـا بَرِيقِـي

[(1)]– ينظر: ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 1، . صص: 329–350 .

يقول **أبن حجة الحموي** :« فلما سمعها أبن أبي عتيق قال لقيس :يا حبيبي أمسِك .عن هذا المدح، فما يسمعه أحد إلا ظنني قوادًا»[(1)] .

ومن هذه الشواهد التي تشير إلى(التخلص) من وجهيه(الحسن، القبيح) تتجلى مكانة براعة التخلص في علم البديع وأنه من الفنون البديعية التي لا تتأتى إلا للحذاق من الشعراء،« ولعمري إنها طريقة بديعة، ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة، وتمكن الذهن من البراعة، وإن لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع»[(2)] .

ويختلط مصطلح(التخلص) بمصطلح آخر يطلق عليه(الاستطراد) وهو مأخوذ من قولهم :أستطر الفارس من قِرنه في الحرب، وذلك أن يفرمن بين يديه يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة في الحر ب .وهو في البلاغة الانتقال من معنى إلى معنى آخر، ثم يقطع الكلام وير جع إلى المعنى الأول، فلا يكون المستطرد به آخر ما تكلم به، بينما لا يرجع في(التخلص)إلى الأول، وإنما يستمر فيما خلص إليه[(3)]

ولعل من أوضح الأمثلة على الاستطراد قول السموأل بن غريض بن عاديا في لأميته المشهورة:

وَإِنَّا لقَوْمٌ لاَ نرَى القَتْلَ سِبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَ سلولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتَ آجَالَنا لَنَا وَتكرهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سِيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ[(4)]

وفي هذه الأبيات، خرج السموأل من الفخر منتقلا إلى هجاء عامر وسلول، ثم عاد إلى الموضوع الأول وهو الفخر.

ويذكر البلاغيون مصطلحا ثالثا يطلق عليه(الاقتضاب) ويعني انتقال الشاعر من

موضوع إلى آخر غيره من مديح، أو هجاء، أو غير ذلك من أفانين الكلام لا يكون بين الأول والثاني ملائمة ولا مناسبة، بخلاف(التخلص)، حيث يقطع الشاعر كلامه الذي هو

---

[1]– ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص :332.

[2]– المصدر نفسه . ص: 331 .

[3]– ينظر: بدوي طبانة. معجم البلاغة العربية .ص: 458 .

[4]– السموأل. الديوان. دار بيروت، 1406هـ،986م. في مجلد واحد مع (ديوان عروة بن الورد وديوان حاتم الطائي) . ص :91 .

بصدده، ثم يستأنف كلاما آخر، وذلك كثير في شعر المتقدمين من العرب كامرئ القيس، والنابغة، وطرفة ولبيد[1] . ومن الأمثلة التي توضح(الاقتضاب) ما قاله أبو نواس في مدح محمد الأمين وقد انتقل فيها من وصف الخمرة إلى المديح من غير مناسبة تلائم بينهما، ومنها قوله:

فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذِبِ   كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أذنِـي

مِنْ كميتِ اللَّوْنِ صَافِيـةٌ   خَيْرَ مَا سَلْسَلْتُ فِي بدَنِ

مَا استقرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًـى   قَدْ رَأَى مَا لَوْعَةُ الْحُزْنِ

مُزِجَتْ مِنْ صَوْبِ غاديـة   حَلَبَتْهُ الرِّيـحُ مِنْ مُزُنِ

تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَـى ملك   قَامَ بِالآَثَـارِ وَ السُّنَـنِ[2]

وإذا تأملنا البيت الأخير في النص السابق يظهر لنا انقطاع معناه عما سبق، لأن الشاعر انتقل فيه إلى المديح بعد أن كان حديثه في وصف الخمرة، ولم يكن بين الغرضين تناسب وانسجام، وكأن الشاعر قد استهل كلاما آخر مبنيا على معنى جديد .وهذه الطريقة في الانتقال من غرض إلى آخر من غير علقة بينهما هي الفاصل بين مصطلحي (التخلص، والاقتضاب)، وقد أشار إلى هذا الفرق ابن القيم الجوزية في قوله:« فالفرق بينه وبين الاقتضاب أن التخلص لا يكون إلا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه، وأما الاقتضاب فليس شرط أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاما مستأنفا منقطعا عن الأول»[3] .

ومن المصطلحات المرادفة لـ(التخلص) مصطلح(حسن الخروج) وهو سابق لمصطلح (التخلص)، وهو من مسميات(**ثعلب**)(ت:291هـ)، وقد ذكر أمثلة له في

كتابة (قواعد الشعر) ختمها بقول ذي الرمة:

حَنَّتْ إِلَى نَعَمٍ الدهنَا فَقُلْتُ لَهَا   أُمِّيْ هلالاً عَلَى التوفِيقِ و الرشْدِ

[(1)]– ينظر: يحيى بن حمزة العلوي،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج2. ص:347.

[(2)]–ينظر في ذلك : حديث بدوي طبانه عن الاقتضاب و أمثلته في: (معجم البلاغة العربية) ج 2، صص:707–709 .

[(3)]– ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان .(د. ط)، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د . ت) صص:158–159 .

والبيت فيه انتقال من وصف الناقة إلى المديح، والممدوح– هنا– هلال بن أحوز المازني.ويشترط أبوالعباس احمد بن يحيى ثعلب أن يكون الخروج عن بكاء الطلل،ووصف الإبل، وتحمل الأظعان، وفراق الجيران بغير(دع ذا) و(عد عن ذا) و(اذكر ذا)، بل من صدر إلى عجز، لا يتعداه إلى سواه، ولا يقرنه بغيره [(1)].

و يتفق أهل النقد و البلاغة على هذا الشرط، و إن جعلوه دلالة على حِذق الشاعر وقدرته وبلاغته، فإن كان الانتقال من(الصدر إلى العجر) كان غاية في الحسن، وإلا يكفي أن يكون الانتقال سهلا ورشيقا، كأنما أفرغ إفراغا، حتى و إن لم يكن قد وقع في بيت واحد، وإنما في بيتين متجاورين .وتبعه في هذه التسمية تلميذه(عبد الله بن المعتز) (ت 296 ﻫ) حين ذكر محاسن الكلام فقال:« منها حسن الخروج من معنى إلى معنى)ثم استشهد له بعدد من الشواهد ختمها بقول إسحاق الموصلي، وقد خرج من وصف السكر إلى الهجاء:

فَمَا َذرَّ ِقَرْن الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا   مَن الِعيِّ نَحْكِي أَحمد بن هشا م[(2)]

وسماه أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت:322 ﻫ) (التخلص)وأورد له طرقا شتى سلكها القدماء و المحدثون واستشهد لذلك بعشرات الأمثلة ختمها بتسعة شواهد من شعر أبي تمام آخرها قوله:

وَلَقَدْ بلونَ خَلاَئِقِي فَوَجَدْنَنِي   سمح َاليَدَيْنِ ببذْلِ وُدِّ مُضْمَرِ

يُعْجَبْنَ مِّني أن سمحتُ بِمُهْجَ ِتي   وَكَذَاكَ أَعْجَبُ من سماحةِ جَعْفَرِ

مَلِكُ إِذَا الحَاجَاتُ لُذْن بحقوِهِ   صَافَحْنَ كَفَّ نوالـه المُتَيَسِّرِ [(3)]

و كذلك سماه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت :392) هذه التسمية في قوله:

« و الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين ا لاستهلال و التخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائل .

---

[1]– ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى. قواعد الشعر، شرح و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط1. مكتبة البابي الحلبي، القاهرة،. 1367هـ 1948 م. ص: 50.

[2]–ابن المعتز،عبد الله. كتاب البديع،عني بمقدمته وفهارسه: إغناطوس كراتشقو فسكي. ط3. دار الميسرة، بيروت،1402هـ–1982م. صص:60–62 .

[3]– ابن طباطبا العلوي. عيار الشعر. صص: 184–199.

تخصها بفضل مراعاة»[1] .

وسماه أبو هلال العسكري (ت:390هـ) (الخروج) وعقد له فصلا في كتاب (الصناعتين) وهو الفصل الثالث من الباب العاشر وجعله بعنوان:«في الخروج من النسيب إلى المدح وغيره » .وبدأ الفصل بقول ه" :كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار و البكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر ...قالت: (فدع ذا وسل الهم عنك بكذا) كما قال:

فَدَعْ ذَا وسلِ الهَمَّ عَنْكَ بجَسْرَةٍ ذمولُ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجرَا

...فأما الخروج المتصل بما قبله فقليل في أشعارهم»[2].

وسماه ابن رشيق القيرواني (ت:456 هـ) (الخروج) وتناول الحديث عنه مع حسن افتتاح الكلام و خاتمة في باب خاص سماه (باب المبدأ، والخروج، والنهاية) ومن حديثه عن (الخروج) قوله:« و أما (الخروج) فهو عندهم شبيه بـ (الاستطراد)، وليس به،لأنَّ (الخروج) إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيلٌ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه ...والاستطراد: أن يبني الشاعر كلاما كثيرا على لفظه من غير ذلك النوع، . يقطع عليه الكلام، وهي مراده دون جميع ما تقدم، و يعود إلى كلامه الأول...»[3]

وسمى ابن سنان الخفاجي (ت :466 هـ) (الخروج) تخلصا فقال :« ومن الصحة صحة النسق والنظم، وهو أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقا بالأول وغير منقطع عنه، ومن هذا الباب خروج الشعراء من النسيب إلى المدح، فإن المحدثين أجادوا التخلص، حتى صار كلامهم في النسيب متعلقا بكلامهم في المدح لا ينقطع، فأما العرب المتقدمون فلم يكونوا يسلكون

(1)–الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه .(د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت). ص :48 .

(2)– العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله . كتاب الصناعتين ، تحقيق: فؤاد قميحة. ط3. دار الكتب، بيروت، لبنان،1404هـ–1984م.ص: 513–514 .

والبيت المذكور لامرئ القيس، و**الجسرة:** الناقة العظيمة، و**الذمول:** التي تسير سيرا سريعا لينا، و **صام النهار:** اعتدل وقام قائم الظهيرة ، و**هجر:** من الهاجرة شدة الحر .

(3)– ابن رشيق القيرواني . العمدة . صص : 234–236 .

هذه الطريقة، و إنما كان أكثر خروجهم من النسيب إما منقطعا وإما مبنيا على وصف الإبل التي ساروا إلى الممدوح عليها ...»[1] .

وسماه أبو طاهر البغدادي (ت :517 هـ) (براعة التخلص) فقال:« وأما براعة التخلص :فإن من حكم التشبيب أن يكون ممتزجا بما بعده من مدح أو هجاء وغيرهما، وغير منفصل عنه، فإن القصيدة مثلها كمثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، بطل الجسم، وحذاق الشعراء لا يفصلون بينهما، بل يصلون .الأول بالآخر، حتى تراه كالرسالة والخطبة، لا ينقطع جزءٌ من جزء »[2].

واستشهد بعد ذلك لبراعة التخلص بعدد من الأمثلة، ومن أجملها و أوضحها، استشهاده بأبيات لمحمد بن وهب يقول فيها:

مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفَـهُ   ويعلُّنِي الإبْرِيقُ والقدحُ

حتَّى استَرَدَّ اللَّيْلُ خلعتَـهُ   وَبَدَا خِلاَلَ سَوَادِهِ وَضَحُ

وَبَدَا الصَّبَاحُ كأنَّ غرّتـهُ   وجهُ الخليفَةِ حينَ يُمْتَدَحُ[3]

وسماه أبو القاسم الكلاعي(من أعلام القرن السادس الهجر ي) (التخلُّص)وأفرد له فصلا في كتابه:(إحكام صنعة الكلام) وجعله بعنوان: (في التخلص من الصدور إلى الغرض المذكور) وختم الفصل بقوله: « وربما توصلوا بغير ما ذكرناه إلى غرض الكتاب، وتخلصوا بغير ما أوردناه إلى معنى الخطاب...»[4]. واقتصر كلامه في الكتاب على (التخلص)في النثر، لأن المؤلف وضع كتابه لدراسة النثر وفنونه، و بحث ضروب الكلام وأنواعه، ولعل عنوان الكتاب ينطوي على أنه في موضوع النثر.

وسماه ابن أبي الإصبع المصري (ت :654هـ) (براعة التخلص) وأفرد له بابا خاصًا في كتابه:(تحرير التحبير) وذكر له أمثلة من القرآن الكريم و الشعر العربي، وقد

---

[1]–ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد. سر الفصاحة . دار الكتب العلمية ، بيروت، 1402هـ/1982م. ص:268 .

[2]– البغدادي،أبو طاهر محمد بن حيدر . قانون البلاغة في نقد النثر والشعر. تحقيق: محسن عياض عجيل. ط1. مؤسسة الرسالة، بيروت،1401هـ–1981م . ص :120.

[3]–المصدر نفسه . صص : 120–121.

[4]–الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور.إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية. (د.ط). دار الثقافة ، بيروت،1966م. صص :69–72.

استهل هذا الباب بقوله:« وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من مدح، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم، فإن المتأخرين قد لهجوا بها، وأكثروا منها، وهي لعمري من المحاسن ...وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز، وهو دقيق في عين الغبي، خفي يخفى على غير الحذاق من ذوي النقد»[1]. ومن ضمن شواهده الحسنة في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي يمدح الغيث بن علي بن بشر العجلي:

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تربيهَا فَقُلْت لَهَا　　　مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العربَا

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمَغِيثِ يَرَى　　　ليثَ الشرَى وَهُوَ من عجل إِذَا انْتَسَبَا[2]

و جعل حازم القرطاجني (ت:684هـ) مذهب الإبداع في التخلص والاستطراد أحد مذاهب البلاغة المستشرقة وذكر للتخلص صورتين إحداهما، الانتقال بتلطف وتدرج، والثانية :يكون الانتقال فيه من غير تدرج و سماه الخروج، فقال:« وطريقة التخلص ينحى بها أبدا نحوان: نحو يتدرج فيه إلى ما يراد التخلص إليه، ويتنقل بتطلف إليه مما يناسبه ويكون منه سبب، و نحو لا يكون التخلص فيه بتدرج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه ولكن الخاطر حيزا من حيز، وملاحظته طرفا من طرف، قيعطف إلى ما يريد التخلص إليه بما يكون مناقصا له أو مخالفا أو شك انعطاف من غير مقدمة تشعر بذلك

أو واسطة تنظم بين الطرفين ولكن بالخروج من أحدهما والتخلي عنه دفعة إلى الآخر...»[3] .

---

[1]– ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.(د.ط). لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،(د.ت). ص:433.

[2]– المصدر نفسه . ص :437 . والبيان في ديوان المتنبي . شرح: عبد الرحمن البرقوقي،ج1.دار الكتاب العربي، بيروت،1400هـ/1980م.ص:239. و**الترب:** السماوي لغيره في العمر، و**الشادن:** من الضباء الذي قوي وترعرع واستغني عن أمه، ويريد به–هنا– المحبوبة، و**المغيث** : اسم الممدوح.

[3]– أبو حازم القرطاجني. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: 319.

وأشار القرطاجني إلى أن التخلص يمكن أن يكون في شطر بيت، أو في بيت بجملته،أو في بيتين، ثم قال:« وكلما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ .وقد يستحسن التخلص الواقع في البيت بأسره ويقع من النفوس أحسن موقع »[1] .

وينّبه القرطاجني على ضرورة الحرص والاهتمام بالبيت الذي يلي بيت التخلص،ويوجه الشاعر إلى العناية بهذا البيت ليكون كفيلا بإحداث هزة تهيئ المتلقي لما يرد بعد التخلص و في هذا الصدد يقو ل:« ومما يجب اعتماده في التخلص :أن يجتهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلص، فإنه أول الأبيات الخالصة للحمد أو الذم، وأول منقلة من مناقل الفكر في ما تخلصت إليه، فيجب أن يعتمد فيه ما يكون محركًا للنفس لتستأنف هزة ونشاطا لتلقي ما يرد، فإن العناية بهذا البيت نحو من العناية بالبيت الثاني من مطلع
القصيد، بل ربما كانت الحاجة إلى استثارة الهزة عند الانعطاف آكد منها في استثارة ذلك عند المبدأ » [2] .

ويطلق القرطاجني مصطلح (الخروج) على كل من (التخلص و الاستطرا د)ويفرق بينهما في قوله:« وقد قسم الناس الخروج من جهة ما ينحى به منحى التدرج، أوالانعطاف من غير تدرج، إلى تخلص واستطراد»[3] .

وسماه شهاب الدين محمود الحلبي(ت:725 هـ) (براعة التخليص) وقال في تعريفه:«هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممتزجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل عنه»[4] .ومن شواهده له قول البحتري:

رباعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ بحورة   بكلِّ جَدِيدِ المَاءِ عَذْب ُالمَوَارِدِ
إذَا راوحَتْهَا مُزْنَةٌ بكرت لَهَا   شَآبِيبُ مجتازٌ عَلَيْهَا وَقَاصِد
كَأنَّ يَدُ الْفَتْحِ بن خاقانِ أَقْبَلَتْ   تَلِيهَا بِتِلْكَ البَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

---

(1)– أبو حازم القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: 319. ص: 320 .

(2)– المصدر نفسه . ص :321 .

(3)– المصدر نفسه . ص: 322 .

(4)– الجلي، شهاب الدين محمود. حسن التوصل إلى صناعة الترسل، تحقيق:أكرم عثمان يوسف .(د.ط).دار الرشيد، بغداد،1980م. ص :254. **والأبيات في ديوان البحتري بشرح** : إيمان البقاعي، مؤسسة الأعلمي، بيروت،1422هـ/2001م،ج1. ص : 206 .

وورد في(معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) ذكر عدد من التسميات المختلفة لمصطلح(التخلص)وهي: (الخروج) و (حسن الخروج) و (التخليص)و(لمخلص) وبراعة (التخلص) و(حسن التخلص) وختم الحديث عن هذا المصطلح بقوله:« وهو من حسن الكلام، وأحد دعائم الارتباط بين أجزاء القصيدة أو الخطبة أو الرسالة، أو غير .ذلك من الفنون»[1] .

<u>2– نماذج لتخلص عند لسان الدين ابن الخطيب وابن جابر:</u>

لقد أحسن الشعراء في التخلص من موضوع المقدمة إلى الغرض الرئيس من القصيدة، فكان الانتقال بصورة شديدة الإحكام، واضحة المعالم، متزنة، لا يعتريها نبو أو ثقل ويكون جميع كلامه "الشاعر" كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه، شأنه في ذلك شأن الفحول ن الشعراء،بيد أن ما يميز القصيدة المديحية وجود موضعين للتخلص:

<u>أولهما:</u> التخلص من المقدمة إلى المديح النبوي.

<u>ثانيهما:</u> التخلص من المديح النبوي إلى مديح السلطان الذي أحيا احتفال ليلة الميلاد.

<u>1–التخلص من المقدمة إلى المديح النبوي:</u>

اعتاد شعراء المولد النبوي التخلص من المقدمة إلى المديح النبوي، باستحضار مشهد الرحلة في القصيدة العربية القديمة، التي تمنى الشعراء أن يعيشوها بجميع تفصيلاتها ، وشديد متاعبها ومعاناتها، بيد أن رحلة الشعراء في هذه القصائد هي رحلة إلى الديار المقدسة،لأداء فريضة الحج وزيارة الضريح النبوي الشريف؛ إذ إن الحديث عن

الرحلة يعد تعبيرا عن نقطة انطلاق تهيئ في القصيدة حركة باتجاه موضوعها والباعث الرئيس لها؛ فالشاعر يشده منظر الحجيج وهم منطلقون لأداء هذه الفريضة، تاركين الشاعر للوعته وحسرته، لما يولده في نفسه من مشاعر الضيق والألم؛لأن رحلة الحجيج وما تحركه من عواطف دينية جياشة، تؤجج هذه الشاعر التي يحسها الشاعر، فتصبح أكثر تدفقا، وتعطي زخما لعاطفته المتوهجة؛ إذ ليس بمقدور الشعراء الوصول إلى الأماكن التي درج عليها الرسول الكريم، واكتسبت بسببه قيمة سامية .

---

[1]–أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.(د. ط)،المجمع العلمي، بغداد،1403هـ/1983م صص:393–399 .

قال ابن الخطيب:

وَركَابٍ سرَوْا وَقَدْ شَمِلَ اللَّيْلَ   بِمَسْحِ الدَّجَى جَمِيعَ النَّوَاحِي

وَكَأَنَّ الظَّلاَمَ عَسْكَرُ زِنْـج   وَنَجُومَ الدُّجَى نُصُولُ الرِّمَاحِ

حَمَلَتْ مِنْهُمْ ظُهُورُ المَطَايَـا   أَي جِدٍّ بَحْتٍ، وَعزْمٍ صَرَاحِ

سَتَرُوا الْوَجْدَ وَهُوَ نَارٌ وَكَانَ السِتْرُ   يُجْدِي لَوْلاَ هُبُوبِ الرِّيَـاحِ

خَلَّفُونِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَاكِسَ الطَّرْفِ   ثَقِيلَ الخُطَا مَهِيضًا جَنَاحِي

وَحَدَوْهَا مِثْلَ القِسِيِّ ضُمُورًا   قَدْ بَرَتْ مِنْهُمْ سِهَامَ قِـدَاحِ

وَطَوَوْا طَوْعَ لاَعِجِ الشَّوْقِ وَالْوَجْدِ   إِلَى الأَبْطَحِي غَبْرَ الْبِطَاحِ

مُصْطَفَى الْكَوْنِ مِنْ ظُهُورِ النَّبِيئِينَ   هُدَاةِ الأَنَـامِ سُبْلَ الْفَلاَحِ[1]

فإن رؤية منظر قوافل الحجيج وهي ذاهبة إلى زيارة ضريح النبي أعطت زخما قويا لعاطفة الشاعر المتوهجة؛ إذ لم يكن باستطاعته مرافقة هذه القوافل، وزوار البيت الحرام للتشرف بزيارة الديار المقدسة؛ فتهيج عاطفته وشاعريته.

ومن الناحية الفنية تعدّ الناقة أداة تواصل بين مقدمة القصيدة وموضوعها، ومثل ذلك قال لسان الدين:

يا هل يُبلغني السُّرى خيرَ الورَى   فأرى معاهدَ للهُدَى ورُسومَا

وأُسابقُ الركبانَ فوقَ نجيبـة   تفري من البيدِ العِراض أديمَا

واحطُّ رحلي في كريمِ جوارِهِ   أرْجُو نَعيماً في الجنان مقيمَا[2]

ولعلَّ السبب في ورود هذا المشهد الشعري هو تهيئة المناخ النفسي الذي ينطلق من خلاله الشاعر إلى الباعث الحقيقي للنص وهو المديح النبوي؛ لما يرمز إليه هذا المشهد من البحث عن الوسيلة التي توصل الشاعر إلى الأمان وطوق النجاة، فالرحلة في القصيدة المولدية هي ارتحالٌ تعويضي عبر فضاء القصيدة في الزمان والمكان من الواقع المأزوم الذي يثير الفزع والخوف، إلى الأنموذج المتشكّل في الوعي الجمعي الذي يتجسّد فيه الأمن والخلاص؛ لما في ذلك من طاقة إيحائية متحرّكة، وشاعرية متدفّقة، يزيدها توهّجاً تناغمها مع العناصر الأخرى المشكّلة للنص .

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:390-391 .

[2]–المصدر نفسه. ص: 582.

2-التخلص من المديح النبوي إلى المديح السياسي:

يتخلص الشاعر من المديح النبوي إلى المديح السياسي بعد أن يستوفي ذكر معجزات الرسول –صلى الله عليه وسلم– وفضائله وصفاته، ويجعلها سبباً لمديح السلطان، وتبدو براعة الشاعر في أن هذا المديح يبدو جزءاً من المديح النبوي، فيكون الانتقال من المديح النبوي إلى مديح السلطان سلساً ومترابطاً . قال ابن الخطيب:

إمامُ عدلٍ بتقوى اللـه مشتمـل   في الأمر والنـهي يرضيه يراقبـه

يا خير مَنْ خلصت للـه نيّتـه   في الملك أو خطبَ العلياء خاطبه

فَلْيهن دينُ الهدى إذْ كنتَ ناصرَه   أمْنٌ يواليه أو خوْف يجانبـه [1]

وبذلك فقد أحسن الشاعر ربط المقدمة بالغرض، فبدت المقدمة متلاحمة مع الغرض، وقد عبر الحموي عن ذلك التلاحم في القصائد فقال:« حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى لآخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد وقد اعتنى المتأخرون دون العرب، ومن جرى مجراهم من المخضرمين بحسن التخلص» [2] .

بالإضافة إلى ذلك فقد حذا ابن جابر حذو لسان الدين، حين استعمل« **سل**» للانتقال إلى غرض آخر في البيت التالي:

سلِ الأيّامَ عَنْ عمٍّ وخَالٍ   ومالَكَ والسؤال وقدْ عَلِمتا[3]

وفي بيت آخر:

وَدَعْهَا ولا تجذبْ إِلَيْكَ زمامَهَا   فقَدْ حَثَّهَا شوقٌ كَفَاهَا عنِ الجذْبِ[4]

حيث اعتمد على « دعها»

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:655.

[2]– ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص :185.

[3]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . صص:99.

[4]– المصدر نفسه . ص:72.

وفي موضع آخر يقول:

دعْهَا فإِنَّ الشَّوْقَ يجذِبُهَا إِلَى   تلكَ الدّيارِ وإنْ يكنْ ليلٌ سَجَا[1]

حيث اعتمد على فعل الأمر« دعها»

ويكون ابن جابر قد أحسن التخلص في البيتين التاليين:

وسلْ عنْهُ إنْ وَافَيْتَ سلْعًا فإِنَّهُ   كريمٌ إذا مَا الغيثُ يمنعُ يمنحُ

وسلْ ما حييتَ القرْبَ منهُ ولا يكنْ   لسُعدي ولاَ سَلْمَى بِقَلْبِكَ مَطْمَحُ

سلِ المنازلَ مِنْ بغدَادَ مَا فعَلَتْ   تلكَ الوجُوهُ وَهَلْ لِلْقَوْمِ مِنْ أَثَرِ[2]

مكررا فعل الأمر« سل»

[1]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ص:121.

[2]– المصدر نفسه . ص:139.

هـ–حسن الختام أو المقطع

–التعريف بالمصطلح وتطوره:

الختام في اللغة :انتهاء الشيء وآخره، ففي (لسان العرب المحيط):« ختام كل مشروب: آخره، وفي التتريل العزيز(ختامه مسك):أي آخره، لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك ...وختام الوادي :أقصاه، وختام القوم وخاتِمهم :آخرهم»[1] .

وفي الاصطلاح لا يختلف عن هذه الدلالة، إذا المقصود من(حسن الختام)عناية الناظم أو الناثر بخاتمة كلامهما، فيجتهدا ليحسنا فيه غاية الإحسان ، لكونه آخر ما يتلقاه السمع، وبناء على هذه الدلالة، حرص أكثر البلاغيين المهتمين بالبديع ببحث هذا الفن في آخر الفنون البديعية، و جعلوه خاتمة كتبهم، وآخر حديثهم، ففي(خزانة الأدب وغاية الأرب)لابن حجة الحموي، وهو في الأصل شرح لبديعيته، فكان لابد من تناول (حسن الختام) في آخر الكتاب،لأنه ورد في آخر بيت(من أبيات البديعية التي تشير إلى الأنواع البديعية وعددها في بديعيته مائة واثنان وأربعون نوعا، آخرها قوله:

حُسْنُ ابْتِدَائِي بِهِ أَرْجُو التَّخَلُّصَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَهَذَا حُسْنُ مُخْتَتَمِي

وقد جعل العنوان لهذا الموضوع (ذكر حسن الختام)وقال عنه: «وهذا النوع الذي يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما، مع أنهما لابد أن يحسنا فيه غاية الإحسان،فإنه آخر ما يبقى في الإسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فلا يحسن السكوت على غيره»[2] .

وذكر ابن أبي الإصبع المصري هذا النوع ا لبديعي في آخر كتابه(تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) وخصه بباب مستقل سماه(باب حسن الخاتمة)بدأه بقوله:« يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها»[3] .

وأورد لذلك عددا من الأمثلة نثرا و شعرا،وقدم أمام شواهده الشعرية قوله:«وأما

---

[1]– ينظر: ابن منظور. لسان العرب، ج1. مادة(ختم) . صص: 790-791 .

[2]– ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص: 493 .

[3]–ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ص :616.

حسن الخاتمة في الشعر فقليل في أشعار المتقدمين،وأكثر ما عني بذلك المحدثون»[1]. وصدر شواهده بقول أبي نواس في خاتمة قصيدة له مدح بها الأمين وهو قوله:

فَبَقَيْتَ للْعِلْمِ الَّذِي تهْدِي بِهِ وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الأَيَّامُ[2]

ولمصطلح(حسن الختام)مسميات كثيرة مرادفة له عند البلاغيين ومن أشهر هذه التسميات:(الانتهاء، والمقطع، والقطع، وبراعة المقطع، و جودة القطع، وحسن الختاتم)و« كلها فن واحد الهدف منه أن يحرك النفس عند ختام القصيدة أو الكلمة ليبقى أثرها عالقا بالنفوس» [3]. وأيًا كان المسمى لهذا المصطلح فهو موضع اهتمام لدى أهل البيان ومعدوّد عندهم من محسنات الكلام وهي(براعة الاستهلال والتخلص وحسن الخاتمة).

ومن الإشارات الأولى لهذا المصطلح، ما نقله الجاحظ (ت:255هـ) عن شبيب بن شيبة بن عبد الله بن الأهتم في البيان والتبيين يقول:« حدثني صالح بن خاقان، قال:قال شبيب بن شيبة:الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل .بتفضيل جودة القطع، وبمدح صاحبه»[4] .

وورد مصطلح (الخاتمة) في كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت:392هـ) حين قال:« والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور و تستميلهم إلى الإصغاء»[5] .

وسماه أبو هلال العسكري (المقطع) فقال:« والمقطع :آخر ما يبقى في النفس من

قولك»[6] .

وذكر أبو هلال عددا من الأمثلة وقال في تعقيبه على بعضها « وقلما رأينا بليغا إلا وهو

[1]– ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ص: 618 .

[2]– المصدر نفسه . ص : 618 .

[3]–أحمد مطلوب . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . ص : 329 .

[4]–الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان و التبيين، تحقيق :عبد السلام هارون ،ج1. ط4. دار الفكر،بيروت،(د.ت). ص :48.

[5]–الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي.(د. ط) .المكتبة العصرية، بيروت،(د.ت). ص:48 .

[6]– أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين . ص: 494 .

يقطع كلامه على معنى بديع، أو لفظ حسن رشيق»[1] وقال في موطن آخر: « فينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها»[2] .

ومن الأمثلة التي ذكرها لجودة المقطع قول ابن الزبعرى في ختام قصيدة له، وقد كان قدمها بين يدي النبي صلى الله عليه و آله وسلم ليعتذر منه ويستعطفه، فقال:

فَخُذِ الْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ   وَأَقْبَل تضرعَ مُسْتَضِيفٍ تَائِبِ

يقول أبو هلا ل:« فجعل نفسه مستضيفا، ومن حق المستضيف أن يضاف، و إذا أضيف فمن حقه أن يصان، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف، و جعل العفو عنه مع هذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو»[3] .

وسماه ابن رشيق القيرواني(ت:456هـ) (الانتهاء) فقال:« وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكما، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه»[4]. والغريب، أن ابن رشيق جاء بما ينقض هذا القول الذي استهل به الحديث عن مصطلح(الانتهاء)، فلا يشترط أن يكون الانتهاء قاعدة القصيدة ولا قفلا لها، ويعد ذلك محمودا، فيقول: « ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتورا كأنه يتعمد جعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو وإسقاط الكلفة، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر:

كَأَنَّ السِّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى غُدَيَّةً   بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابيشُ عُنْصُلِ[5]

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات، وهي أفضلها»[6]

---

[1]- أبو هلال العسكري . كتاب الصناعتين. ص:502.

[2]- المصدر نفسه . ص :503 .

[3]- المصدر نفسه. ص: 503.

[4]- ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1 . ص :239 .

[5]- المصدر نفسه. صص:240-241. و**الأنابيش:** العروق، سميت بذلك لأنها تنبش أي تخرج من تحت الأرض، و**العنصل:** بوزن قنفذ وجندب، بصل بري يعمل منه خل شديد الحموضة.

[6]- المصدر السابق. صص: 240-241.

ويزعم ابن رشيق أن الحذاق من الشعراء يكرهون أن يكون ختام القصيدة بالدعاء، لأنه دلالة على الضعف ويستثني القصائد الموجهة إلى الملوك، لأنهم يشتهون ذلك[1]، ولا أدري على أي مستندٍ اعتمد صاحب العمدة في هذا القول ولم يكون ختام القصيدة الموجهة لغير الملوك بالدعاء مكروها، وللملوك مستحسنا؟ وقد اتفق الجميع على أن الحسن والكمال في خواتيم سور القرآن إنما يكمن في كون انتهائها إما بالدعاء، أو بالفرائض، أو بالوصايا أو بالتحميد و التهليل، يقول ابن أبي الإصبع المصر ي:« وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعد ها تطلع و لا تشوف إلى ما يقال، كالدعاء الذي ختمت به سورة البقرة... »[2] .

وما أظن أن هناك ختاما مستحسنا في(الرثاء)أفضل من الدعاء للميت، يستوي في ذلك الملك وغيره وقد ختم جرير- هو الشاعر المفلق- قصيدته في رثاء المرَّار بن عبد الرحمن بقوله:

لَماَّ غَدُوا بأَغر أَرْوَعِ مَا جَـدَّ — كَالْبَدْرِ تَسْتَقِي بِهِ الأَمْطَارُ
كَادَتْ تقطَّعُ عِنْدَ ذَلِكَ حسرةً — نَفْسِي وَقَدْ بَعُدَ الغداةُ مزازُ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْك ِمِنْ ذِي حفرةٍ — خَلَتْ الدِّيَارُ لَهُ فَهُنَّ قفـارُ
وَسَقَاكَ مِنْ نُوءِ الثرياَّ عَارِضٌ — تَنْهَلُّ مِنْهُ ديمَـة ٌمِدْرَارُ[3]

وهل ختام هذه القصيدة بالدعاء مما لا يستحسن الختام به؟ وختم محمد بن كعب بن سعد الفنوي- شاعر إسلامي- قصيدته في رثاء أخيه أبي المغوار بقوله:

سَقَى كُلَّ ذِ كْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمِّلٍ — عَلَى النَّائِي زحَّافُ السحابِ سَكُوبُ[4]

والشواهد في هذا الباب كثيرة لا تحصى، وللقرطاجني(ت:684هـ) رأي صريح ـــ

[1]– ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1 . ص :241 .

[2]– ابن أبي الإصبع . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. ص:620 .

[3]– الشيخ غدير . ديوان جرير . ط 1.مؤسسة الأعلمي، بيروت،1420هـ–1999م.ص:167

وجرير من مشاهير شعراء العصر الأموي من قبيلة تميم مات سنة114هـ، اشتهر في هجائه للفرزدق و الأخطل، ولد ومات في منطقة اليمامة .

[4]– القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام تحقيق:علي محمد البجاوي. نهضة مصر، القاهرة ،(د.ت).ص:564 .

في ذلك، يؤكد فيه على ملائمة الدعاء للممدوح بالسعادة ودوام النعمة و النصرة على العدو لاختتام القصائد فيقول:« فأما المديح المتخلص إليه من نسيب، فالوجه أن يصدر بتعديد فضائل الممدوح، وأن يتلى ذلك بتعديد مواطن بأسه وكرمه، وذكر أيامه في أعدائهم، وإذا كان للممدوح سلف حسن، تشفع ذكر مآثره بذكر مآثرهم، ثم يختتم بالتيمنِ للممدوح و الدعاء له بالسعادة و دوام النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك»[1].

وقد نبه القرطاجني إلى ضرورة أن يكون(الختام) حسنا ملائما للغرض الذي قيلت فيه القصيدة فقال:« فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح، وبمعان مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء، وكذلك يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا، والتأليف جزلا متناسبا، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر»[2].

وسماه الخطيب القزويني(ت:739هـ)(الانتهاء)،و جعله ثالث المواطن التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها وهي الابتداء، والتخلص، والانتهاء، وقال عن ضرورة التأنق في الانتهاء:« لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس،... وربما أنسى محاسن ما قبله»[3].

ومن الأمثلة التي ذكرها لأحسن الانتهاءات قول الشاعر – وينسب للمعري–:

بَقَيْت ُبَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَ هَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وقول المتنبي أيضا في بعض قصائده السيفيات:

فَلاَ حَطَّتْ لَكَ الهَيْجَاءُ سرجًا وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَقًا[4]

وفي حديث يحيى بن حمزة العلوي(ت:749هـ) عن أنواع البديع المتعلقة بالفصاحة المعنوية، وقد ذكر لها خمسة وثلاثين صنفا، جعل الصنف الرابع والثلاثين منها في

(الاختتام) وقال فيه:« ينبغي لكل بليغ أن يختتم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم، فإنها آخر ما يبقى على الأسماع، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها، فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها، وفي قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى

[1]– أبو حازم القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: 305 .

[2]– المصدر نفسه . ص :306 .

[3]– القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع . ص :244 .

[4]– المصدر نفسه . ص :244 .

تاما يؤذن السامع بأنه الغاية و المقصد والنهاية» [1].

وأكد العلوي على أهمية (حسن الختام) بإيراد بعض الأحاديث الشريفة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام:« مِلا ك العمل خواتمه» وقوله ﷺ « إنما الأعمال بخواتيمها» ثم قال:« فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه، والغاية في كماله، فأما المتقدمون من الشعراء كامرئ القيس، والنابغة، وطرفة، وغيرهم من شعراء الجاهلية فليس لهم فيه كل الإجادة، وإنما الذي أجاد فيه المتأخرون، كأبي نواس، والمتنبي،والبحتري، وأبي تمام»[2]. ومن شواهده الشعرية لذلك قول المتنبي:

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضَ أَنْتَ سَاكِنُهَا وَ شَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سِوَاكَ إِنْسَانًا

وبعد إيراده لهذا الشاهد، علق عليه بقوله:« فهذه الخاتمة إذا قرعت سمع السامع عرف بها أن لا مطمع وراءها، ولا غاية بعدها، وهي الغاية المقصودة، والبغية المطلوبة، و بها يعلم انتهاء الكلام وقطعه»[3]. و أشار العلوي إلى أن إيذان الشاعر بإنهاء قصيدته في ختامها دليل على حسن الخاتمة وكمالها ، وتلك الإشارة ة ظاهرة في قوله:« وغاية حسن الخاتمة أن يعرف السامع انقضاء القصيدة وكمالها، فهذه علامة حسنها ورونقها»[4]

وذكر سعد الدين التفتازاني (ت791هـ) في كتابه (المطول في شرح تلخيص المفتاح) أنه لا يستحق شاعرا كان أو ناثرا أن يوصف بالبلاغة ما لم يوجه عناية إلى (حسن الختام) فقال: «فيجب على البليغ أن يختم كلامه شعرا كان أو خطبة أو رسالة بأحسن خاتمة لأنه آخر ما يعيه السمع، ويرتسم في النفس، فإن كان مختارًا حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبق من التقصير، كالطعام اللذيذ الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة، وإن كان بخلاف ذلك، كان على العكس حتى ربما أنساه المحاسن الموردة فيما سبق»[5] .

ثم نبه بعد ذلك إلى عناية المتأخرين بهذا الفن دون المتقدمين، كما أشار إلى بعض

(1)– العلوي . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج3. ص: 183.

(2)– المصدر نفسه . ص :183 .

(3)– المصدر نفسه . صص :185–186 .

(4)– المصدر نفسه ، ج3 . ص :186 .

(5)– التفتازاني، سعد الدين مسعود، كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح .مكتبة آية الله العظمى المرعشي . النجفي، قم ، إيران،1407هـ . ص :481 .

المصطلحات المرادفة لـ(حسن الختام) فقال:« وقد قلت عناية المتقدمين بهذا النوع، والمتأخرون يجتهدون في رعايته، ويسمونه:(حسن المقطع)و براعة(المقطع)» [1] .

وتكتفي الدراسة بهذا السرد التاريخي لمصطلح حسن الختام لتنتقل إلى الجزء التطبيقي الخاص بحسن الختام في شعر لسان الدين وابن جابر.

يقول ابن الخطيب من قصيدة مديحية،عذبة الألفاظ،موسيقية النغم،لا تدع القارئ ينفلت منها،أو يختار بعضها،أو يتوقف دون نهايتها.وهي واضحة المعاني،لا تحتاج إلى شرح

أدرهَا بيْنَ مزمَارٍ وعُودٍ ودُونَكَ فاغْتَنِمْ زَمَنَ السَّعُودِ
وَخُذْهَا والبَلاَبِلُ فِي خصاَمٍ وجنحُ الصبْحِ ملتهَبُ الْوقُودِ
عرائِسٌ فِي حلَى الكاسَاتِ تجلَى موردةَ الترائِبِ والخُدودِ
خطبنَاهَا وكَانَ الأنسُ مهرًا وألحانُ القيانِ منَ الشُّهُودِ
شموسًا كلَّمَا غرُبَتْ ولاحَتْ علَى الأفوَاهِ تطلعُ فِي الخُرودِ
وفاتنـةُ اللحـاظِ إذا تثنـتْ رأيتَ الغصنَ يمرحُ فِي البرُودِ
غزالةٌ ربرتْ و مهاةُ ققرِ تعودُ طرفهَا صيدَ الأسُودِ
فتمرضهَا بألحَانِ مراضِ وتسهرهَا بأجفَانِ رقُـودِ
أقولُ لصَاحِبِي والراحُ تجرِي وورد الأنسِ مبذولُ الورُودِ
وقَدْ ماستْ غصونَ البانِ سكرًا منَ الأورَاقِ فِي خضرِ البرُودِ
تهزُّ يدَ النسِيمِ الطل فيهَا فتحسبهَا ولائدٌ فِي مهُودِ
وإنْ قَامَ الغمامُ بهَا خطيبًا ترَى الإبريقَ يسرعُ فِي السُّجُودِ
جنانٌ بينهُنَّ الحورُ تَمْشِي أحقا هـذِهِ دارُ الْخُلُـودِ؟[2]

ثم يختم القصيدة بمدح أبي الحجاج، في أربعة أبيات فقط، ويصفه، بمحي الدين بعد الخمود، وبصاحب الأيادي البيضاء، ومنتجع الوفود، ومنصور الجنود:

بأوبَةِ يوسفَ رب الأيَادِي ومحيُ الدَينِ منْ بَعْدِ الخُمُودِ

وَدَانَ لَهُ الزَّمانُ فَدَامَ فِيهِ قريرُ العيْنِ منصورُ الجنود(3)

(1)– التفتازاني . كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح .ص: 482 .

(2)– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:158–159 .

(3)– المصدر نفسه. ص : 159.

حيث نلمس نهاية القصيدة بانتهاء المديح النبوي، دون أن تتأثر بنية القصيدة من حيث اكتمال عناصرها.

وجاء مديح الغني بالله في آخر قصيدتين مولودتين،قالهما ابن الخطيب في عهده، أنشد الأولى في مولده عام 764هـ وتقع في 96 بيتا، وبعد تعداد مناقب الرسول الكريم ومعجزاته، ينتقل إلى مدح «الغني بالله» ويصفه بالشجاعة والإقدام، والبذل، والعطاء، والإصلاح، والعدل، ونصرة الحق، ومهاجمة الأعداء في عقر دارهم بجياد مختالة لفرط مراحها، وجيوش مسلحة بالقنا وبيض الصفاح، مرسلة النقع سحبا، تنشر الرحمة والخصب أينما حلت:

بِمَعَالِي محمدٍ بنْ أبِي الحجاّجِ ليثُ العدَا وغيثُ السماحِ

ناصِرُ الحَقِّ مرسلُ النقعِ سحبَا بيْنَ سمرِ القنَا وبيضِ الصفاحِ

ومزير الجيادِ أرضُ الأعَادِي وهيَ مختالَةٌ لفرْطِ المراحِ

حض اللهُ منكَ ياقوتةً للملكِ وينبوعُ العَدْلِ والإصْلاَحِ(1)

والمديح الثاني جاء في آخر المولدية التي صدر بها ابن الخطيب رسالة كتبها عن الغني بالله إلى المقام النبوي الكريم.

وتقع في 54 بيتا، وفيها يصف تشوقه وحنينه إلى الرسول، وأمانيه في الزيارة ورؤية الأماكن المقدسة، وأن الذي منعه من الوصول إليه، وتحقيق ما كانت نفسه تحن إليه، إنما هو نصر دينه، والدفاع عن أهله، وبلاده ويتوسل إليه أخيرا ويرجوه أت يقبل عذره، ولا ينسى رجاءه ودعاءه:

دعَاكَ بِأَقْصَى المغرِبَينِ غَرِيبٌ وأنتَ على بعدِ المزارِ قريبٌ

ولكنكَ المؤلَى الجواد وجَارهُ عَلَى أيِّ حالٍ كانَ ليْسَ بخيبٌ

مناي لَوْ أعطيت الأمانِـي زورةً يبثُّ غرامٌ عندهَا ووجِيبُ
بنصركَ عنك الشغْلُ منْ غيرِ منةٍّ وهلْ يتسَاوَى مشهدٌ ومغيبٌ
فعذرًا وإعفاءً ولا تَنْسَ صارِخًا بعزِّكَ يَرجُو أن يجيبَ مجيبٌ
وجَاهُكَ بعدَ اللهِ نرجُو وإنَّـهُ لحظ مَلِئ بِالْوَفَـاءِ رَغيبٌ[2]

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:147-148 .
[2]–المصدر نفسه . ص:148.

أما ابن جابر فقد أنهى معظم مدائحه النبوية بالصلاة على النبي وعلى آله وصحابته، والتي غدت تقليداً لدى كثير من شعراء المديح النبوي، وتفنن فيها تفنناً جميلاً، إذ عبر عن ديمومة صلاة الله على النبي بدوام سجع الحمائم على الأغصان، فقال:

صلّى عليكَ إلهُ العرشِ ما سجَعَتْ وُرقٌ لهنَّ على الأغصانِ تهديلُ
أزكَى صلاةٍ تعمُّ الآل واصلـةً صَحْباً همُ للورَى زَيْنٌ وتحجيلُ[1]

وختم بعض مدائحه بالصلاة على النبي الكريم والرضى عن بعض الصحابة:

صلَّى عليْكَ إلهُ العرْشِ مَا نسجَتْ لَكَ المدائِحُ أنْوَاعًا مِنَ الحُلَلِ
والآلِ والصَّحْبِ سُحْبِ الجُودِ إنْ سئِلُوا وَالأُسْدِ فِي مُلْتَقَى العسَّالَةِ الذُّبُـلِ
وبالرِّضى عنْ أبِي بكرٍ وعَنْ عُمَرٍ خَتْمِي وعثمَانَ ذِي النُّورَيْنِ ثُمَّ علي[2]

ونورد مثالا آخر في قوله:

وصلِّ علـى هذَا الرَّسُولِ وآلِـهِ وأصحَابِهِ مَا سَارَ ركبٌ لهُ وَهْنَا
صلاةَ امرئٍ أثنـى عليْهِمْ بِجُهدِهِ علَى آلِهِ حقًّا وأصحَابِـهِ يُثنـى[3]

فهو يصلي على الرسول ﷺ وآله وأصحابه

كما يمكن الاستشهاد بالأبيات التالية التي تبين حسن الختام عند ابن جابر وهو الصلاة على النبي الكريم وآله وصحبه.

صلَّى عليكَ اللَّـهُ مـا نَشَرَتْ لنـا أيدِي الصَّبَاحِ رِدَاءَهُ المَطْوِي
وَعلَى صحَابَتِكَ الذينَ قدِ اغْتَدُوا مِنْ ذُرْوَةِ العليَاءِ فِي العُلْوِ[4]

وفي أخرى يقول:

صلَّى الإلَهُ علَـى النَّبيِّ المُجْتَبَى مَا رجَّعَتْ فِي بَانَـةٍ وَرْقَاءُ
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الأُلَـى بِهُمُ عَلَتْ فِي النَّاسِ هَذي الملَّةُ البيضَاءُ[5]

فالخاتمة هي ثالث مكونات الهيكل البنائي للمدحة، فقد استساغ الشاعران أن تكون عبارة عن مزيج ما بين الدعاء للممدوح والافتخار بقدرة الشاعر على نظم المدحة .

---

(1)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ص:436.

(2)–المصدر نفسه . صص:456–457 .

(3)–المصدر نفسه . ص: 530 .

(4)–المصدر نفسه . ص: 539 .

(5)–المصدر نفسه . ص: 28.

الفصل الرابع

البنية الفنية للقصيدة المديحية عند الشاعرين

المبحث الأول: المعجم الشعري

المبحث الثاني: مستوى التركيب

المبحث الثالث: بناء الصورة

لاشك أن الارتباط بين الشعر واللغة وثيق الصلة، فاللغة في مادة الشعر الأولية و« لعل الاستخدام الشعري للغة هو أقرب الاستخدامات من طبيعتها»[1] والشاعر المبدع هو من يستطيع أن يستغل إمكانات تلك المادة الأولية ويسخرها لبناء القصيدة لديه من حيث استدعاء الكلمات المختلفة والتراكيب المتنوعة، بوصفها تمثل تشكيلا لغويا للعمل الشعري، من هنا تأتي أهمية دراسة التشكيل اللغوي في المدحة عند ابن الخطيب وابن جابر من خلال مستويين:

الأول: مستوى المعجم .

الثاني: مستوى التركيب.

I– المعجم الشعري :

لعل الناظر إلى نتاج ابن الخطيب وابن جابر يجد أن الشاعرين تمتعا بثروة لغوية هائلة، اتسمت بالتنوع والكثرة. فقد ألقى هذا الثراء اللغوي لدى الشاعرين بظلاله على المعجم الشعري للمدحة لديهما، وهو معجم يبدو للوهلة الأولى معجما منوعا، دفعت بالشاعرين إلى الاعتماد على الألفاظ القوية والفخمة، والركون إلى التعابير الجزلة، دون أن يجرفه ذلك إلى الاستعمال المفرط للغريب من الألفاظ، أو تبني التراكيب المعقدة، والذي ربما أودى بالمدحة إلى ضرب من الغموض وقد نجدهما أحيانا يميلان إلى التعابير المباشرة لكي يفهمها كل من سمعها وهذا الأسلوب الذي انتهجه الشاعران في مدحتهما لم يكن نتيجة ضعف في ثقافتهما اللغوية، ولكنه ثمر حرص الشاعرين توثيق علمهما الصلة بمجتمعهما والتناغم أو التجاوب مع زمنهما،« فاللغة بوصفها ترجمانا لكل فعل، أو المقابل اللفظي لكل موقف إنما تتكيف بحكم ما في طبيعتها من طواعية ومرونة وفقا لكل

فعل ولكل موقف»[2].فاللغة لا تعيش في عزلة عن الأمة، بل تتأثر بحضارتها«ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرا إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك»[3]

---

[1]–مصطفى مندور . اللغة والحضارة. (د،ط). منشأة المعارف، الإسكندرية،1974م، ص:89 .

[2]– عز الدين اسماعيل.الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية.ط3.دار الفكر العربي، بيروت،1981م. ص :175 .

[3]– علي عبد الله وافي . اللغة والمجتمع . ط1. شركة ومكتبات عكاظ ، جدة ،1983م . ص :13.

ولمزيد من تسليط الضوء على معجم الشاعرين في المدحة سنقف عند خاصية اتسم بها المعجم لديهما، وهي تكرار بعض الألفاظ في شعرهما المدحي، وخاصة تلك الألفاظ التي تتواءم وطبيعة خطاب المدح الذي تسير في ركابه، فمن المعروف لدينا« أن لكل خطاب معجمه الخاص به، إذ للشعر الصوفي معجمه، وللمدحي معجمه... فالمعجم لهذا وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء والعصور»[1] .

1– الألفاظ والأساليب:

الألفاظ والعبارات هي أداة لنقل التجارب الشعرية، وهي أيضا أحد عناصر الأسلوب الرئيسة بعد الخيال والفكرة والعاطفة، فالشاعر يحرص على اختيار ألفاظه وتعابيره، ويحملها من الدلالات ما يريد. كما أن اختيار وتنسيق الشاعر لألفاظه وتراكيبه يعد أسلوبا من أساليبه.

وقد أولى النقاد القدامى والمحدثون عناية كبيرة بألفاظ الشاعر وتعابيره، وحرصوا على أن تكون اللفظة سهلة المخارج، فصيحة، وخالية من الغرابة، وتحمل من الدلالات ما يجعلها تؤثر في المتلقي.

فقدامة بن جعفر يشترط أن يكون اللفظ« سمحا، سهل المخارج من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة...» [2]. ويرى الدكتور محمد مجيد السعيد أن الكلمة« يمكن أن تؤدي دورها في ترجمة جيشان العواطف الوجدانية، والتعبير عنها بصورة دقيقة تامة، ويساعدها بذلك ما تتمتع به من أبعاد نفسية وظلال موحية وهالة شفافة تشع عما تكنه من شحنات عاطفية وما تحتمله من دلالات انفعالية تجتذب إليها الشاعر، فتصدق التعبير عن نفسه وتؤثر في سامعيه»[3].

ونظرة فاحصة لشعر المديح النبوي في القرن الثامن الهجري للشاعرين لسان الدين بن الخطيب وابن جابر تبين لنا أن ألفاظ الشاعرين جاءت سهلة، متسمة بالوضوح، بعيدة عن الإغراب، والتعقيد، و الحوشية، منها ما امتاز بالجزالة،ومنها ما

---

[1]– محمد مفتاح .تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص.ط3. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت،1992م ، ص:58 .

[2]– قدامة بن جعفر. نقد الشعر، تحقيق:كمال مصطفى.ط3. كتبة الخانجي، القاهرة،1978م. ص:28.

[3]– محمد مجيد السعيد.الشعر في عصر المرابطين والموحدين.ط2.الدار البيضاء للموسوعات– بيروت، لبنان، 1985م.ص:330.

امتاز بالرقة، وقد وظفت هذه الألفاظ على تنوعها ضمن تجربة الحنين.

1–1– ألفاظ الشوق و الحنين المباشرة:

وظف الشاعران الكثير من الألفاظ التي صرحت بذكر الحنين، أو دلت عليه دلالة مباشرة من ألفاظ أخرى. وقد وردت لفظة(الحنين)و(الشوق) في أغلب نتاج الشاعرين في هذه الفترة(القرن 8هـ)،وجاءت معبرة على عدة دلالات، من النبي وقبره ومدينته ومكة المكرمة، وغير ذلك .

أ–ابن جابر: نجد– مثلا– أن لفظتي (الحنين والشوق) قد وردتا في شعر في قصيدة يقول فيها :

لاَحَتْ دِيارُ الْحَبِيبِ لِيْـلاً   فَأَنَسَتْ عَيْسُنـا[1]اللِّقَـاءَ
فَحَثَّهـا شَوْقُهـا فَبَاتَـتْ   كَالبَرْقِ فِي سِيْرِهَا مضَـاءَ
إِذَا رَغَتْ[2] تحتَنَـا حَنِينـًا   نُطِيلُ مِنْ فَوْقِهَا البُكَـاءَ
لاَ تَحْدُهَا[3] فِي الْفَلاَ فَلَيْسَتْ   تَحْتَاجُ شَوْقًا وَلاَ حُـدَاءَ[4]

ويقول أيضا:

رَحَلُوا فَكَيْفَ يَطُيب بعدُ ثَوَاءُ   أَمْ هَلْ لِدَاءِ الشَّوْقِ مِنْكَ دَوَاءُ
قَعَدَتْ بِكَ الأَيَّامُ فَانْتَهَضَتْ بِهِمْ   هِمَمٌ بِهَا تَتَمَسَّكُ الْجوزَاءُ [5]
قَوْمٌ تَضِيءُ مَعَ الدُّجَى عَزَمَاتُهُمْ   حَتَّى تُمِيطُ قناعَهَا الظَّلْمَاءُ[6]

وفي أخرى:

شَوْقٌ بِأَثْنَـاءِ الضُّلُوعِ تَأَجَّجـا   طرَدَ الكرَى عَنْ مُقْلَتِي وَأَزْعَجـا
مَا شَاقَنِـي إِلاَّ الحداةُ وَقَوْلُـهُمْ   حُثُّوا المطَايَا وَالْبِسُوا قُمُصَ الدُّجَى

ذُكِرَ النَّبِيُّ الهَاشميُّ فلمْ تَزَلْ تجْرِي الدُّمُوعُ تَشَوُّقًا وَتَهَيُّجَا
يَا سَائِقَ الأَظْعَانِ شَأْنَكَ وَالسُّرَى وَاطْوِ المَنَاهِلَ مُسْحِرًا أَوْ مُدْلِجَا
وَارفقْ بِنَا فَالشَّوْقُ منَّا قَدْ بَرَى مُهَجًا وَقَدْ شكتِ المطيُّ مِنَ الوَجَا

(1)– إبلنا .(2)– صوتت.(3)– لا تغن لها.
(4)–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص: 29.
(5)– هو برج في السماء، يضرب المثل بعلوه .
(6)–ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص: 23.

دَعْهَا فَإِنَّ الشَّوْقَ يَجْذِبُهَا إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَإِنْ يَكُنْ لَيْلٌ سَجَا
يَا أَيُّهَا الحَادِي وَشَوْقُكَ شَوْقُنَا سِرْ عَنْ يَمِينِ الوَادِييْنِ مُعَرِّجَا(1)

ونراه أيضا يصرح في أبيات أخرى بذكر الشوق إلى النبي الكريم.

إِلَيْكَ قَصَدْنَا لاَ لِسَلْمَى وَلاَ سُعْدَى وَأَنْتَ أَرَدْنَا لاَ العَقِيقَ وَلاَ نَجْدَا
وَلَوْلاَ اشْتِيَاقِي أَنْ أَرَاكَ بِمُقْلَتِي لما كُنْتُ أَشْتَاقُ الأَرَاكَ وَلاَ الرنْدَا(2)

ويذكر ابن جابر معجزةِ من معجزات النبيﷺ ألا وهي حنين الجذع إليهﷺ:

وَحَنَّ لَهُ الْجِذْعُ الَّذِي لَيْسَ عَاقِلاً فَكَيْفَ يطيقُ الصَّبْرَ مَنْ كَانَ عَاقِلاَ(3)

وقد تتردد لفظتا (الشوق والحنين) معا في أبيات الشاعر، الأمر الذي يدل على حرصه على إظهار ما يكنه من لواعج الشوق والحنين، على نحو ما نرى في قوله:

أَعْنِّي فَإِنَّ الشَّوقَ أَعظَمُ دَائِي أما إِنَّ ذِكْرَ الهَاشميِّ دَوَائِي
أَعِدْ لِي حَدِيثَ الجزْعِ فَهْوَ شفائِي أَحِنُّ إِلَى مَنْ حَازَ كُلَّ وَفَاءِ
إِذَا أَسْرَعَ الحَادِي أطلْتُ بكائِي أَقُولُ لَهُ رفقًا عَلَى الضُّعَفَاءِ
أُحِبُّ مَقَامِي بِالحِمَى وَثَوَائِي أَوَدُّ وَلكنْ ذَاكَ عَنِّي نَائِي
إِذَا أَمَّ خَيْرَ العَالَمِينَ رَجَائِي فَمَا أَنَا أَخْشَى أَنْ تُخَيَّبَ آمَالِي(4)

[1]–ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص: 121.

[2]– المصدر نفسه . ص:191.

[3]– المصدر نفسه . ص:426.

[4]–المصدر نفسه . ص : 469 .

<u>ب–لسان الدين بن الخطيب:</u> تتردد لفظتا (الحنين والشوق) في أشعار **لسان الدين بن الخطيب** الذي يقول في قصيدته الدالية:

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْـدَا   وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحَ وَالوَجْد   دَعَا

عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَ الْوَخْـدَا   وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّيَ وَالوَجْدَا

حَنَنْتُ إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي قَضَى   حَمِيدًا فَمَا أَغْنَى الْحَنِينُ وَلاَ أَجْدَا

وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُ الشُّوقَ لَوْلاَ مَدَامِـعٌ   يُرْوِي حَدِيثَهَا المَحَاجِرَ وَالخَـدَا

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الْغَرْبِ طَالَ اشْتِيَاقُهُ   فَلَوْلاَ تَعِلاَّتُ الْمُنَى لَقَضَى وَجْدَا[1]

ويعيد لفظة(الشوق) في أبيات أخرى في قوله:

مَا عَلَى القَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَـاحِ   أَنْ يُرَى طَائِـرًا بِغَيْرِ جَنَـاحِ

وَعلَى الشَّوْقِ أَنْ يشبَّ إِذَا هَبَّ   بِأَنْفَسِكُمْ نَسِيـمُ الصَّبَـاحِ

وَطَوَوْا طَوْع لاَعجِ الشَّوْقِ وَالوجْدِ   إِلَى الأَبْطحِي غَبْرَ البِطَـاحِ[2]

ويقول في بيت آخر:

فَتَهْدِي بِأَشْوَاقِي السَّرَاةُ إِذَا سَرَتْ   وَتَحْدِي بِأَشْوَاقِي الرِّكَابِ إِذَا تُحْدِى[3]

وفي قوله أيضا في ميلاد رسول الله ﷺ :

دَعَا عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَ الْوَخْـدَا   وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّيَ وَالوَجْدَا

وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُ الشُّوقَ لَوْلاَ مَدَامِـعٌ   يُرْوِي حَدِيثَهَا المَحَاجِرَ وَالخَدَا[4]

وفي قصيدة ميلادية أنشدها في عام سبعة وثلاثين وسبعمائة:

كَتَمْتُ اشْتِيَاقِي وَالنُّحُولُ يَنْمُّ بِـي   كَأَنِّي أَحَلْتُ الْكَتْم مِنِّي عَلَى جِسْمِ

إِذَا النَّفْسُ أَبْدَتْ فِيهِ صنا بِجِسْمِهِ   تَقُولُ لَهَا الأَشْوَاقُ: أَلْقِهِ فِي أَلِيَمِّ[5]

وصرح كذلك في أبيات:

وَأَحْضُرُ تَعْلِيلاً لِشَوْقِي بِالْمُنَى   وَيَطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبُ

[1]– لسان الدين بن الخطيب. مقدمة ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام .ص:480.

[2]– المصدر نفسه . صص :389–390.

[3]– المصدر نفسه . ص : 477.

[4]– المصدر نفسه . صص : 479–480.

[5]– المصدر نفسه . ص : 575.

فَقَوْلُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقًا   عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبُ
فَلَيْلَتُهُ لَيْلُ السَّلِيمِ وَيَوْمُهَا   إِذَا شُدَّ لِلشَّوْقِ العِصَابُ عَصِيبُ[1]

وفي قصيدة ميلادية قال :

أَقَامَ يُعَانِي الشَّوْقَ عَنْ قَدْرٍ وَمَنْ   أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ هُوَ رَائِحُ[2]

ونختم ببيت :

خَفُوقٌ إِذَا الشَّوْقُ اسْتَجَاشَ كَتِيبَةً   تَجُوسُ دِيَّارَ الصَّبْرِ كَانَ لَهَا بَنْدَا[3]

وهكذا نجد أن لفظتي(الشوق والحنين)تتردد كثيرا عند الشاعرين في تلك الفترة، عاكسة لنا حالة الإحباط التي كان يعيشها المجتمع الأندلسي .

(1)– لسان الدين بن الخطيب . مقدمة ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص :323–324.

(2)– المصدر نفسه . ص : 367 .

(3)– المصدر نفسه . ص : 473 .

1–2– <u>الألفاظ الدالة على الحنين</u>:

وتأتي في المرتبة الثانية بعد الألفاظ المباشرة، حيث نجد ذلك الكم الهائل من الألفاظ الدالة على الحنين والشوق التي تتردد على ألسنة الشاعرين في تلك الفترة في مدائحهما . من هذه الألفاظ[الشجن، والجوى، والوجد، والدموع، والأشجان، والفراق، والصبابة، والشكوى، والتلهف...]. وغيرها من الألفاظ التي تعكس وجدان الشاعرين وأحاسيسهما.

<u>أ–ابن جابر</u>: لقد ترددت هذه الألفاظ في أغلب قصائد ومقطوعات االشاعر، فقد تكررت في مدائحه، منها قوله:

فَالْقلبُ بينَ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبِ مُقَسَّمُ اللَّوْعَةِ مَجْذوبُ العُرَى

إِذَا ذَكرْتُ الْغَرْبَ حَنَّتْ مُهْجَتِي وَبَلَّ دَمْعِي مِنْ جَوَى الشَّوْقِ الثَّرَى(1)

فقد استعان بلفظتي (اللوعة و دمعي).

ويقول أيضا:

فَالبُعْدُ عنْ حُبِّكُمْ موتٌ وَقربُكُمْ عيْشٌ وَنقلُ الخُطَى فِي قَصْدِكُمْ قُرَبُ

كَمْ سحَّ مِنْ دَمْعِ مشتَاقٍ بِأَرْضِكُمْ فَلاَ تُبَالِي وَلَوْ شحَّتْ لَهَا السحبُ(2)

ويردد كذلك:

إِنِّي بِخَيْرِ العَالَمِينَ أَلُوذُ وَبِجَاهِهِ مِمَّا أَخَافُ أَعُوذُ

وَإِلَى دِيَارٍ حَلَّهُنَّ تَشَوُّقِي فَالْقَلْبُ بَعْدَ فِرَاقِهَا مَهْذُوذُ(3)

كما تبرز ألفاظ الشوق والبعد في أبياته هذه:

رَحَلَ الرَّكْبُ فاستَثَارَ اشْتِيَاقِي مَا بَقِيَ بَعْدَ ذَا مِنَ الصَّبْرِ بَاقِي

عَجَبٌ لِلْقُلُوبِ وَالبَيْنُ صَعْبٌ كَيْفَ لَمْ تَنْصَدِعْ غَداةَ الفِرَاقِ

قَدْ بَكَيْنَا إِذْ وَدَّعَ الرَّ كْبُ حَتَّى ضَاقَ عَنْ دَمْعِنَا مَجَالُ المَآقِي

قَصَدُوا المُصْطَفَى وَ سَارُوا بِأَمْنٍ أَسَفًا لِلمُخَلَّفِينَ البَوَاقِـي[4]

فألفاظ(اشتياقي،البين،الفراق،دمعنا)تؤكد صدق تجربة الحنين إلى الرسول الأعظم، وهي من الموضوعات التي تمحورت حولها قصائد المديح النبوي عند ابن جابر الأندلسي.

---

[1]– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ص: 64.

[2]– المصدر نفسه . ص : 83 .

[3]– المصدر نفسه . ص : 205 .

[4]– المصدر نفسه . ص : 377 .

ب–ابن الخطيب :

ولا يختلف ابن الخطيب عن معاصره ابن جابر، فقد استعمل ألفاظا دالة على الحنين، للتعبير عن مقاومة الصراع الداخلي الذي يختلج في نفسه، وهو يمدح خير عباد الله. فقد قال في إحدى قصائده إلى الضريح النبوي :

وَ مَا هَاجَنِـي إلاَّ تَأَلُّقَ بَارِقٍ يَلُوحُ بِفَوْدِ اللَّيْلِ مِنْـهُ مَشِيبُ
ذَكَرْتُ بِهِ رَكْبَ الحِجَازَ وَجِيزَةً أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الحَبِيبِ مُهِيبُ
فَبِتُّ وَجَفْنِي مِنْ لآَلِـئِ دَمْعِهِ غَنِيٌّ، وَصَبَرِي لِلشُّجُونِ سَلِيبُ
تُرَنِّحُنِي الذِّكْرَى وَيَهْفُو بي الجَوَى كَمَا مَالَ غُصْنٌ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبُ
وَأَحْضُرُ تَعْلِيلاً لِشَوْقِـي بِالْمُنَـى وَيطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبُ
أَيَا خَاتِمَ الرُّسْلِ المَكِينِ مَكَانُـهُ حَدِيثُ الْغَرِيبِ الدَّارِ فِيكَ غَرِيـبُ
فُؤَادٌ عَلَى جَمْرِ البِعَادِ مُقَلَّبٌ يُمَـاحُ عَلَيْـهِ لِلدُّمُوعِ قَلِيبُ
فَوَاللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَلَهُّبًا أَأَبْصَرْتَ نَارًا ثَارَ عَنْـهُ لَهِيبُ[1]

فهو يمدح النبي ﷺ من خلال الحنين إليه، بتوظيفه للألفاظ(الدموع،الشجون،الجوى،الوجد، جمر البعاد).

كما تبرز ألفاظ الشوق والحنين في أبياته هذه:

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطِيبَـةٍ وَجِئْتَ بِهَا القَبْرَ المُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا
وَآنَسْتَ نُورًا مِنْ جَنَـابِ مُحَمَّدٍ يُدَاوِي القُلُوبُ الغُلْفَ وَالأَعْيُنَ الرَّمْدَا
فَنُبْ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الحِمَى وَأَذْرِ بِـهِ دَمْعًا وَعَفِّرْ بِـهِ خَدًّا
بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ الوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ قُصُورٌ بِبُصْرَى ضَاءَتْ الهَضَبَ وَالْوَهْدَا
وَلَوْ تَرَكَتْ مِنَ اللَّيَالِـي صُبَابَـةً لأَجْهَدْتُهَا رَكْضًا وَأَرْهَقْتُهَا شَـدًّا[2]

وفي قوله أيضا في قصيدة ميلادية :

دَعَا عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَ الْوَخْدَا وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّي وَالْوَجْدَا
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا أَبُلُّ بِهَا مِنْ نَارِ لَوْعَتِي ال...[3]
وَلَمَّا تَفَانَى الصَّبْرُ إلاَّ صَبَابَةٌ تُسِهِّلُ مِنْ وَقْعِ الحَوَادِثِ مَا اشْتَدَّا

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:322–323 .

[2]– المصدر نفسه . صص :475 وما بعدها.

[3]– فراغ بسبب خرم في الأصل ولعل المراد : الخدا

مَالِي وَتَذْكَارُ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا وَمَوَاثِقًا عِنْدَ الْهَوَى وَعُهُودَ[1]

فالشاعر وظف مجموعة ألفاظ(الوجد،اللوعة، الصبابة)وهو بصدد مدحه للرسول الكريم والثناء عليه.

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 479 وما بعدها.

1-3-الألفاظ الدالة على الحرب والسلاح:

ومع أن هذه الألفاظ تكون حقلا دلاليا موحدا، إلا أن العلاقة بين هذين الحقلين وثيقة الصلة ببعضهما، فالحرب في ذلك العصر تتطلب السلاح لدفع عجلاته .

فقد استخدم كل من الشاعرين كلمات تندرج ضمن إطار الحقل الدلالي للحرب.

لسان الدين بن الخطيب	اللفظة الدالة على الحرب أو السلاح	ابن جابر	اللفظة الدالة على الحرب أو السلاح
وَلَكَ الجَوَارِي المُنْشَآتُ سَوَابِحَا **فِي اليَمِّ أَمْثَالَ الصُّقُورِ الْحُوَّمِ** لسان الدين بن الخطيب.الديوان. ص:585. **وَلَمَّا شَكَا الْجَيْشُ اللُّهَامُ لَهُ الظَّمَا** **أَسَالَ لَهُ مِنْ مَاءِ أَنْمُلِهِ وِرْدَا** لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص:483 . **تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْفِي وَقَدْ جَاوَرَ الغَضَا** **لِقَلْبِي فَلَمْ يَسْبُكْهُ مِنْهُ مُذِيبُ** **وَأَعْجَبُ أَن لاَ يُورِق الرُّمْحُ فِي يَدِي** **وَمِنْ فَوْقِهِ غَيْثُ الشُّؤُون سَكِيبُ** المصدر نفسه . ص :323 . **فَإِنْ صَحَّ مِنْكَ الْحَظُّ طَاوَعَتِ المُنَى**	**الجواري المنشآت** **الجيش** **السيف** **الرمح** **السهم**	**فَكَمْ لَهَا مِنْ كَرَّةٍ عَلَى فَتىً** **جَلْدٍ إِذَا مَا لَهَبُ الْحَرْبِ ذَكَا** **تَجْتَنِبُ الأُسْدُ سطَاهُ فِي الْوَغَى** **فَذَلَّ حَتَّى صَارَ قُصْوَاهُ البُكَا** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.ص:50 . **وَسَيْفٌ استَلَّتْهُ مِنْ عِزَّتِهِ** **مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ خَضَعَتْ لَهُ الطُّلَى** المصدر نفسه . ص :52 . **يَا مُصْغِرًا الأَلْفِ إِذَا مَا جَادَ أَوْ** **جَرَّدَ فِي الْهَيْجَاءِ سَيْفًا أَوْ نَضَا** المصدر نفسه . ص :55 . **وَدْقُ سَحَابٍ تَحْسِبُ البَرْقَ بِهِ**	**الحرب** **الوغى** **السيف** **الهيجاء** **السيف** **الوغى**

وَيَبْعُدُ مَرْمَى السَّهْمِ وَهُوَمُصِيبُ المصدر نفسه . ص :324 .	الهيجاء	أَسِنَّةً قَدْ أُشْرِعَتْ يَوْمَ وَغَى المصدر نفسه . ص :57 .	
نَقُودُ إِلَى هَيْجَائِهَا كُلَّ صَاهِلٍ كَمَا رِيعَ مَكْحُولِ اللِّحَاظِ رَبِيبُ المصدر نفسه . ص :325 .	السيوف	بَحْرٌ طَمَى بَدرٌ سَمَا عَضْبٌ حَمَى رَوْضٌ نَمَا طِبٌّ أَفَادَ وَشَفَى المصدر نفسه . ص :58 .	عضب
حَتَّى السُّيُوفُ غَدَتْ كَبَعْضِ عُفَاتِهِ سَالَتْ فَأَقْطَعَهَا رِقَابَ عُدَاتِهَا المصدر نفسه. ص :327 .		وَلَقَبْلُ آثَرَ جَدَّهُ سيفُ بنُ ذِي يَزَنٍ وَبَشَّرَهُ عَلَى سِرٍّ بِهِ المصدر نفسه . ص :68 .	السيف
وَأَعْطَى عَسِيبُ النَّخْلِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى فَهُزَّ حُسَامٌ مِنْهُ للدَّمِ سَافِحُ المصدرالسابق . ص :368 .	الوغى الحسام	كَانَتْ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ جُنُودَهُ فالنَّصْرُ يلمَعُ مِنْ صَوَارِمِ قُضْبِهِ المصدر السابق . ص :69 .	صوارم
فَمِلْكُكَ فِيهَا مَا أَجَلَّ جَلاَلُهُ وَسَيْفُكَ مَا أَسْطَى وَكَفُّكَ مَا أَنْدَا المصدر نفسه . ص :484 .	السيف	فَأَشَابَ شَيْبَةَ أَمْرُ عُتبَةَ عِنْدَمَا أَمَرَ السُّيُوفَ الضَّارِبَاتِ بِعَتبِهِ المصدر نفسه . ص :70 .	السيوف
تَخِذُوا السُّيُوفَ تَمَائِمًا لِوَلِيدِهِمْ وَالحَرْبَ ظِئْرًا وَالسُّرُوجَ مُهُودَا المصدر نفسه . ص :486 .	السيوف الحرب	وَقَدْ ردَّ عينًا مِنْ قَتَادَةَ أُسقِطَتْ عَلَى خَدِّهِ لَمَّا أُصِيبَ لَدَى الحَرْبِ	الحرب
		وَأَضْحَى بِلاَ سَيْفِ عكاشَةُ فِي الوَغَى فَأَعْطَاهُ عُودًا فَاغْتَدَى أَيَّمَا عَضْبِ المصدر نفسه . ص :74 .	السيف الوغى
		وُجُوهُهُمْ فِي الْوَغَى بدورٌ فِي فَلَكِ الْخيلِ طَالِعَاتُ المصدر نفسه . ص :96 .	الوغى

وبالنظر إلى الجدول السابق نجد أن الشاعرين استخدما ألفاظا دالة على السلاح كـ(السيف، والرمح، والصوارم، والحسام، و العضب). فأحيانا بصيغة المفرد وأخرى بصيغة الجمع.

أما ألفاظ الحرب فيمكن ذكر(الحرب، الوغى، الهيجاء، الجواري المنشآت...).

وربما اتضح من الجدول السابق قدرة ابن الخطيب، وابن جابر في رسم تشكيل لغوي رائع لساحة الحرب التي كانت تعيشها الأندلس آنذاك في مواجهة نصارى الاسبان،

4-1-ألفاظ التوسل والشفاعة وطلب الاستغاثة:

لسان الدين بن الخطيب	ابن جابر الهواري الأندلسي
تدارَكَهُ يَا غُوثَ العِبَادِ بِرَحْمَةٍ **يقضيهِ دينِ العَفْوِ فِيهَا غَرِيمُـهُ** **أَيَجْهَرُ بِالشَّكْوَى وَأَنْتَ سَمِيعُهُ** **أيعلن بِالنجْوَى وَأَنْتَ عَلِيمُـهُ** **أتعوزهُ السُّقْيَا وَأَنْتَ غياثُـهُ** **أتتلفهُ البَلْـوَى وَأَنْتَ رَحِيمُـهُ** لسان الدين بن الخطيب.الديوان.صص:549-550 . **مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ** **غَدًا وَكُلُّ آمرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَسَبَا** لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:265 . **رَاجِينَ فِيهِ لَدَيْكَ فَضْلَ شَفَاعَةٍ** **وَمُؤَمِّلِينَ مَقَامَكَ الْمَحْمُودَا** المصدر نفسه . ص :486 .	**وَأَتَاكَ يَسْأَلُ مَنْكَ حُسنَ شَفَاعَةٍ** **وَفُؤَادُهُ خوفَ الذُّنُوبِ هَوَاءُ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.ص:24 . **فَلَكَ الشَّفَاعَةُ والمقامُ المُرْتَضَى** **وَخِتَامُ رسلِ اللَّـهِ وَالإِسْرَاءُ** المصدر نفسه . ص :25 . **شَفَاعَتُكَ العُظْمَى دَوَاءُ خَطِيئَتِي** **وَلَوْ جِئْتُ مِنْ جُرْمِي بِأَعْظَمِ دَاءِ** المصدر نفسه . ص :38 . **فَلاَ تَخيِّبْنيَ مِمَّا لَكَ مِنْ** **شَفَاعَةٍ تُرْجَى وَفَضْلٍ قَدْ نَمَا** المصدر نفسه . ص :53 . **فَعَسَى شَفَاعَتُكَ المعدَّةُ فِي غَدٍ** **تَضَعُ الذُّنُوبَ المثْقِلاَتِ لِصُلْبِـهِ** المصدر نفسه . ص :71 . **إِلَى السيِّدِ المَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً** **شَفِيعِ الْوَرَى حَسْبِي مَلاَذًا بِهِ حَسْبِي** المصدر نفسه . ص :72 . **رَسُولَ الهُدَى أَنْتَ الشَّفِيعُ لِمَنْ عَصَى** **وَشَقَّ العَصَا مِنْ مُذنبٍ سَيِّئِ الْكَسْبِ**

	المصدر نفسه . ص :75 . **لاَ أَرَى سِوَاهُ إِلَى أَنْ أَفُوزَ من سَبَبِي** **صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ موقفِ تَعِبِ** المصدر نفسه . صص :76-77 . **وَعَفِّرْ فِي ثَرَاهُ الخدَّ واسْأَلْ** **شَفَاعَةَ مَنْ بِمِلَّتِـهِ اهْتَدَيْنَـا** المصدر نفسه . ص :90 . **وَأَسْأَلُكَ الشَّفَاعَةَ فِي ذُنُوبِي** **لأَنَّـكَ لاَ تُرَدُّ إِذَا شفعَتَـا** المصدر السابق . ص :104 . **خُذْ سَيِّدِي بِيَدِي أَغِثْنِي إِنَّنِي** **أَصْبَحْتُ مِنْ بَحْرِ الذُّنُوبِ مُلَجَّجَا** **مَنْ مُنْقِذِي إِلاَّ شَفَاعَتُكَ الَّتِي** **تُنْجِي إِذَا لَهَبُ الْجَحِيمِ تَأَجَّجَا** المصدر نفسه . ص :124 . **يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْ لِي شَفِيعـًا** **يَوْمَ يُخْشَى لِلْمُسِـيءِ افْتِضَـاحُ** المصدر نفسه . ص :137 . **جِسْمِي بَعِيدٌ عَنْ كَرِيمِ دِيَارِكُمْ** **فَالْقَلْبُ فِي عَرَصَاتِهَا مَنْبُوذُ** **فِيكُمْ شَفِيعٌ فِي الأَنَامِ مُشَفَّعٌ** **مُتَمَسِّكٌ بِالجَـاهِ مِنْـهُ مَلُوذُ** المصدر نفسه . ص :205 .

II- مستوى التركيب[1] :

يقول عبد القاهر الجرجاني بأن «الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه التركيب»[2] ، ولهذا ليس لأحد منا أن ينكر هذه الحقيقة، فالجميع يتفقون على «أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل هي مجموعة من العلاقات»[3] .

فالشعر خاصة من بين فنون الأدب الأخرى لا بد وأن تتسم تراكيبه بسمة الإبداع[4]، فهو «لا يقف على دلالات اللغة الوضعية، بل إنه يقوم بعملية بعث جديدة للأشياء معتمدا على تركيباته اللغوية؛ حيث يبتعد عن فكرة البعد الواحد، فنستطيع أن نرى أبعادا متعددة تلوح من خلال القصيدة »[5]. ومن هذا المنطلق حاولت أن أتلمس أبرز مظاهر التركيب عند الشاعرين"ابن الخطيب"و"ابن جابر" من خلال المدائح النبوية.

1- تعاقب وتكرار الألفاظ والأساليب:

تطرق النقاد القدامى لهذه الظاهرة التي ترد عند الكثير من الشعراء، ابن رشيق يرى بأن (التكرار) في الشعر قد يحسن في مواضع، ويقبح في مواضع أخرى[6].ويرى أيضا أن وقوعه يأتي في الألفاظ أكثر من المعاني، وأن تكرار الشاعر للفظ والمعنى مما يعتبر معيبا[7]. وقد تكررت ألفاظ كثيرة في شعر المدائح النبوية لدى الشاعرين ابن جابر و ابن الخطيب، سواء أكانت الألفاظ أسماء، أم أفعالا، أم حروفا وسأعرض نماذج نها فيما يلي:

---

(1)–هو عبارة عن ‹مجموعة منسقة من الوحدات اللغوية لتؤدي معنى في الكلام› ينظر: مجدي وهبة وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، بيروت، 1984م. ص: 96.

(2)– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني.أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود شاكر.ط1.دار المدني، جدة، 1991م . ص :4 .

[3]–محمود مندور. في الميزان الجديد. ط3. مكتبة نهضة مصر،القاهرة،(د،ت).ص:185.
[4]–ينظر: علوي الهاشمي. السكون المتحرك: دراسة في البنية والأسلوب، ج2 . ط1. إتحاد كتاب الإمارات، الإمارات،1993م . ص:20.
[5]– رجاء عيد . دراسة في لغة الشعر.(د، ط). منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1985م . ص :114.
[6]– ابن رشيق القيرواني . العمدة ،ج2 . ص : 23.
[7]– المصدر نفسه. صص : 74–75.

1-1–تعاقب وتكرار الأسماء:

1-1-1ألفاظ الليل والنهار:

تكررت في ألفاظ الشاعرين في تلك الفترة(8هـ) لفظتا(الليل، النهار) التي عبر بهما الشاعران عن شكواهم، وذلك في العديد من مدائحهما. معبرين عن تبدل حالتهما من الفرح إلى الحزن، وأصبح الليل مصدر قلق واضطراب للشاعرين، وباعثا على أشجانهما ولواعجهما. والنهار كمصدر للتفاؤل والأمل.

أ–لسان الدين بن الخطيب: فقد كثرت تلك الكلمات الموحية بالليل يقابلها كلمات موحية بالنهار،وهو تكرار لم يكن عبثا بقدر ما كان معبرا عن معنى في نفس ابن الخطيب، فقد رأى في الليل شدة الطول وكثرة العبوس وذلك في العديد من مدائحه النبوية. يقول ابن الخطيب:

وَمَا هَاجَنِي إلاَّ تَأَلُّقُ بَـارِقٍ   يَلُوحُ بِفَوْدِ اللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ
فَلَيْلَتُهُ لَيْلُ السَّلِيمِ وَيَوْمُهَا   إِذَا شُدَّ للشَّوْقِ العِصَابُ عَصِيبُ[1]

ويقول أيضا :

وَأَذْهَبَ لَيْلَ الشَّكِّ صُبْحُ يَقِينِهِمْ   فَأَسْفَرَ مِنْ فَجْرِ الحَقَائِقِ وَاضِحُ
لَيْلُ أُنْسٍ دَجَى، وَأَقْصِرْ بِلَيْلٍ   جَاذَبَتْ بُرْدَهُ يَمِينُ صَبَاحِ[2]

ويردد كذلك:

وَرُكَابٍ سَرَوْا وَقَدْ شَمِلَ اللَّيْلُ   بِمَسْحِ الدُّجَى جَمِيعَ النَّوَاحِي
وَكَأَنَّ الظَّلاَمَ عَسْكَرُ زِنْـجِ   وَنُجُومَ الدُّجَى نُصُولُ الرِّمَـاحِ
وَعَلَى الشَّوْقِ أَنْ يشبَّ إِذَا هَبَّ   بِأَنْفَسِكُمْ نَسِيمُ الصَّبَـاحِ[3]

فلفظة (الليل) قد وظفها الشاعر تعبيرا منه عن قلقه وشكواه. أما الألفاظ الموحية بالنهار فهي للدلالة على أمل انقشاع ظلمة الليل للتعبير عن الشوق والحنين إلى النبي الأعظم و كل ما يتعلق به .

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. صص:322–324 .

(2)– المصدر نفسه . صص: 369–389 .

(3)– المصدر نفسه . صص: 389–390

ب –ابن جابرالأندلسي:

وظف الشاعر لفظتي (الليل والنهار) تعبيرا عن حاله وشكواه، وقد جاءت عباراته مليئة بالحزن والأسى وظلام الليل أحيانا، وفي أحايين أخرى مليئة بالأمل والشوق إلى زمن النبوة ، أو زيارة قبر الرسول ﷺ. يقول ابن جابر:

يُبْصَرُ سَمُّ الخِيَاطِ لَيْلاً   فِي نُورِهِ كُلَّمَا تَرَاءَى

لاَ أَسْأَلُ النَّذْلَ وَلَوْ أَنِّي بِهِ   أَمْلِكُ مَا حَازَ النَّهَارُ وَالدُّجَى

يَلْقَاكَ مِنْهُمْ كُلُّ وَجْهٍ مُشْرِقٍ   كَأَنَّهُ البَدْرُ إِذَا اللَّيْلُ سَجَا

هِيَ اللَّيَالِي لَيْسَ يُرْعَى صَرْفُهَا   لاَ خَامِلاً فِيهَا وَلاَ مَنْ قَدْ سَمَا

فَكَانَ كَالصُّبْحِ جَلاَ جُنْحَ الدُّجَى   فأذهب الإظْلاَمَ عَنَّا وَانْتَضَى

إِذَا أَدَارُوهَا وَقَدْ جُنَّ الدُّجَى   وَشَى بِهِمْ نَيِّرُهَا فِيمَنْ وَشَى

وَاخْضَعْ إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ وَقُمْ عَلَى   قدمِ الرَّجَاءِ فَلَمْ تَكُنْ لِتُخَيَّبَا

إِذَا يَهُبُّ النَّسِيمُ لَيْلاً   مِنْ نَحْوِهِمْ فَاحَتْ الْفَلاةُ

وَمَكْرُ مَا تُظْهِرُ اللَّيَالِي   تَسْتُرُهُ مِنْهُ مَكْرُمَاتُ

وَمَهْمَا بَدَا فِي ظلمةِ اللَّيْلِ وَجْهُهُ   أَضَاءَ كَمِثْلِ الصُّبْحِ إِذْ يَتَبَلَّجُ

إِلَى أَنْ بَدَا كَالْبَدْرِ لاَ غِيمَ فَوْقَهُ   بِهِ يهتَدِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُدْلجُ

سَتَرَى إِذَا سَتَرَ الدُّجَى مِنْ وَجْهِهِ   صُبْحًا أَضَاءَ بِجُنحِ لَيْلٍ إِذَ دَجَا

وَقَدْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ لَكِنَّهُ   جَرَى فِيهِ ذِكْرُكَ حَتَّى أَنَارَا[1]

لقد استمر ابن جابر في كامل مدائح النبوية يعتمد على ثنائية الليل والنهار أو ثنائية السواد والبياض بكافة صوره وأشكاله، دون أن يعلم أن ذلك الأمر ما هو إلا انعكاس

طبيعي لما يعانيه من داء الأرق، فالممدوح الذي هو النبي الكريم تارة يكون نهارا أو فجرا أو صباحا، وفي كل الأحوال هو جلاء ونور لظلمة الليل وقهره .

---

[1]– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . الصفحات: 32-43-52-55-60-81 -96-128-129-130 -272.

1-2-تعاقب وتكرار صفات الرسول ﷺ:

لسان الدين بن الخطيب	ابن جابر الهواري الأندلسي
يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَانِ وَالنُّورِ الَّذِي	**وَأَقُولُ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ مذنبٌ**
أَخْفَى الضَّلاَلَ وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا	**لَعِبَتْ بِـهِ الآمَـالُ وَالأَهْوَاءُ**
لسان الدين بن الخطيب.الديوان.ص:486.	ابن جابر .ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين
رَسُولُ الْبَرَايَا جَاءَ بِالصِّدْقِ فَامَّحَتْ	أوالغين في مدح سيد الكونين. ص :24 .
بِنُورِ هُدَاهُ التُّرَّهَاتُ الصَّحَاصِحُ	**يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ فَازَتْ أُمَّةٌ**
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمَكِينَ مَكَانُهُ	**قَدْ تَابَعُوكَ وَلَوْ عَصَوْا وَأَسَاؤُوا**
يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ وَخَيْرَ نَصِيحِ	المصدر نفسه . ص :25 .
المصدر نفسه . صص :368-383 .	**أَنْتَ الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ وَهمُ عَلَى**
فَقُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِهِ	**كُلِّ الْبَرِيَّـةِ فِـي غَدٍ شُـهَدَاءُ**
وَأَكْرَمَ مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْدَا	**أَنْتَ الأَمِينُ عَلَى رِسَالَةِ رَبِّهِمْ**
لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام	**لَهُمْ وَهُمْ فِي أَرْضِـهِ أُمَنـاءُ**
والماضي والكهام . ص:781 .	**أَنْتَ المقفّي الحَاشِرُ المَاحِي الَّذِي**
ذُو الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لاَحَتْ شَوَاهِدُهَا	**يَمْحُو ظَلاَمَ الشركِ مِنْهُ ضياءُ**
فَشَاهَدَ الْقَوْمُ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبَا	المصدر نفسه . ص :26 .
المصدر نفسه . ص :266 .	**أَنُورُ خَيْرِ الْوَرَى أَضَاءَ**
وَيَا قَادِحَ الزَّنْدِ الشَّحَاحِ تَرَفُّقَا	**أَمِ الصَّبَاحُ الْمُنِيرُ جَاءَ** المصدر نفسه
عَلَيْكَ فَشَوْقِي الخَارِجِيّ شَبِيبُ	. ص :29 .
أَيَا خَاتِمَ الرُّسْلِ الْمَكِينِ مَكَانُهُ	**مَلاَذُ الوَرَى كَافِي الأَرَامِلِ كهفُهَا**
حَدِيثُ الْغَرِيبِ الدَّارِ فِيكَ غَرِيبُ	**كَفِيلُ اليَتَامَى مَلْجَأُ الْفُقَرَاءِ**
المصدر نفسه . ص :323 .	المصدر نفسه . ص :34 .

مُصْطَفَى الْكَوْنِ مِنْ ظُهُورِ النَّبِيئِينَ
هُدَاةِ الأَنَامِ سُبْلَ الْفَلاَحِ
حَاشِرُ الْخَلْقِ عَاقِبُ الرُّسْلِ
وَالمُثَبَّتُ بِاللَّهِ بَعْدَهُمْ وَالْمَاحِ
صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ لاَ يَتَمَارَى
الْعَقْلُ فِي آيِهَا الْحِسَانِ الْصِّحَاحِ
المصدر نفسه . ص :391 .
يَا طَبِيبَ الذُّنُوبِ تَدْبِيرُكَ النَّا
جِعُ فِي عِلَّتِي ضَمِينُ النَّجَاحِ
يَا مُجَلِّي الْعَمَى وَكَافِي الدَّوَاهِي
وَمُدَاوِي الْمَرْضَى وَآسِي الجِرَاحِ
نَاصِرِ الْحَقِّ، مُرْسِلِ النَّقْعِ سُحْبًا
بَيْنَ سُمْرِ القَنَا وَبِيضِ الصِّفَاحِ
المصدر السابق . ص :392 .
يَا سِرَاجَ النَّادِي وَحَتْفَ الأَعَادِي
وَعِمَادَ المُلْكِ الكَرِيمِ الْمِنَاحِ
وَخَفَضْتَ الْجَنَاحَ فِي الأَرْضِ حَتَّى
لَمْ تَدَعْ فَوْقَ ظَهْرِهَا مِنْ جُنَاحِ
أَنْتَ مِصْبَاحُهَا وَنُورُ دُجَاهَا
دَافَعَ اللَّهُ عَنْكَ مِنْ مِصْبَاحِ
المصدر نفسه . ص :393 .
عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَأَكْرَمَ هَادٍ أَوْضَحَ الْحَقَّ وَالرُّشْدَا
عَلَيْكَ صَلاَةَ اللَّهِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ
وَأَشْفَقَ من يُثْنِي عَلَى رَأفَةٍ كَبْدَا
عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا كَاشِفَ العَمَى
وَمُذْهِبَ لَيْلِ الشَّكِّ وَهْوَ قَدِ ارْبَدَا
المصدر نفسه . صص :476-477 .
وَأَنْتَ مَلاَذُ الْخَلْقِ حَيًّا وَمَيِّتًا
وَأَكْرَمُهُمْ ذَاتًا وَأَعْظَمُهُمْ مَجْدَا
المصدر نفسه . ص :481 .

فَنَادَيْتُ يَا خَيْرَ الوَرَى إِنَّ مَقْصَدِي
إِلَيْكَ وَحَالِي غَيْرُ ذَاتِ خَفَاءِ
المصدر نفسه . ص :36 .
لِجَاهِكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَوجُّهِي
إِذَا الأُمُّ فِي شُغْلٍ عَنِ الرُّضَعَاءِ
عَلَى المُصْطَفَى أَزْكَى صَلاَةٍ وَصَحْبِهِ
بدورِ الهُدَى وَالجِلَّةِ النُّصَحَاءِ
المصدر نفسه . ص :38 .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِصْبَاحُ هُدىً
يُهْدَى بِهِ مَنْ فِي دُجَى الجَهْلِ رَتَا
المصدر السابق . ص :41 .
خَيْرُ الْوَرَى طُرًّا مَنِ اللَّهُ بِهِ
أَذْهبَ عَنَّا كُلَّ غيٍّ فَامْتَحَى
المصدر نفسه . ص :45 .
هُوَ الشَّفِيعُ المُجْتَزَى بِجَاهِهِ
بِمِثْلِ ذَاكَ الْجَاهِ حَقًّا يُجْتَزَى
المصدر نفسه . ص :47 .
خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ ذُو العِزِّ الَّذِي
لِظِلِّهِ يَأْوِي الشرِيفُ وَالشَّظَى
المصدر نفسه . ص :49 .
وَدَعَتْهُ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ إِنَّ لي
خَشْفًا يَمُوتُ مِنَ الظَّمَا فِي شِعْبِهِ
المصدر نفسه . ص :69 .
وَأَقُولُ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ مذنبٌ
يَرْجُو وَيَخْشَى مَا جَنَى منْ كَسْبِهِ
المصدر نفسه . ص :70 .
إِلَى السَّيِّدِ المَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
شَفِيعِ الوَرَى حسْبِي ملاذًا بِهِ حَسْبِي
المصدر نفسه . ص :72 .
وَكَافِي اليَتَامَى وَالأَرَامِلِ دهْرَهُمْ

أَعَدَّك مِيلاَدًا لِخَاتَمِ رُسْلِهِ **وَأَطْلَعَ فِي آَفَاقِكِ الشَّرَفَ السَّعْدَا** المصدر نفسه . ص :483 . **يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَانِ وَالنُّورِ الَّذِي** **أَخْفَى الضَّلاَلَ وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا** **لَمُحَمَّدٌ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا** **ذَاتًا وَأَوْسَعِهِمْ سنات جُودَا** المصدر نفسه . صص :486-487	**فَهُمْ عِنْدَ ضِيقِ الجَذْبِ فِي أَوْسَعِ الخِصْبِ** المصدر نفسه . ص :73 . **إنَّا تَوَسَّلْنَا بِأَحْمَدَ خَيْرِ مَنْ** **وطِئَ الثَّرَى نسبًا وَأَعْلَى مَنْصَبَا** **بِأَعَزِّ مَبْعُوثٍ وَأَشْرَفِ مُرْسَلٍ** **وَأَجَلِّ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمِ مُجْتَبَي** المصدر نفسه . ص :82 .

رَسُولٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى **وَيَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمَةِ وَالسّلْمِ** المصدر نفسه . ص :578 .	**وَهْوَ الشَّفِيعُ الرَّفِيعُ لَوْلاَ** **رَحْمَاهُ لَمْ تُخْلَصِ العُصَاةُ** المصدر السابق . ص :94 . **وَزُرْ شَفِيعَ الأَنَامِ وَانْهضْ** **مِنْ قَبْلِ أَنْ يفجأَ المَمَاتُ** المصدر نفسه . ص :97 . **سَأَقْطَعُ عُمْرِي فِي الرَّحِيلِ إِلَى الحَجِّ** **وَلَسْتُ أُبَالِي مَا جَرَى لَيْلَةَ الثَّلْجِ** **وَمَالِيَ لاَ أَسْرِي إِلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ** **شَفَاعَتُهُ لِلْعَالَمِينَ غَدًا تُنْجِي** المصدر نفسه . ص :124 . **يَا سَيِّدَ الكَوْنَيْنِ أَنْتَ المُكْتَفَى** **فِي كُلِّ مَأْمُولٍ وَأَنْتَ المُرْتَجَى** المصدر نفسه . ص :132 . **صَلُّوا عَلَى مُنْجِي البَرِيَّةِ بَعْدَ مَا** **نُصِبَتْ مَصَائِدُ لِلْهَوَى وَفُخُوخُ** المصدر نفسه . ص :151 . **عَظُمَ الشَّوْقُ إِلَى خَيْرِ الوَرَى** **فَالتَمِسْ يَا سَعْدُ فِي السَّيْرِ النجَازَا** المصدر نفسه . ص :277 . **كَرِيمًا رَحِيمًا لِلْبَرِيَّةِ نَاصِحًا** **وَلَمْ يَبْغِ مِنْهُمْ أَنْ يُكَافَى وَأَنْ يُجْزَى**

	عَطُوفًا رَؤُوفًا صَادِقَ القَوْلِ هَادِيًا بَشِيرًا نَذِيرًا دَائِمَ الجدّ لاَ يَهْزَا المصدر نفسه . ص :281 . كَفِيلُ اليَتَامَى وَالأَرَامِلِ قَدْ غَدَا حمى لأَدَانٍ مِنْهُمْ وَأقاصِي كَفِيلُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ كُلَّمَا تَصَعَّبَ دَهْرٌ جَدَّ عَنْ حَالِهِمْ فَحْصَا المصدر نفسه . صص :287-289 .

1-3-تكرار ذكر الأماكن المقدسة:

لسان الدين بن الخطيب	ابن جابر الهواري الأندلسي
طَابَتْ بِمَوْلِدِ خَيْرِ من لضَرِيحِهِ تزجَى قلاصٌ أو تزمُّ عشَارٌ لسان الدين بن الخطيب . الديوان. ص : 493 . إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطِيبَةٍ وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:475 . أَلاَ يَا حُدَاةَ الرَّكْبِ يَبْغُونَ يَثْرِبَا وَيَلْقُونَ فِي اللَّهِ السَّآمَةَ وَالجَهْدَا وَأَبْصَرْتُمْ نُورَ النُّبُوَّةِ سَاطِعًا قَدْ اكْتَنَفَ التُّرْبَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا المصدر نفسه . ص :480 . تَحَمَّلْنَ مِنْ زَوارِ قَبْرِكَ فِتْيَةً تُوَاصِلُ فِي ذَاتِ الْهُدَى وَتُنَـازِحُ وَهَا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِ يَقِينِهِ بِرَوْضَةِ مَنْ حَازَ الْمَحَاسِنَ سَارِحُ هَنِيئًا لَكُمْ يَا زَائِرِي تُرْبَةِ الهُدَى بُلُوغَ الْمُنَى، وَالسَّعْي فِي اللَّهِ نَاجِعُ المصدر نفسه . ص :367 .	فَتَزورَ آثَارَ النُّبُوَّةِ وَالهدَى وَيُبَاحُ لِلصَّبِّ المشُوقِ لِقَاءُ تِلْكَ الدِّيَارُ هِيَ الدِّيَارُ فَطَالَمَا جُلِيَتْ بِهَا عَنْ قَلْبِي الْغَمَّاءُ يَا فَوْزَهُمْ إِذَا قِيلَ طِيبَةُ هَذِهِ فَرِدُوا فَفِي وِرْدِ الْحَيَاةِ صَفَاءُ ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.ص:27 . سَهِّلْ بِهَذَا الْعَامِ زَوْرَةَ قَبْرِهِ قَدْ طَالَتِ الشَّكْوَى وَأَعْيَا الدَّاءُ المصدر نفسه . ص :28 . وَإِنْ أَرَدْتَ الثَّوَابَ حَقًّا فَاجْعَلْ لَدَى طِيبَةَ الثواءَ وَالثِمْ ثَرَى تُرْبِهَا لِتُعْطِي فِي دَهْرِكَ الأَمْنَ وَالثَّرَاءَ المصدر نفسه . ص :30 . طَابَتْ بِهِ طِيبَةٌ وَعزَّتْ لما أُنِيلَتْ لَهُ اعْتِزَاءَ المصدر نفسه . ص :32 . وَفِي مِنىً تُبْلَغُ الأَمَانِي

لِي فِي ذَّاكَ الضَّرِيحِ لُبَانَةٌ

إنْ أَصْبحَتْ لُبْنَى أَنَا ابْنُ ذَرِيحِ

المصدر نفسه . ص :383 .

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مَا نَضَحْتُ بِذِكْرِهَا

عَلَى كَبِدِي إلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا

المصدر نفسه . ص :473 .

تَخَلَّفَ مِنِّي رَكْبُ طِيبَةٌ عَانِيًا

أَمَا آنَ لِلْعَانِي المُعُنَّى بِأَنْ يُفْدَى

المصدر نفسه . ص :475 .

وَأَصْبُو إِلَى الْبَرْقِ الْحِجَازِيِّ كُلَّمَا

أَجَالَتْ أَكُفُّ الأُفُقِ فِي آسِيهَا الزَّنْدَا

المصدر السابق . ص :480 .

بِمَا بَيْنَا مِنْ خُلَّةً طَابَ ذِكْرُهَا

إِذَا فَرَّغَتْ عُوجُ المَطِيِّ بِكُمْ نَجْدَا

المصدر نفسه . ص :481 .

وَنَاجَيْتُمَا منْ مَطْلَعِ الوَحْيِ رَوْضَةً

أَعَدَّ لَهَا اللَّهُ السَّعَادَةَ وَالخُلْدَا

المصدر نفسه . ص :481 .

وَلِمِ لاَ وَقَدْ حَلَّ الرُّكَابُ بِيَثْرِبَ

وَبُؤْتُ بِشَحْطِ الدَّارِ مِنْهَا عَلَى رَغْمِ

المصدر نفسه . ص :575 .

وَبِالصَّفَا نُرْزَقُ الصَّفَاءَ

المصدر نفسه . ص :33 .

وَدَعْنِي أُرضِّي النَّفْسَ مِنْ لثْمِ أَرْضِهِ

فَلَثْمُ ثَرَاهَا بَابُ كُلِّ ثَرَاءِ

وَأَطْيَبُ مِسْكٍ طَيبُ تُرْبِ ضَرِيحِهِ

وَوَضْعُ شِفَاهِي فِيهِ خَيْرُ شِفَاءِ

المصدر نفسه . ص :38 .

كَأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا غُرَّتَهُ

وَفْدُ حَجِيجٍ عَايَنُوا أُمَّ الْقُرَى

المصدر السابق. ص :47 .

لَهُ أَشْكُو الْبُعْدَ عَنْ خَيْرِ حِمىً

قَدْ صَدَّنِي عَنْ أُنْسِهِ شَحْطَ النَّوَى

يَا مَنْزِلاً مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَالحِمَى

وَيَا دَارًا بَيْنَ كُثْبَانِ اللِّوَى

المصدر نفسه . ص :62 .

سِرْ بِي لِطِيبَةَ حَيْثُ تظفرُ آمَلاً

وَالْمَرْءُ فِيهَا آمِنٌ فِي سِرْبِهِ

مَنْ يَشْكُ دَاءَ ذُنُوبِهِ فَلْيَلْتَثِمْ

ذَاكَ الثَّرَى فَهوَ الشفَاءُ لِذَنْبِهِ

المصدر نفسه . ص :70 .

وَفِي قُرْبِ ذَاكَ الْقَبْرِ أَوْفَى مَسَرَّةٍ

فَلَيْسَ لِرَكْبٍ حَلَّ مَثْوَاهُ مِنْ كربِ

المصدر نفسه . ص :72 .

حَلُّوا بِطِيبَةَ فَارْتَاحَتْ نُفُوسُهُمْ

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَيْنٌ وَلاَ تَعَبُ

المصدر نفسه . ص :85 .

وَإِنْ ذُكِرَ الْحِجَازُ أَذُوبُ شَوْقًا

لأَنَّكَ فِي مَعَاهِدِهِ سَكَنْتَا

المصدر نفسه . ص :104 .

	هِيَ الْكَعْبَةُ الْغَرَّاءُ لاَ شَيْءَ مِثْلُهَا وَلاَ الْكَاعِبُ العَذْرَاءُ تُلْحَظُ عَنْ غُنْجِ فَيَا طِيبَ أَوْقَاتِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا وَلِلرَّكْبِ أَصْوَاتٌ لَدَى الثجِّ وَالعجَ المصدر نفسه . ص :126 . فَتَدْنُو إِلَى قَبْرِ الشَّرِيفِ مُسَلِّمًا وَأَنْتَ هيُوبٌ لِلْمحلِّ وقُورُ المصدر نفسه . ص :231 .

1-4-تعاقب وتكرار أسماء الحبيبة:

لسان الدين بن الخطيب	ابن جابر الهواري الأندلسي
لِيَ اللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ وَحَاجِزٍ وَأَكْنِي بِدَعْدٍ فِي غَرَامِي أَوْ سُعْدَا لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:480 . دَعْ عَنْكَ هِنْدًا وَالدِّيَارَ وَمَنْ بِهَا وَدَعِ الغَرَامَ يَكُونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا المصدر نفسه . ص :327 . وَمَا كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ جَفْنِي سَاهِرًا نَعَمْ، هَجْرُ سُعْدَى عَلَّمَ المُقْلَةَ السُّهْدَا المصدر نفسه . ص :480 .	هَذِي مَنَازِلُ لَيْلَى قَدْ بَدَتْ وَهَنَا يحقُّ أَنَّ دُمُوعَ العَيْنِ تَنْسَكِبُ مَنْ لَيْسَ يَبْكِي إِذَا لاَحَتْ لمقلَتِهِ دِيَارُ لَيْلَى فَدَعَوى حُبِّهِ كَذِبُ ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.ص:84 . إِذَا سَمِعْنَا بِذِكْرِ لَيْلَى فَأَدمُعُ الرَّكْبِ مُسْبَلاَتُ وَقَصْدُنَا مَنْ عَلِمْتَ لكنْ تُكْنِي بِلَيْلَى لَنَا الحُدَاةُ المصدر نفسه . ص :96 . إِلَيْكَ قَصَدْنَا لاَ لِسَلْمَى وَلاَ سُعْدَى وَأَنْتَ أَرَدْنَا لاَ العقِيقَ وَلاَ نَجْدَا المصدر نفسه . ص :191 . فَيَا سعدُ فدِّ العيسَ بِالنَّفْسِ إِنَّهَا بَلَغْنَ بِنَا الدَّارَ الَّتِي تُوجِبُ السَعْدَا وَإِنْ جِئْتَ لَيْلاً ربعَ لَيْلَى فقفْ بِهِ فَمَنْ يَغْدُ فِي أَرْجَائِهِ حَمِدَا المغْدَى وَسَلِّمْ عَلَى سَلْمَى وَجَارَتِهَا الَّتِي لَقَدْ جَادَ صَبٌّ فِي زِيَارَتِهَا جدًّا تُحَدِّثُ عَنْ سَلْمَى وَسُعْدَى إِشَارَةً

وَمَا القَصْدُ فِي سَلمَى لَدَيْنَا وَلاَ سُعْدَى **ونذكُرُ لُبْنَى وَاللُّبَانَـةُ غيرُهَا** **نعمْ والـهَوَى لاَ نُعْمَ نَـهْوَى وَلاَ هِنْدَا** المصدر نفسه . ص :193 . **وسلْ مَا حييتَ القُرْبَ مِنْـهُ وَلاَ يكنْ** **لِسُعْدَى وَلاَ سَلْمَى بِقَلْبِكَ مَطْمَـحُ** المصدر نفسه . ص :139 . **هُمُ عَدَلُوا نَحْوَ المَدِينَـةِ فَاعْدِلِ** **وَلاَ تَكُ عَنْ ذَاكَ الضرِيحِ بِمَعْزَلِ** **وَدَعْ عَنْكَ سُعْدَى وَالنُّزُولَ بِرَبْعِهَا** **وَإِنْ شِئْتَ إِسْعَادًا بِطِيبَةَ فانْـزِلِ** المصدر السابق . ص :447 . **دَعْ عَنْكَ سَلْمَى وسَلْ مَا بِالعَقِيقِ جَرَى** **وَأُمَّ سَلْعًا وَسَلْ عَنْ أَهْلِهِ القُدُمِ** المصدر نفسه . ص :493 .	

2-تكرار الأفعال وتعاقبها:

وردت أساليب عديدة في شعر المديح النبوي كرر الشاعران فيها(الأفعال)بأنواعها، وجاء أغلبها تكرار الفعل الماضي أو الأمر لما في نفس الشاعرين من شوق وحنين إلى الرسول ﷺ أو لطلب الأجر والثواب. فمن الأمثلة على تكرار الفعل الماضي أو الأمر ما يوضحه الجدول التالي:

لسان الدين بن الخطيب	**ابن جابر الهواري الأندلسي**
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبًا **فَهَفَتْ بِغُصْنٍ لِلرِّيَاضِ مَرُوُوح** لسان الدين بن الخطيب . الديوان. ص : 384 .	**صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ المُجْتَبَى** **مَا رَجَّعَتْ فِي بَانَـةٍ وَرْقَاءُ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.ص:28 .
صَلَّى عَلَيْكَ الَّذِي أَهْدَاهُ نُورَ هُدًى **مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ بَعْدِ الْجَنُوبِ صَبَا** لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:266 .	**صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى وَآلٍ** **كَانُوا عَلَـى الْحَقِّ أَوْلِيَـاءَ** المصدر نفسه . ص :33 .
عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ مَا عَيَّبَ الفَضَا **عَلَيْكَ مُطِيلٌ بِالثَّنَـاءِ مُصِيبُ** المصدر نفسه . ص :325 .	**عَلَى الْمُصْطَفَى أَزْكَى صَلاَةٍ وَصَحْبِهِ** **بِدورِ الهُدَى وَالجِلَّة النُّصَحَاءِ** المصدر نفسه . ص :38 .
صَلَوَاتُ اللَّهِ يَا نُكْتَةَ الْكَوْنِ **عَلَى مَجْدِكَ اللُّبَـابِ الصُّرَاحِ** المصدر نفسه . ص :391 .	**صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا من جَاهُـهُ** **يَوْمَ الْحِسَابِ مَلجَأٌ لِمَنْ عَصَى** المصدر نفسه . ص :54 .
عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ **وَأَكْرَمَ هَادٍ أَوْضَحَ الحَقَّ وَالرُّشْدَا** **عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ**	**أَزْكَى صَلاَةٍ وَسَلاَمٍ أَبَدًا** **عَلَيْكَ مَا ارْتَاحَ الظَّلِيْمُ وَ ارْتَعَى** المصدر نفسه . ص :56 .

وَأَشْفَقَ من يُثْنِي عَلَى رَأْفَةٍ كَبْدَا المصدر نفسه . صص :476-477 . صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَهَنـًا، فَهَزَّتْ مَائِسـًا أَمْلُودَا المصدر نفسه . ص :488 .	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا جنَّ الدُّجَى وَعَلَى قرابَتِهِ الكِرَامِ وصحبِهِ المصدر نفسه . ص :71 . عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَتْبَعُهَا الرضَى عَلَى الأَهْلِ وَالأَوْلاَدِ وَالآلِ والصحْبِ المصدر نفسه . ص :75 . أَطْيَبُ الصَّلاَةِ عَلَـى غُصْنِ مجدِكَ العَرَبِّي المصدر نفسه . ص :79 . صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُنَا وَعَلَيْهِمُ مَا أَطْلَعَتْ أَيْدِي الدياجِى كوكَبـًا المصدر السابق . ص :82 . أَزْكَى الصَّلاَةِ وَأَنْمَاهَا تَخُصُّكُمْ مَا أُعْمِلَتْ نَحْوَ ذَاكَ المنزِلِ النُّجُبُ المصدر نفسه . ص :86 . عَلَيْكَ صَلاَةُ رَبِّ الْعَرْشِ تَنْدَى كَأَنَّ بِهَا ذَكيَّ المسكِ فُتَّا المصدر نفسه . ص :104 . عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلاَةِ شَامِلَـةً صَحْبًا هُمُ خَيْرُ نَاطِقٍ نَفَثَا المصدر نفسه . ص :117 . فَأَزْكَى صَلاَةٍ لاَ انْقِطَاعَ لِوَصْلِهَا عَلَى ذَلِكَ القَبْرِ الشَّرِيفِ تُعَرِّجُ المصدر نفسه . ص :129 . أُصَلِّي عَلَى الهَادِي وَصَحْبٍ بِحُبِّهِمْ تُدَاوَى مِنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ جُرُوحُ المصدر نفسه . ص :145 . صَلُّوا عَلَى مُنْجِي البَرِيَّةِ بَعْدَ مَا نُصِبَتْ مَصَائِدُ لِلْهَوى وَفُخوخُ المصدر نفسه . ص :151 . وَصَلُّوا عَلَى الْهَادِي وَخَيْرِ صحابَةٍ

	عَلَى الأَّرْضِ إنْ يُعْطُوا العهُودَ وَيَسْتَنْخُوا المصدر نفسه . ص :156 .

3-تكرار وتعاقب الأساليب الإنشائية:

إن الأساليب الطلبية التي تكررت وتعاقبت عند الشاعرين ابن الخطيب وابن جابر تطالعنا مدائحهما، وقد وظفت لتخدم تجربة المدحة النبوية عندهما بصورة جيدة تدل على صدق تجربتهما الشعرية، ومن هذه الأساليب:

3-1-أسلوب النداء:

تكررت أساليب النداء في شعر المديح النبوي كثيرا في قصائد الشاعرين في القرن الثامن الهجري، ومن خلال الديوانين اللذين تم الاستعانة بهما نلاحظ أن الشاعرين استعملا أسلوب النداء في بعض قصائدهما، ومنهم من يكرر ذلك الأسلوب في القصيدة الواحدة .

أ-ابن الخطيب: يحتل أسلوب النداء مكانة ملحوظة في تراكيب ابن الخطيب في طوالع مدحه فضلا عما جاء في بنيته الداخلية، حيث جاءت دلالة النداء فيها بشكل مطلق دون أن يكون لطلب الإقبال، ولذا فقد خرج النداء في المدح النبوية عما وضع له مثلما خرج الاستفهام عن استعماله الأصلي.

وبالتأكيد فإن شاعرنا لجأ إلى استعمال الأدوات المختصة بالنداء كمرتكز أساسي لبنائه التركيبي، حيث اكتفى بأداتين هما الهزة والياء لعملية النداء، وربما كان استعمالهما بشكل متساو، يقول ابن الخطيب:

أَمُحَمَّدٌ وَالْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ   بِحليهَا بَيْنَ الوَرَى يَتَجَمَّلُ(1)

وقوله :

أَمَحَمَّدَ أَبْلَيْتَ دِينَ مُحَمَّـدٍ   حَسْنَى، بَقَاء الذِّكْرِ مِنْ حَسَنَاتِهَا(2)

وقوله كذلك :

يَا نَيِّرًا لَوْلاَ تَوَقُّدُ نُـورِهِ   هَفَتِ الحُلُومُ وَفَالَطَتِ الأَرَاءُ[3]

وقد يكرر ابن الخطيب أسلوب النداء للتعبير عن حنينه و شوقه إلى الرسول الكريم وقبره، ومن أمثلة ذلك قوله:

فَيَا سَرْحَ ذَلِكَ الحَيِّ لَوْ أَخْلَفَ الْحَيَا   لأَغْنَاكَ مِنْ صَوْبِ الدُّمُوعِ صَبِيبُ

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. الديوان . ص: 568 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 328 .

[3]– المصدر نفسه . ص: 232 .

وَيَا هَاجِرَ الْجَوِّ الْجَدِيبِ تَلَبُّثًا   فَعَهْدِي رَطْبُ الجَانِبَيْنِ خَصَيبُ

وَيَا قَادِحَ الزَّنْدِ الشَّحَاحِ تَرَفُّقًا   عَلَيْكَ فَشَوْقِي الخَارِجِيّ شَبِيبُ

أَيَا خَاتِمَ الرُّسْلِ الْمَكِينِ مَكَانُـهُ   حَدِيثُ الْغَرِيبِ الدَّارِ فِيكَ غَرِيبُ[1]

كما نجده يكرر أسلوب النداء بعد الصلاة على الرسولﷺ وهذا في أبيات متتالية:

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ   وَأَكْرَمَ هَادٍ أَوْضَحَ الحَقَّ وَالرُّشْدَا

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ   وَأَشْفَقَ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَأْفَةٍ كَبْدَا

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا كَاشِفَ العَمَى   وَمُذْهِبَ لَيْلِ الشَّكِ وَهْوَ قَدِ ارْبَدَا[2]

ويعود شاعرنا إلى أسلوب النداء وهذه المرة يعقبه بذكر صفة من صفاته :

يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمَكِينَ مَكَانُـهُ   يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ وَ خَيْرَ نَصِيـحِ

وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ   خُطَاهُ وَأَضْحَى مِنْ أَحِبَّتِهِ فَرْدَا

فَقُولُوا رَسُول اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِهِ   وَ أَكْرَمَ مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْدَا

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَنِ وَالنُّورِ الَّذِي   أَخْفَى الضَّلاَلَ وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا[3]

وهكذا نجد أسلوب النداء قد وظف لخدمة المدحة النبوية، وكذا تجربة الحنين إلى الرسول المصطفى، واكتسب دلالة أعمق في سياق هذه التجربة، فقد جاء مفعما بالحساس الشاعر ووجدانه ومشاعره.

3-2- أسلوب الاستفهام:

كان ذا حضور ملموس في تراكيب ابن الخطيب، يقول في إحدى مدائحه وهو يعدد معجزاته عليه الصلاة والسلام :

وَمَاذَا يَعُدَّ الْوَصْفُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَآيُ رَسُولِ اللَّهِ تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّا[4]

وقوله في قصيدة ميلادية:

وَهَلْ أَنْتَضِي دَهْرِي فَيَسْمَحُ طَائِعًا وَأَدْعُو لِحَظِّي مسمِعًا فَيُجِيبُ

وَكَيْفَ يَضِيقُ الذَّرْعُ يَوْمًا بِقَاصِدٍ وَذَاكَ الْجَنَابُ المُسْتَجَارُ رَحِيبُ

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 328 . ص: 323 .

(2)– المصدر نفسه . الصفحات: 476–477 .

(3)– المصدر نفسه . الصفحات:383–475–481–486 .

(4)– المصدر نفسه . ص : 483 .

فَوَ اللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَلَهُّبًا أَأَبْصَرْتَ نَارًا ثَارَ عَنْهُ لَهِيبُ[1]

وبالطبع فإن ابن الخطيب يعتمد في تراكيبه الاستفهامية على أدوات الاستفهام التي تنوعت في المدائح النبوية، حيث شملت (الهمزة، ماذا، هل، كيف، أين، متى، أي، من، كم)، لكن الهمزة تبقى أكثر استخداما عند ابن الخطيب، لاتساع دائرة الاستعمال فيها،« فهي التي يسأل بها عن كل شيء في الجملة »[2]. يقول شاعرنا:

أَأَجْحَدُ حَقَّ الْحُبِّ وَالدَّمْعُ شَاهِدٌ وَقَدْ وَقَعَ التَّسْجِيلُ مِنْ بَعْدِ مَا أَدَّى

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا أَبُلُّ بِهَا مِنْ نَارِ لَوْعَتِي الْ... [3]

أَبَعْدَ سُرَى الرَّكْبِ الْحِجَازِيِّ مُوْهِنًا أَمُدُّ لِنَفْسِي فِي تَعَلُّلِهَا مَدَّا[4]

وحينما تظهر التراكيب الاستفهامية في المدحة النبوية، فإن ابن الخطيب يعي تماما وظيفتها التي تتجاوز التواصل إلى التفاعل؛ لذلك فقد حرص شاعرنا على إمداد مدحه النبوية بتلك التراكيب الاستفهامية بين الفينة والأخرى، فتكون بشكل منفرد وهو الأغلب،أو بشكل مجموعات متوالية لتقوم بعملية تنشيط النص وتحقيق التفاعل مع المتلقي[5]. وللنظر إلى الأبيات التالية في إحدى مدحه النبوية:

وَهَلْ هُوَ إِلاَّ مَظْهَرٌ أَنْتَ سِرُّهُ لِيَمْتَازَ فِي الْخَلْقِ المُكِبُّ مِنَ الأَهْدَى

بِمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ وَلَمْ يَأْلُ فِيكَ الْوَحْيِ مَدْحًا وَلاَ حَمْدَا

بِمَاذَا عَسَى يُجْزِيكَ هَاوٍ عَلَى شَفىً مِنَ النَّارِ قَدْ أَسْكَنَتْهُ بَعْدَهَا الْخُلْدَا[6]

ولعلنا نلحظ اعتماده على أداة واحدة في بيت واحد(كم)، (ماذا):

فَكَمْ مُعْتَدٍ أَرْدَى، وَكَمْ تَائِهٍ هَدَى وَكَمْ حِكْمَةٍ أَضْفَى، وَكَمْ نِعْمَةٍ أَبْدَى

خَلِيلِيَّ مَاذَا يَحْصِرُ الْقَوْلُ إِنْ غَلاَ   وَمَاذَا عَسَى يُحْصِي الْكَلاَمَ وَإِنْ نَدَا[7]

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص:322–323 .

[2]–محمد أبو موسى. دلالات التركيب: دراسة بلاغية. ط2. مكتبة وهبة ، القاهرة ،1987م . ص :205 .

[3]– فراغ بسبب خرم في الأصل ولعل المراد : الخدا

[4]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 473– 480 .

[5]–ينظر: محمد الهادي الطرابلسي. خصائص الأسلوب في الشوقيات.(د، ط). منشورات الجامعة التونسية ،(د،ت) . ص :350 .

[6]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 476.

[7]– المصدر نفسه . صص: 479–483 .

أما دلالات الاستفهام في تراكيب ابن الخطيب فلا تكاد تأتي في معناها الأصلي وهو« طلب العلم لشيء لم يكن معلوما »[1] . بل طرقت دلالات متنوعة ومعاني متعددة حسب السياق الذي وردت فيه، فمنها على سبيل المثال التمجيد للمدوح (النبيﷺ) :

بِأَيِّ شُكْرٍ نُوَفِّي كُنْـهَ نِعْمَتِـهِ   لَوْ أَنَّ سَحْبَانَ أَوْ قُسًّا لَـهَا انْتُدِبـَا[2]

3-3-أسلوب التمني:

إن أسلوب التمني الذي تم توظيفه من طرف ″ابن الخطيب″ يدل على صدق تجربة الشاعر، وخلال تتبعي للمدائح النبوية ، أجده يخدم تلك التجربة التي تبرز حنينه إلى الأراضي المقدسة،والتشوق إلى الأرض التي ضمت قبر النبيﷺ. يقول ابن الخطيب:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي وَالأَمَانِي ضَالَـةٌ   وَقَدْ تُخْطِـئُ الآمَـالُ ثُمَّ تُصِيبُ

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلَ لِحَوْمِي مَوْرِدٌ   لَدَيْكَ، وَهَلْ لِي فِي رِضَاكِ نَصِيبُ

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي نَاهِدًا   أَقُودُ القِلاَصَ الْبُدْنَ وَالضَّامِرَ النُّهْدَا[3]

كما تمنى الشاعر الذهاب وشد الرحال إلى البيت العتيق، وزيارة قبر النبي الكريمﷺ، والتبرك بآثاره، وذلك ما لمسناه من خلال أساليب التمني التي وظفها ابن الخطيب للتعبير عن تجربته الشعرية، والشواهد على ذلك كثيرة منها ما نجده في قوله:

وَيَا لَيْتَ أَنِّي فِي جوَارِكَ ثَاوِيًا   أُوَسَّدُ مِنْهُ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ الْوَرْدَا[4]

3-4-أسلوب الأمر والنهي:

هناك أساليب إنشائية طلبية أخرى لم يكن حضورها قويا في مدائح ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري، كأسلوب الأمر ومثال ذلك قوله في أبيات متفرقة :

دَعْ عنك هِنْدًا وَالدِّيَارَ وَمَنْ بِهَا   وَدَعِ الْغَرَامَ يَكُونُ بَعْضُ عُفَاتِهَا

فَنُبْ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْحِمَى وَأَذْرِ بِهِ دَمْعًا وَعَفِّرْ بِـهِ خَدَّا
وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ خُطَاهُ وَأَضْحَى مِنْ أَحِبَّتِهِ فَرْدَا
فَقُولُوا رَسُولُ اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِهِ وَأَكْرَمَ مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْدَا[5]

---

[1]-عبد السلام هارون.الأساليب الإنشائية في النحو العربي.ط2. مكتبة الخانجي،القاهرة،1979م. ص:18

[2]- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 267.

[3]- المصدر نفسه . الصفحات: 321-322-477 .

[4]- المصدر نفسه . ص: 482 .

[5]- المصدر نفسه . الصفحات: 327-475- 481 .

أما أسلوب النهي فيكاد ينعدم تماما، إلا في قوله هذا :

وَلاَ تُصْلِيَا دَمْعِي بِتَجْرِيحِ مُقْلَتِي فَدَمْعِي مَقْبُولٌ عَلَى الْقَلْبِ مَا أَدَّا[1]

كما وردت أساليب أخرى إنشائية غير طلبية، وتكررت مرات عدة في نتاج الشاعرين في تلك الفترة.من هذه الأساليب أسلوب التعجب، حيث وظف الشاعران هذا الأسلوب للدلالة على حنينهما إلى الرسول الكريم وقبره . يقول ابن الخطيب:

لِلَّهِ دَرُّ رَكَائِبٍ قَطَعَتْ إِلَى مَغْنَى ثَرَاكَ تَهَائِمَا وَنُجُودَا
فَلِلَّهِ دَرّ الْقَوْمِ فِيهَا وَقَدْ غَدَوْا ضُيُوفًا بِمَثْوَى سَيِّدِ الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ[2]

وهما صيغتان سماعيتان غير قياسيتين .

وقوله أيضا:

أَعْزِزْ بِمَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ وَخُصَّهُ مِنْ ذِكْرِكَ التَّقْدِيسَ وَالتَّمْجِيدَا[3]

وهي صيغة سماعية قياسية.

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 479 .

(2)– المصدر نفسه . صص: 486–576 .

(3)– المصدر نفسه . ص: 487 .

ب–ابن جابر:

3–1–أسلوب النداء:_كان حضوره قويا جدا عند ابن جابر، أكثر من معاصره ابن الخطيب، وكان الغالب استخدامه أداة النداء (يا) . ومن ذلك قوله:

وَأَقُولُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مذنِبٌ لَعِبَتْ بِهِ الآَمَالُ وَالأَهْوَاءُ

أُدْنُ أَطْلُبِ اسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّنَا نُعْطِي الْجَزِيلَ وَلاَ يضِيقُ عطَاءُ

يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ فَازَتْ أُمَّةٌ قَدْ تَابَعُوكَ وَلَوْ عَصَوْا وَأَسَاؤُوا

فَنَادَيْتُ يَا خَيْرَ الْوَرَى إِنَّ مقْصَدِي إِلَيْكَ وَحَالِي غَيْرُ ذَاتِ خَفَاءِ

لِجَاهِكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَوَجُّهِي إِذَا الأُمُّ فِي شُغْلٍ عَنِ الرُّضَعَاءِ

يَا أَيُّهَا الْعَاذِلُ فِي حُبِّي لَهَا أَقْصرْ فَلِي سَمْعٌ عَنِ الْعَذْلِ نَأَى

يَا مَنْ غَدَا لِلْخَلْقِ كَهْفًا وَحمىً فأكرمَ المَثْوَى وَآَوَى وحمَى

يَا مَنْ جَرَى مِنْ كَفِّهِ الْمَاءُ وَمَنْ حَنَّ لَهُ الْجِذْعُ وَسَبَّحَ الْحَصَى[1]

فهذه الشواهد عن النداء قمت باستخراجها من مدائح نبوية مختلفة، للبرهنة عن مدى حرص الشاعر على توظيف النداء، والملاحظ عليها أن ابن جابر يستعمل أداة النداء ويتبعها بصفة من صفات الرسول(خير البرية،خير خلق الله، خير الورى، خير الأنام..) وقد تتابع أدوات النداء في قصيدة واحدة، وهذا للتعبير عن حنينه تجاه المحبوب(صلى الله عليه وسلم) مظهرا شوقه وحنينه ، وفي ذلك يقول:

يَا أَحْلَمَ النَّاسِ عَلَى مَنْ قَدْ جَنَى وَأَعْدَلَ الْخَلْقِ إِذَا مَا قَدْ قَضَى

يَا مُصْغِرَ الأَلْفِ إِذَا مَا جَادَ أَوْ جَرَّدَ فِي الْهَيْجَاءِ سَيْفًا أَوْ نضَا

يَا نَاصِحًا أَحْكَمَ تَشْيِيدَ الهُدَى عَزْمًا فَلَمَّا يَنْتَقِضُ وَ لاَ انقَضَى

يَا مُضْفِيًا لِلنَّاسِ ظلَّ رحمَـةٍ بَاتَ العِدَا مِنْهَا عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
يَا مُوسِعَ الأَلْفِ بِصَاعٍ شِبَعًا وَمَنْ مَشَى الدَّوْحُ إِلَيْهِ وَسَعَى[2]

ويستمر ابن جابر في هذه الشاكلة، في استهلال أبياته بأداة النداء(يا) في أبيات متعاقبة وهذا في قصيدة لامية :

[1]–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. الصفحات: 24-25-36-38-39-52- 54

[2]– المصدر نفسه . صص: 55-56 .

يَا خَيْرَ مَنْ ركبَ البُرَاقُ وَجَاوَزَ الـ سبْعَ الطِّبَاقَ وَنَـالَ خَيْرَ مَنَالِ
يَا مَنْ وَقَى مُهَجًا وَفَتَـحَ أَعْيُنًـا وَهدَى قُلُوبَ النَّاسِ بَعْدَ ضَلاَلِ
يَا مَنْ عَلَى كُلِّ الأَرَامِلِ قَدْ غَدَا سِتْرًا وَلِلأَيْتَامِ خَيْرَ ثِمَـالِ[1]

إذن نقول إن ابن جابر قد أكثر من أسلوب النداء فلم أستطع عدها واكتفيت فقط بإيراد أمثلة توضيحية ، كما أنه اعتمد كثيرا على الأداة(يا) في حنينه إلى الرسول الأعظم وهو يمدحه، ويعدد صفاته وخصاله ومعجزاته.

<u>**2-3-أسلوب الاستفهام:**</u>

إن الدور الذي يلعبه الاستفهام دور مهم مؤثر يحقق للنص قيما فنية وجمالية عالية في مستوى الشكل والمضمون، فقد أكثر ابن جابر من هذا الأسلوب، خاصة أن الذي يبغيه هو التعبير عن مدى حبه للرسولﷺ لينال رضاه وشفاعته، وقد استخدم في مدائحه النبوية الكثير من أدوات الاستفهام . يقول:

مَنْ أَمَّ بَابَكَ لاَ يُخَيِّبُ رَجَـاءَهُ وَمَتَى يخيّبُ لَدَى الْكَرِيمِ رَجَاءُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي تَمْتَدُّ نَحْوِي كَفُّـهُ بِسُوءٍ وَجَاهُ الهَاشِمِيِّ إِزَائِـي
هَلْ مَارَسَتْ إِلاَّ أَخَا عَـزْمٍ إِذَا مَا قَعَدَ النَّاسُ عَنْ الخطبِ جَثَا
هَلْ هِيَ إِلاَّ سُنَّةُ الْحَقِّ الَّتِـي أُرْشِدُ مَنْ لاَذَ بِهَا أَوْ احْتَذَى
هَلْ أَنْتُمْ تَدْرُونَ أَيْنَ مُرَادُهُ دَارٌ بِهَا لِلمكْرُمَـاتِ رُسُوخُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَبْتَدرُ السُّرَى إِلَيْكَ وَحِيدًا أَمْ أَسِيرُ مَعَ الرَّكْبِ[2]

فنلاحظ أن الشاعر نوع في استعمال أدوات الاستفهام(من، هل، الهمزة)وهو يمدح النبي الكريم، مستذكرا نسبه ، متشوقا إليه، متسائلا هل سيزوره وحده، أم سيسير مع الركب الذاهب إلى مكة .كما استعمل الأداة (متى) في قوله:

مَتَى أَحُلُّ حِمَى قَوْمٍ يُحِبُّهُمُ قَلْبِي وَكَمْ هَائِمٍ قَبْلِي بِحُبِّهِمِ
مَتَى أُرَى جَارَ قَوْمٍ عَزَّ جَارُهُمُ عَهْدٌ عَلِيَّ السُّرَى حِفْظًا لِعَهْدِهِمِ[3]

كما وظف الشاعر أسلوب استفهام بـ(أليس، ألم) في مجموعة أبيات متتالية في إحدى مدائحه، وهي قصيدته اللامية:

---

[1]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين . صص: 462 .

[2]– المصدر نفسه . الصفحات: 24-36-42-46-71-149.

[3]– المصدر نفسه . ص: 493 .

أَلَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ بِصِدْقِهِ وَ لَكِنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ لِمَعْقِلِ
أَلَيْسَ الَّذِي فِي كَفِّهِ سَبَّحَ الْحَصَى وَأَرْوَى جَمِيعَ الْجَيْشِ مِنْ نَبْعِ أَنْمُلِ
أَلَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ جَاءَ بِمُعْجِزٍ لِكُلِّ مُجِيدٍ فِي الْبَلاَغَةِ مُجْزِلِ
أَلَيْسَ انْشِقَاقُ الْبَدْرِ كَانَ لأَجْلِهِ فَشَقَّ عَلَى نَفْسِ الشَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ
أَلَمْ يَنْظُرُوا للدَّوْحِ تَسْعَى لِقَصْدِهِ أَلَمْ يُبْصِرُوا فِعْلَ الغَمَامِ المُظَلِّلِ
أَلَيْسَ الَّذِي قَدْ آلَمَ الْجِذْعَ فَقْدُهُ فَأَنَّ أَنِينَ الشَّيِّقِ الْمُتَمَلِّلِ
أَلَيْسَ الَّذِي أَعْطَى الْغَزَالَةَ عَهْدَهُ فَعَادَتْ وَلَمْ تُخْلِفْ وَلَمْ تَتَمَهَّلِ
أَلَمْ يَبْتَدِرْهُ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ عَلَى الْغَارِ إِذْ جَاؤُوْا فَجَالُوا بِأَسْفَلِ
أَلَيْسَ بِبَابِ الْغَارِ حَامَتْ حَمَامَةٌ لِتَصْرِفَهُمْ عَنْ قَصْدِهِ بِالتَّخَيُّلِ
أَلَيْسَ بَعِيرُ الْقَوْمِ لاَذَ بِعَدْلِهِ فَأَنْجَاهُ مِنْ جُوعٍ وَتَثْقِيلِ مَحْمَلِ
أَلَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الطَّعَامِ مُسَبِّحًا لَدَيْهِ مَتَى مَا مَدَّ كَفًا لِمَأْكَلِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الوَحْشَ وَالدّوحَ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ جَنْدَلِ
أَلَيْسَ الَّذِي قَدْ كَلَّمَ الضَّبَّ سَائِلاً فَقَالَ مُجِيبًا أَنْتَ آخِرُ مُرْسَلِ
أَلَيْسَ لَهُ الْحَوْضُ الَّذِي نَأْمَنُ الظَّمَا إِذَا مَا شَرِبْنَا مِنْهُ جَرْعَةَ سَلْسَلِ
أَلَمْ تَقْذِفِ الْجِنُّ النُّجُومَ لأَجْلِهِ وَهُمْ عَنْ لِحَاقِ السَّمْعِ بَعْدَ بِمَعْزِلِ[1]

حيث نلاحظ تكثيف استعمال الشاعر لأداة الاستفهام(الهمزة) قبل أداتي النفي (ليس، لم) وهو يمدح النبي الكريم معددا معجزاته العظيمة، الشيء الذي ترك في نفسه أثرا عميقا.

<u>3-3-أسلوب التمني</u>: إن توظيف ابن جابر لهذا الأسلوب للتعبير عن تجربة روحية لصيقة بوجدانه تؤكد عمق إيمانه، وصدق تجربته الشعرية،ألا وهي حبه للنبيﷺ وطلب نيل الشفاعة منه . يقول:

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ يَوْمٍ تَشْتَفِي   كَبِدٌ لِشِدَّةِ شَوْقِهَا حَرَّاءُ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى بَلَدًا   حَلَّ بِهِ خَيْرُ مُرْسَلٍ بُعِثَا[2]

فقد استعمل أسلوب التمني مقرونا بأسلوب النداء، وهو في حالة قلق، متمنيا شد الرحال إلى البيت العتيق وزيارة قبر النبي الكريم .

---

[1]–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. صص: 449–450

[2]– المصدر نفسه . ص: 27– 115 .

إن ذلك التمني جاء ممتزجا باليأس والإحباط اللذين يسيطران على مشاعر ابن جابر وأحاسيسه، ومثل ذلك قوله:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي لَيْلَةً   أَسُوقُ الْمَطَايَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْعَرْجِ

لَيْتَنِي يَا قَوْمِ بَيْنَ المَطَايَا   رَائِحًا فِي قَصْدِهِمْ حَيْثُ رَاحُوا[1]

لقد استعمل شاعرنا ابن جابر أسلوب التمني بشكل كبير جدا، إذا ما قورن بمعاصره ابن الخطيب، وهذا لخدمة غرض المديح النبوي. لا يتسع المجال لذكرها كلها لذا سأكتفي بذكر البيت الأخير للاستشهاد :

لَيْتَ الرَّكَائِبُ تُدْنِي مِنْ مَعَاهِدِهِ   فَالْبُعْدُ عَنْهُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ مُحْتَمَلِ[2]

فطبيعي جدا أن يوظف الشاعر أسلوب التمني، لأنه ضاقت به كل السبل لزيارة بيت الله الحرام وبالتالي زيارة لحد الرسول ﷺ. فأصبحت أمنيته شعرا يقال لعله يشفي غليله، ويطفئ نار الحرقة والشوق .

<u>3–4–أسلوب الأمر والنهي:</u>استخدم ابن جابر أسلوب الأمر بمعناه الحقيقي، أما النهي فلم يرد ذلك إلا قليلا ومن أمثلة ذلك قوله:

وَسَلْ عَنْهُ إِنْ وَافَيْتَ سلْعًا فَإِنَّـهُ   كَرِيمٌ إِذَا مَا الْغَيْثُ يمنَـعُ يمنَـحُ

وَسَلْ مَا حييتَ الْقُرْبَ منْهُ وَلاَ يَكُنْ   لِسُعْدَى وَلاَ سَلْمَى بِقَلْبِكَ مَطْمَـحُ

سَامِحْ صَدِيقَكَ واسْتُرْ قُبْحَ زلَّتِهِ   وَاغضبْ لَهُ عِنْدَ مَنْ آذَاهُ وَانْتَصَرِ

رُوَيْدَكُمَا نَبْكِي الذُّنُوبَ الَّتِي خَلَتْ   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ[3]

فقد استعمل في الأبيات الثلاث الأولى فعل الأمر، وفي الرابع اسم فعل أمر بمعنى(تمهل).

أما أسلوب النهي فيمكن الاستشهاد بقوله:

لاَ تَكُونُوا كَالفَرَازِينِ[4] إِذَا   مَا رحلتمْ وَانْهَضُوا نَهْضَ الرِّخَاخِ

لاَ تجبنِـي بِحَدِيثِ غَيْـرِهِ   فَهُوَ لاَ يَدْخُلُ وَاللَّـهِ صِمَاخِـِي[5]

---

[1]–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. صص: 125–135

[2]– المصدر نفسه . ص: 456 .

[3]– المصدر نفسه . ص: 139–218–440 .

[4]–الفرازين: هي فرذان أي الملك في الشطرنج. الرخاخ: ج رخ : قطعة من أحجار الشطرنج.

[5]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 152.

هذه بعض نماذج من الأساليب الإنشائية الطلبية التي برزت على مستوى شعر المديح النبوي، ولم يبرز أسلوب النهي لبروز أسلوب الإثبات الذي يؤكد حنين الشاعران وصدق تجربتهما الشعرية. وكان أسلوب النداء الأبرز في شعر المدائح النبوية لدى الشاعرين، يليه أسلوب الاستفهام ثم التمني .

III-بناء الصورة الشعرية:

مما لا شك فيه أن وسيلة الشاعر لاكتشاف الأشياء، كانت تتمثل في الصورة، وكان الشاعر القديم يرسم صورة بواسطة و التشبيه وما شابههما، ولم يستطع الشاعر الحديث أن يستغني عن هاتين الوسيلتين، وإن كانت الصورة الشعرية الحديثة تعد أوسع نطاقا وأخصب من مجرد التشبيه أو الإستعارة، وقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة الخصب والامتلاء والعمل إلى جانب الأصالة والابتداع. بحيث تؤدي الصورة دورها. وربما كان الشاعر الحديث يستعين بوسائل أخرى إلى جانب هاتين الوسيلتين ليمنح صورة الخصب العمق، ولعل من أهم هذه الوسائل الإيحاء، وقد يتم هذا باختيار الكلمة المعبرة ووضعها في سياقها المناسب من الجملة الشعرية .

ولم تكن الصورة الشعرية عند الشاعر القديم منحصرة في التشبيه أو الإستعارة وما إليهما، بل كان يستغني عنهما بالكلمة المعبرة أو الوصف في بعض الأحيان، وبذلك لا نجد فرقا كبيرا بين الشاعر القديم والحديث في هذا المجال« غير أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور»[1].

ولا شك أن طبيعة الصورة لدى الشاعر القديم تتمثل في نقل صورة شيء وإضفائها على شيء آخر، يظهر أن الشاعر كان يحاول بواسطة الصورة أن يؤلف بين الكائنات الحية من جهة، وبين الطبيعة من جهة أخرى، فيحدث بذلك نوعا من الانسجام بين الأشياء، وهو بهذا يرى الوجود كله حيا إذا اهتز منه جزء اهتزت له سائر الأجزاء، والصورة تنشأ حين يحدث هذا الانسجام، وحين يتسع خيال الشاعر فيشمل كافة الموجودات[2].

وقد نتساءل أحيانا عن نشأة الصورة لدى الشاعر بصفة عامة ، ومما لا شك فيه أن الشاعر يتميز بإحساس مرهف أكثر من غيره من الناس ، فالشعر إحساس قبل كل شيء،

وهذا الإحساس يضيق به الواقع أحيانا ، فيحاول الشاعر أن يتجاوزه ، ويستعين في هذا التجاوز بالخيال ، وربما كان هذا الأخير الوسيلة الأولى التي يحلق بها الشاعر في أجواء بعيدة، فيحلم بأشياء لا يجدها في الواقع المحسوس « من وسائل التصوير

---

(1)–إحسان عباس . فن الشعر. ط3 . نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، د ، ت. ص :230 .

(2)– ينظر: مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . ط1 . دار مصر للطباعة ، 1974م . ص : 40 .

الشعري الأساسية، إذن هذا الإحساس الذي يشكل المنطلق الأول لملكات الشاعر المختلفة، بيد أن هذا الإحساس مهما بلغ من الحيوية لا يكفي في عملية التصوير، لأن الشاعر في أشد الحاجة إلى عمل داخلي يساعد على هضم الرموز التي يتلقاها من الطبيعة، وعلى تحويلها إلى أفكار وخواطر صالحة للتصوير، وهذه العملية الداخلية تحتاج– بالإضافة إلى الإحساس السالف– إلى هذا الشعور الذي يكون واسعا حينا، ودقيقا حينا آخر، فهو شعور باطني، من مهامه تحويل الأحاسيس التي تثور في نفس الشاعر إلى مشاعر نرمز إلى هذه الأحاسيس ويعبر عنها تعبيرا غير مباشر»[1] .

« والصورة هي أداة الخيال ووسيلته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها فعاليته ونشاطه»[2] .

« وعلى الرغم من أنه يصعب على كل باحث في مجال النقد الأدبي أن يقدم مدلولا قاطعا مانعا لمصطلح الصورة، لذلك فإن مصطلح الصورة يستعمل في أكثر من *مجالات المعرفة الإنسانية، ويتخذ في كل منها مفهوما خاصا »[3] .*

وإذا توغلنا في تراثنا العربي، ألفينا الحصول على مفهوم شامل للصورة أمرا متعذرا، فقد اختلط البحث البلاغي في الصورة بمباحث عقدية وكلامية وفلسفية، إلا أنه كان هناك شبه إجماع لدى البلاغيين على أن الصورة ليست سوى تجسيد للمعنوي في صورة حسية، يقول **عبد القاهر الجرجاني** « وإذا نقلتها (أي الحواس في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض إلى المدرك بالحواس) فأنت كمن يتوسل إلى الغريب بالحميم وللجديد الصحبة بالحبيب القديم »[4] .

فالمعنى عند البلاغيين دقيق، لطيف، يحتاج في إدراكه إلى تقريب وتيسير، فتأتي الصورة لتجسد هذا المعنوي المدرك بالعقل في صورة إدراك حسي، « فأجلي ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تكون تخرجها من خفي إلى جلي ،

---

[1]– محمد مصايف. جماعة الديوان في النقد . ط1. مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر،1974م . ص :40

[2]– عبد الخالق محمود . شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث. ط3 . دار المعارف ، القاهرة ،1984م . ص : 105

[3]– المصدر نفسه . ص :106

[4]– عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز . ص :204

وتأتيها بصريح بعد مكنى وأنت تردها بالشيء تعلمها إياه إلى آخر بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام »[1] .

فما يدرك بالعقل، وهو المعنى يمتاز رغم طاقته ودقته بالثبات والدوام. وما يدرك بالحس وهو اللفظ بأنه متغير متحول. « كان المعنى يرتبط عند البلاغيين بفكرة الثبات، وكان يرتبط في بعض الدراسات الفلسفية بكلمة العقل، وكانت العقل ترتبط هي الأخرى بكلمة الإلهي، واللفظ في نظر بعض الفلاسفة لا ثابت، وهو مرتبط بالطبيعة، والطبيعة آثار يتلو بعضها بعضا»[2] .

والمعاني للطفها ودقتها محدودة، معروفة لدى الجميع، وكل الذي يقوم به الشاعر هو تقديم تلك المعاني المعروفة بشكل مزين، وتلك هي القيمة الأساسية للتصوير. قال **الجاحظ** «المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[3].

فالصورة الفنية ، وفقا لهذا المفهوم لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، بل إنها يمكن أن تحذف دون أن تغير الهيكل الذهني المجرد للمعنى .

وخلاصة القول في مفهوم الصورة الشعرية عند القدماء ، إنها وسيلة يتخذها الشاعر لإيضاح أو تجسيد معنى موجود سلفا ، ولم يدرك البلاغيون القدماء « أن الشاعر تفاعل حس ولغة ، وكونه كذلك يعني أن الشاعر يحاول دائما أن يكتشف طبيعة الانفعالات الغامضة والمراوغة التي تؤرقه من خلال اللغة ، واللغة بهذا المعنى ليست وعاء للفكر، إنها الوسيلة التي تكتشف بها الفكرة الشعرية ذاتها وتعدل بها من طبيعتها ، إنها وسيلة الشاعر وأداءه في الاكتشاف والتحديد والتعرف ، ولا يرجع نجاح

(1)–عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد . أسرار البلاغة ، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، د ، ت ، صص : 234– 235 .

(2)–مصطفى ناصف . اللغة بين البلاغة والأسلوبية . النادي الأدبي بجدة ، السعودية ،1987 . ص :295.

(3)– الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان .ج3 ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون . ط1 .القاهرة ، 1938 م . صص :131– 132 .

الشاعر في سيطرته على تجربته وتمكنه منها إلا تكوين علاقات لغوية جديدة تتكشف من خلالها التجربة ويتحدد بها الفكر ذاته »[1] .

وقد خصص البلاغيون لدراسة وسائل الصورة وسبلها، علما قائما بذاته من علوم البلاغة، هو علم البيان، وقد تمحورت أبحاث البيانيين حول أربعة مباحث رئيسية هي: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل. لكن هؤلاء البيانيين لم يفرقوا بشكل واضح بين ما هو شعري وما هو نثري من هذه الأساليب، أو بين ما هو واقعي وخيالي منه،أو – بعبارة أخرى – بين ما يسهم إسهاما فعليا في خلق الصورة الشعرية

وقد وردت لفظة " **صورة** " في القرآن الكريم في قوله– عزوجل–:

﴿**هُوَ الذِي يُصوِّركُم فِي الأرْحَامِ كيفَ يَشَاءُ** ﴾ [2].

وقوله أيضا: ﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدلكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [3].

لقد كانت هذه أهم تصورات النقاد للصورة ، فما هي إذن أساليب تجسيدها لدى الشاعرين الأندلسيين ابن الخطيب وابن جابر؟.

لقد كانا مصورين بارعين، يملكان القدرة على تصوير المطبوع، ينقلان الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال، شأنهما في ذلك شأن الشعراء المشرقيين الذين عرفهم الأدب العربي من أصحاب الملكة المطبوعة في التصوير، وهي شهادة لهؤلاء الشعراء لما يمتلكونه من قدرة خارقة لوصف ورسم صور شعرية، وأساليب التجسيد لها عندهم هي مزيج من عناصر البيان الخادمة للخيال، ونورد بعض ما جاء منها .والبداية تكون في أكثر الأوجه البلاغية حضورا في نصوص شعر المدائح النبوية

[1]– جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي . ص : 229 .
[2]– سورة آل عمران ، الآية : 06
[3]– سورة الانفطار ، الآية : 08 .

1–الصورة التشبيهية: لقد نال التشبيه اهتماما كبيرا من قبل اللغويين والبلاغيين، وحاولوا وضع تعريفات دقيقة له، كما حاولوا استقصاء دروبه وأشكاله . فالتشبيه هو« الدلالة على مشاركة أمر لأمر المعنى »[1]،أو هو« تشبيه شيء بشيء لحصول اشتراك صفة المشبه به في المشبه ، ويشترط أن تكون من أهم وأظهر صفاته وألصقها به »[2]

ويطول بي الأمر لو حاولت مجاراة القدماء في حديثهم عن التشبيه أو تقسيمهم لأضربه، ولكنهم كانوا ينظرون إلى التشبيه بوصفه نوعا من المقاربة أو الربط بين المتماثلات، لكن ذلك الربط لا يكون معه تفاعل أو تداخل بين أطراف التشبيه. قال الجاحظ:« إن التشبيه يفيد الغيرية لا العينية، وإن التشبيه لا يخرج المتشابهات من أحكامها وحدودها»[3]. ومن بين تعريفات التشبيه الهامة التي وضعها القدماء، وجود الأداة أو عدم وجودها، وتقسيم التشبيه بالنظر إلى طرفيه إلى الحس والعقل...إلخ .

وأول ما يلفت الانتباه في المدائح النبوية هو استخدام الشاعرين الأندلسيين لثلاث أدوات التشبيه وهي : الكاف ، كأن ، مثل . بالرغم من أن أدوات التشبيه متعددة ، منها ما هو حرف كالكاف ، ومنها ما هو فعل كـ (يشبه ، يماثل ، يعادل ، يضارع...)،
وكل هذه الأدوات تلعب دورا في تشكيل الدلالة طبقا للسياق الواردة فيه .
ويعتبر التشبيه من الأدوات التي استعملها الشاعران للتعبير عن خلجات نفسهما وحنينهما، وينقلانها للسامع نقلا وجدانيا مؤثرا. ويعد علاقة من العلاقات الأساسية التي تبنى عليها الصورة، وتحول بين أيديهما إلى صور فاعلة مؤثرة تعبر عن أحاسيسهما وتفصح عن شوقهما،هذا الهدف الأسمى من الصورة التي عرفها **دي لويس** بقوله:«إن الصورة الشعرية هي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة»[4].

ولعل هذا ما عناه **كولردج** بقوله :« ليست الصور وحدها مهما بلغ جمالها، ومهما كانت مطابقتها للواقع، ومهما عبر عنها الشاعر بدقة هي الشيء الذي يميز الشاعرالصادق وإنما تصبح الصور معيارا للعبقرية الأصيلة حين تشكلها عاطفة سائدة،

(1)– الخطيب القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر . تلخيص المفتاح . مكتبة مصطفى البابو الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأخيرة . ص : 244 .

(2)– عبد القادر الجرجاني . الإشارات والتنبيهات. ص :111

(3)– مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . ص : 40 .

(4)– محمد حسن عبد الله . الصورة والبناء الشعري . ص : 173

وحين تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة، وبالتالي إلى لحظة واحدة، وحين يضفي عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية »[1]

وتحتل الصور التشبيهية جانبا كبيرا في المدائح النبوية ، وهذا ليس مستغربا، فالتشبيه أسلوب شائع في الشعر بعامة، والشعر العربي بخاصة، واستخدم الشاعران الأندلسيان هذا العنصر من التصوير البياني والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة.

وغالبا ما تتردد في أشعار ابن جابر وابن الخطيب عناصر التشبيه التي وظفت للتعبير عن المديح النبوي، على نحو ما نجد في قول ابن الخطيب:

وَلاَ كَمِثْلِ كِتَابِ اللَّـهِ مُعْجِزَةً تَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ إِنْ وَلَّى وإِنْ ذَهَبَا[2]

وقول ابن جابر:

وَكُنْ بِصحبِ رَسُولِ اللَّهِ مُقْتَدِيًا فَإِنَّهُمْ لِلْهُدَى كَالأَنْجُمِ الزُّهُرِ[3]

فطرفا التشبيه (الرسول)(كتاب الله) هما من الأشياء المحسوسة.

أما عن العنصرين الآخرين وهما: الأداة، ووجه الشبه، فقد كثر استعمال ابن الخطيب وابن جابر للتشبيهات المرسلة، حيث استخدما أدوات متعددة مثل(كأن، كما، مثل، الكاف،)

يقول ابن الخطيب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

فِدَاكَ فُؤَادٌ ضَمَّ حُبَّكَ حَبَّةً كَمَا يُودَعُ الْمَبْذُورُ فِي الأَرْضِ أَوْ يُطْرَحُ[4]

يقول ابن جابر

فَحَثَّهَا شَوْقُهَا فَبَاتَتْ كَالْبَرْقِ فِي سَيْرِهَا مَضَاءَ[5]

وفيما يخص وجه الشبه فقد كثر أن يعتمد الشاعران على التشبيهات المجملة بحيث لا يذكر فيها وجه الشبه، وقل أن يأتي وجه الشبه وذلك كقول ابن الخطيب .

وَلاَ كَيُوسُفَ مَوْلاَنَا الَّذِي كَرُمَتْ آثَارُهُ وَبَنِيهِ السَّادَةِ النُّجَبَا[6]

---

(1)– سيسل دي لويس . الصورة الشعرية ، تر، أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد ، العراق . ص :23 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:266 .

[3]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 215.

[4]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:380 .

[5]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 29.

[6]–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:266 .

وقول ابن جابر:

وَقَدْ كَانَ يَمْشِي الدَّوحُ لِلنَّاسِ آيَةً　　　كَمَا كَانَ مُوسَى بِالعَصَا قَبْلُ يَصْنَـعُ[1]

إن« أقوى مراتب التشبيه حذف أداته ووجه شبهه معا»[2]. حينئذ يمكن أن يتحقق العمق في التشبيه والتمازج في التصوير، فتنصهر الحواجز القائمة بين طرفي التشبيه، يقول ابن الخطيب:

وَإِنْ زَمَنٌ يَوْمًا عَرَتْهُ زَمَانَـةٌ　　　فَرَاحَتُهُ بُرْءُ الزَّمَانِ مِنَ السُّقْمِ[3]

يقول ابن جابر:

مِنْ وَجْهِ أَحْمَدَ لِي بَدْرٌ وَمِنْ يَدِهِ　　　بَحْرٌ وَ مِنْ فَمِـهِ دُرٌ لِمُنْتَظِمِ[4]

فهذا التصوير يجعل وجه الممدوح(الرسول ﷺ) كالبدر في ليل مظلم، ويده كالبحر، وفمه كالدر.

فقد وصل التشبيه هنا إلى حد« دعوى الاتحاد بين الطرفين؛ وعلى دعوى عموم الاشتراك بينهما»[5] .

ونتيجة لذلك فقد حاول بعض البلاغيين إخراج هذا النمط من التشبيه–أي التشبيه البليغ– من دائرة التشبيه إلى دائرة الاستعارة لقوة الاتحاد بين طرفي التشبيه[6] والذي يبدو أن هذا النمط من التشبيه« أقرب إلى إمكانية تحقيق وظائف الصورة من أنماط التشبيه الأخرى»[7].

---

[1]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 337.

[2]–الجرجاني، محمد علي لجرجاني.الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين.دار نهضة مصر، القاهرة،1981م.ص:200 .

[3]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:578 .

[4]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 499.

[5]– عبد العظيم المطعني. التشبيه البليغ.دار الأنصار القاهرة، 1980م. صص:7–8.

[6]– ينظر: عبد العظيم المطعني. التشبيه البليغ . صص:9–10.

[7]– صلاح فضل.علم الأسلوب:مبادئه وإجراءاته. ط3. نادي جدة الأدبي ، جدة ، 1988م. ص:361 .

2–الصورة الإستعارية: قال أرسطو:« إن الاستعارة هي أعظم في لغة الشعر لأنها تتضمن القدرة على ملاحظة التشبيه ... ثم مضى فقال : هذه الهبة لا يمكن أن تتعلم أو تنتقل من إنسان لآخر »[1] .

كانت هذه العبارة ذات آثار كبيرة في النقاد والشعراء، ومن بين تلك الآثار الهامة توجيه اهتمام النقاد بشكل قوي صوب الاستعارة، حتى أصحبت أروع الأعمال الأدبية– – في نظر النقاد– ليست سوى استعارات كبرى، كما أسهمت عبارة **أرسطو** السابقة في النظر إلى الاستعارة على أنها مجرد إدراك للتشابه ، ولذلك أصبح يتردد كثيرا في النقد عبارات مثل : الفكرة الأصلية ، و الفكرة المستعارة ، والمستعار منه والمستعار له ، و الربط بينهما هو وجود بعض التشابه بين كل طرفن من أطرافها .

وقد أصاب البحث البلاغي العربي كثيرا من آثار تلك العبارة، وغدا البحث في الاستعارة لا يعدو أن يكون امتدادا للبحث في التشبيه، ولم يدر بخلد البلاغيين « أن سمات الاستعارة انتهاك حرمة العلاقات السياقية، وفصم عرى الأواصر الاقترانية، والإجهازعلى التوقعات المألوفة،والإطاحة بالكلمات التي يجر بعضها بعضا بسبب العادات الإستعمالية، والاستنامة إلى دعة الترابطات المكرورة »[2] .

وقد عني البلاغيون عناية كبيرة بالنقل والإدعاء،و المذكور و المحذوف من أطراف الاستعارة، و المعني المجازي و المعني الوضعي، ولكنهم– في اعتقادي – لم يقفوا طويلا عند الجوانب التي يساهم كل طرف من طرفي الاستعارة في تكوين عالم جديد قائم على التلاحم بينهما .

فالاستعارة عند **السكاكي** هي:«أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثبات للمشبه ما يخص المشبه به»[3].

---

[1]– مصطفى ناصف . اللغة بين البلاغة والأسلوبية . ص :487.

[2]– صبري حافظ. جماليات الحساسية والتغيير الثقافي . مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،م6

،ع4، 1986 م . ص: 79 .

(3)– السكاكي ، أبو يعقوب يوسف . مفتاح العلوم . ط2 . مكتبة الحلبي، القاهرة ، 1990م . ص:58 .

واضح في هذا التعريف اعتماد **السكاكي** التشبيه واعتباره أصلا تبنى عليه الاستعارة . فالاستعارة – بإيجاز – ليست سوى تشبيه حذف أحد طرفيه .

والاستعارة عند **العلوي** « تصييرك الشيء بالشيء، وليس به، وجعلك الشيء للشيء ما ليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا إحكام »[1] .

وعلى الرغم من محاولة العلوي التوحيد بين طرفي الاستعارة ، فإن التشبيه هنا أيضا حاضر في الذهن ينازع الاستعارة عند **أبي هلال العسكري** : « نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض »[2] .

ويبدو من هذا التعريف أنه يتجاهل التشبيه تماما، وينظر إلى الاستعارة بوصفها انحرافا عن النمط اللغوي المعروف، وهذا جانب مهم إلى حد كبير، لأن الاستعارة أوسع من أن تكون انحرافا أو تجاوزا لنمط مألوف. ودقق البلاغيون النظر في أبنية الاستعارة وصنفوها إلى أقسام كثيرة كالاستعارة التصريحية ، التجريدية و الترشيحية ، والاستعارة الأصلية والتبعية...إلخ . والمقصود منها عند **الرماني** « هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة، على سبيل النقل »[3] .

وقد حاول بعض البلاغيين **كعبد القاهر الجرجاني** تحويل نمط البحث في الاستعارة من تأملها من الخارج (أي النظر إليها من حيث طرفاها) إلى التوغل في أعماق الأشياء لكن « رغم أن أفكار عبد القاهر عن الاستعارة تعد إنجازات هامة على المستوى التاريخي، وهي بمثابة إضافات هامة على مستوى التأصيل النقدي . فعلينا أن نلاحظ أن ما أحدثه **عبد القاهر** بهذه الانجازات وهذه الإضافات لم يكن بمثابة الانقلاب الجذري الذي يقلب المفاهيم الأساسية رأسا على عقب ، فبعد القاهر يتحرك من البداية إلى النهاية في بحث الاستعارة على أساس من الأصول القديمة التي يسلم بها الجميع منذ القرن الثالث والتي تبلورت خلال القرن الرابع بوجهة خاصة ، وأعني بهذه

---

(1)– العلوي ، يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج1 . دار المقتطف، مصر، 1914م . ص : 198

(2)– أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين ، تح، جابر قميحة، دار الكتب العلمية،

بيروت ، د ، ت . ص:295

[3]– ابن حجة الحموي . خزانة الأدب وغاية الأرب . ص : 109

الأصول المسلمات التي تجعل الاستعارة من قبيل العرض الحسن ، بمعنى نثري يمكن أن يقوم دونها ، هذه من جهة ومن جهة أخرى تجعل العلاقات بين طرفي الاستعارة محصورة في علاقة مقارنة ضيقة تقوم على المشافهة دون أن تنظر إلى الطرفين من خلال مبدأ يسلم بتفاعل بين الدلالات ، وهي أخيرا تجعل حركة الشاعر في الانتقال بين المعاني أشبه بالحركة المنطقية الجامدة »[1] .

لقد استخدم النقد القديم كما كبيرا من المصطلحات التي تتحد فيما بينها للحد من إظهار التفاعل بين طرفي الاستعارة، والتقليل مما يمكن أن تسهم به من أفكار جديدة، ورؤى خصبة. « فكلمة مثل المستعارة له توحي إننا أمام فكرة أصلية، كل شيء آخر في خدمته، كذلك توحي كلمة المستعارة إن وظيفة العملية المعقدة التي ندرسها تنحصر في نوع معين من العلاقة »[2] .

فكل مستعار ومستعار له تتضمنه خصال مشتركة، كما تميزه خصال أخرى مختلفة متباينة فالتباعد والتقارب بين طرفي الاستعارة هو مجال في حد ذاته. « فإذا أخذنا مثلا استعارة تحقيقية كما يقول **الجرجاني** مثل " رنت لنا ظبية " وتعني بذلك امرأة جميلة، فإن المرأة فيها هي بداية الانطلاق، والظبية هي الغاية، والمجال هي المنطقة التي تقع فيها كل الخصائص والصفات المادية من حسية وبصرية، والمعنوية من مفاهيم وتصورات بين طرفي الاستعارة ككونهما حيوانين من الحيوانات يتسمان بالرقة والرشاقة واتساع العينين وليونة القد »[3] .

والعملية الاستعارية تقيم تخلخلا على مستوى بنية الجملة ، فترى الفعل يسند إلى ما ليس له في الحقيقة، وتوصف الأسماء بما لا يأتي لها أن توصف به في الواقع ، وقد يضاف الاسم إلى ما لا صلة له في الطبيعة، فالشاعر هو الذي يخلق استعارته على المستوى اللغوي .

---

[1]– جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي . ص: 176 .

[2]– مصطفى ناصف . اللغة بين البلاغة والأسلوبية . ص : 476

[3]– صبري حافظ . جماليات الحساسية والتغيير الثقافي . مجلة فصول . ص :79 .

يقول ابن الخطيب في مدح سيد الخلق :

أَقْرَضْتُ فِيكَ اللَّهَ صِدْقَ مَحَبَّتِي   أَيَكُونُ تَجْرِي فِيكَ غَيْرَ رَبِيحِ[1]

ففي هذا البيت تصوير اعتمد على الاستعارة، حيث استعار (التجر) لما قام به من أعمال توجب محبة الرسول ﷺ، وكذلك استعار (الربح) لثواب وأجر الآخرة .

وقال في قصيدة ميلادية يمدح الرسول ﷺ:

وَقُلْتُ لِجَفْنِي إِنْ دُعِيْتَ لِعِبْرَةٍ   فَسَاعِدْ بِهَا مَطْلُ الْغَنِيِّ مِنَ الظُّلْمِ

إِذَا النَّفْسُ أَبْدَتْ فِيهِ صنًا بِجِسْمِهِ   تَقُولُ لَهَا الأَشْوَاقُ: أَلْقِهِ فِي الْيَمِّ[2]

أما ابن جابر فقد وظف مجموعة استعارات. يقول:

لاَ تُنْفِقِ الْعُمْرَ سِوَى فِي حُبِّ مَنْ   هُو الَّذِي فِي سَنَنِ الْحَقِّ جَرَى[3]

حيث شبه العمر بالمال ، حذف المشبه به ، وترك أحد من لوازمه (الإنفاق) على سبيل الاستعارة المكنية .

وكذلك في قوله:

فَاسْأَلْ وَفَاتَكَ فِي مَحَلِّ ضَرِيحِهِ   فَعَسَاكَ تُحْشَرُ فِي حِمَايَةِ حِزْبِهِ[4]

شبه الوفاة(الموت) بإنسان يسأل، حذف الإسان وترك أحد لوازمه (اسأل) .

من خلال ما سبق نستنتج أن الأندلسيين تعاملوا مع هذا النوع من الصور (الاستعارة) بشيء من الرحابة والسعة، لأن أساسها التعبير عن أحاسيس عميقة في نفوس هؤلاء الشعراء المتشوقين، فكانت الاستعارة التي يقول عنها **مصطفى ناصف** :« تعتمد على ما في الكلمة من جمل أو من خصب كامن»[5]. وهي« إلهام غريزي يكشف عن عناصر الشبه بين الأشياء التي لا صلة بينها، وتؤدي بذلك إلى إدراك شعوري أو بصري نافذ »[6] .

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 383.

[2]– المصدر نفسه . ص: 575.

[3]– ابن جابر . ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 47.

[4]– المصدر نفسه . ص: 67.

[5]–مصطفى ناصف. الصورة الأدبية . ط1 . دار الأندلس للطبع والنشر ، بيروت ، د ، ت . ص : 125

[6]– إليزابيث درو . الشعر كيف نفهمه ونتذوقه . ص :61 .

3-الصورة الكنائية :

إذا كانت الصورة التشبيهية تضع بين قارئها أو سامعها معطياتها مباشرة، بلا تعمية ولا غموض وترتكز في إغناء أبعادها على الألوان والمحسوسات، وكذا الصورة الاستعارية التي تعتمد على الفواصل اللغوية، وبالتالي نجد إقبال الشعراء والأدباء على هذين الوجهين البلاغيين عظيما ومتسع الأرجاء قديما وحديثا.« فإن الصورة الكنائية تقوم على نوع آخر من الحيوية التصورية، فهناك أولا : المعنى أو الدلالة المباشرة الحقيقية ثم يصل القارئ أو السامع إلى (معنى المعنى) وهي العلاقة الأعمق فيما يصل إلى التجربة الشعورية والموقف»[1] كما يقول "فايز الداية" .

وقد كان عبد القاهر الجرجاني السباق في فهم الصورة الكنائية وباقي العناصر البيانية . وعنه أخذ البلاغيون ثم أكدوا مفهومه،ونقلوا شواهده أحيانا ولم يتجاوزوها. يقول عبد القاهر«أولا ترى أنك إذا قلت: وهو كثير رماد القدر أو قلت طويل النجاد، أو قلت في المرأة نؤوم، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ. ولكن يدل على معناه الذي يوجبه ظاهرة، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى،- على سبيل الاستدلال- معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماد القدر (أنه مضياف)، ومن طويل النجاد (أنه طويل القامة)، ومن نؤم الضحى في المرأة(أنها مترفة مخدومة) لها من يكفيها أمرها»[2]

فقد وظف ابن جابر وكذا ابن الخطيب الكثير من الكنايات في مدائحها النبوية، والتي نذكر منها على وجه الاستدلال. يقول ابن جابر:

لِجَاهِكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَوَجُّهِي إِذَا الأُمُّ فِي شُغْلٍ عَنِ الرُّضَعَاءِ[3]

كناية عن يوم القيامة .

ثُمَّ نَوَى مُلَبِّيًا ثُمَّ مَضَى حَتَّى رَأَى ذَاتَ السَّنَاءِ وَالسَّنَا[4]

كناية عن الكعبة الشريفة .

---

(1)- فايز الداية . جماليات الأسلوب. ط2 . دار الفكر المعاصر، دمشق،1996م. صص: 141-143.

(2)- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز، تحقيق: رضوان الداية وفايز الداية. ط2 . مكتبة سعد الدين، دمشق،1985م. ص: 258.

(3)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 38.

(4)- المصدر نفسه . ص : 53.

وَقَابَ قَوْسَيْنِ كَـانَ قُرْبـًا   عِزًّا مِنَ اللَّـهِ وَاحْتِفَـاءَ[1]

كناية عن القرب .

أُولَئِكَ قَدْ حُفَّتْ شَفَاعَتُهُ لَهُمْ   غَدَاةَ يُنَـادِي لاَتَ حِينَ مَنَـاصِ[2]

كناية عن يوم القيامة .

بِهَا مُشْبِعُ الْجَيْشِ بَعْدَ الطَّوَى   بِمَـا وَاحِـدٌ مِنْـهُ لاَ يشبـعُ[3]

كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وَيَا حَبِيبًا بِذَاتِ النَّخْلِ مَنْزِلُهُ   لَقَدْ نَجَا كُلُّ مَـنْ آوَاكَ وَاتَّبَعَكَ[4]

كناية عن المدينة المنورة .

أما معاصره ابن الخطيب، فوظف حتى هو مجموعة من االكنايات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. قوله :

فُؤَادٌ عَلَى جَمْرِ الْبِعَادِ مُقَلَّبٌ   يُمَـاحُ عَلَيْـهِ للدُّمُوعِ قَلِيـبُ[5]

كناية عن الشوق إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم:

ويقول أيضا:

بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ الوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ   قُصُورٌ بِبُصْرَى ضَاءَتْ الـهَضَبَ وَالْوَهْدَا[6]

وهي كناية عن عظمة مولد خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم

ويقول كذلك:

وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلاَدِ أَكْبَرُ آيَـةٍ   تَخِرُّ الْجِبَـالُ الرَّاسِيَـاتُ لَـهُ هَـدًّا[7]

كناية عن عظمة ليلة مولد النبي الأعظم.

---

(1)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ص:30.

(2)– المصدر نفسه . ص : 287.

(3)– المصدر نفسه . ص : 331.

(4)– المصدر نفسه . ص : 401.

(5)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 323.

(6)– المصدر نفسه . ص: 478 .

(7)– المصدر نفسه . ص: 483 .

4-الصورة البديعية:

عنصر البديع وهو ركن أساسي « وواحد من أساليب تحسين الكلام وتزيينه وطرق تجميله بما يزيده رونقا وبهاء ، والمحسنات منها ما هو معنوي ، ومنها ما هو لفظي، وجميع المحسنات إنما إذا جاءت مطبوعة من غير تكلف أو تصنع »[1].

وقد كان كتاب البديع في بعض النماذج نوعا من التلاعب اللفظي الحالي من أي مضمون حضاري. وقد كان كتاب "**البديع**" للناقد "**ابن المعتز**" أول محاولة لتدوين أسس المذهب الجديد، وعلى الرغم من أننا لا نجد تعريفا واضحا للبديع، لأنه يريد من تأليف كتابه « أن يثبت أن الأسلوب الجديد في تشبيهاته واستعاراته وكناياته ومجازاته، لم يأت به شعراء الاتجاه الجديد كما يعتقدون دائما، فعناصر هذا الأسلوب تصادفنا في القرآن الكريم وفي لغات البدو »[2].

ويتضح ذلك من خلال قول المؤلف نفسه :« إنما غرضنا بهذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع »[3] .

وقد تلت هذه الجهود التي بذلها **ابن المعتز**، جهود أخرى عملت على تدقيق النظر في أساليب البديع باعتباره علما متمما للثالوث البلاغي العربي.

وأول ما نلاحظه على تلك الجهود، هو نظرتها لعلم البديع، واعتباره علما إضافيا يتلو في الأهمية علمي البيان والمعاني . فعلم البديع هو« علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»[4].

« إن التزيين ليس أمرا إضافيا هامشيا بالضرورة، صحيح إن الزينة أمر لاحق يعرض ويعنى ، إنه مضاف من الخارج إلى الطبيعة التي نقصدها. غير أنها طالما تتحقق

---

(1)- عبد الرزاق عبد المطلب . الجديد في النحو والبلاغة . ط2 . دار شريفة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995م . ص :59

(2)- إغناطيوس كراتشوفسكي . البديع العربي في القرن التاسع . تر، مكارم الغمري ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مج 6 ، ع1 ، 1985 م . ص :101

(3)- ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي . البديع ، تح ، عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الحلبي، 1945 م. ص : 36

(4)- عبد القادر حسين . فن البديع . ط1 . دار الشروق ، القاهرة ، 1983م . ص : 23

تلتحم بالموضوع، ذلك أن من الزينة ما يبدو وكأنه بعض من الطبيعة ذاتها »[1].

وبناء على تلك التفرقة ، قسم البلاغيون ظواهر البديع إلى محسنات لفظية كالجناس، السجع، والتصريع ، ومحسنات معنوية كالطباق والمقابلة والتورية وغيرها ، والتي يرى علماء البلاغة أنها هي التي«تزيد المعنى حسنا، إما بزيادة تنبيه على شيء، أو بزيادة التناسب بين أجزاء الكلام»[2]. مع أنه لا توجد- في الحقيقة- ظاهرة لغوية إلا وهي لفظية ومعنوية في آن واحد .

وتعد العناية بالشكل ، والقصد إلى تكثيف أشكال البديع ، ملمحا شعريا بارزا في شعر المديح النبوي عند ابن الخطيب وابن جابر.

4-1-التصريع:

اعتمد الشاعران على التصريع، وخاصة ابن الخطيب حيث أننا قل أن نجد مدحة يبدأها دون أن يعتمد على التصريع، وهذا « دليل على البلاغة والاقتدار على الصنعة »[3]. وقد لاحظ الشاعران الوظيفة الدلالية التي يتمتع بها التصريع، والتي شرحها ابن رشيق القيرواني بقوله :« وسبب التصريع مبادرة القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور ولذلك وقع في أول الشعر»[4] .

يقول ابن الخطيب في صدر رسالة كتبها عن السلطان الغني بالله إلى الضريح النبوي:

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ   وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبُ[5]

وأنشد في ميلاد رسول الله ﷺ:

دَعَا عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَالْوَخْدَا   وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّي وَالْوَجْدَا[6]

وهذا لا يعني أن ابن الخطيب أتى بالتصريع في مقدمة المدائح النبوية فقط، بل لقد ــــ

(1)- عاطف جودة ناصر . البديع في تراثنا الشعري . مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة ، مصر، مج4، ع2 ، 1984م . ص : 76

(2)- عبد القادر حسين . فن البديع . ص : 44 .

(3)- التنوخي، أبو يعلى عبد الباقي التنوخي . كتاب القوافي، تحقيق: عمر الأسعد ومحي الدين رمضان.ط1. دار الإرشاد، بيروت، 1970م. ص : 65.

(4)- ابن رشيق . العمدة ، ج1. ص: 173 .

(5)- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 320.

(6)- المصدر نفسه . ص : 479 .

استخدمه عندما أراد التخلص من مقدمة خمرية غزلية لمدحة نظمها في السلطان أبي عبد الله؛ ليلفت نظر الممدوح فقال:

دَعْ عَنْكَ هِنْدًا وَالدِّيَارَ وَمَنْ بِهَا ... ودَعِ الْغَرَامَ يَكُونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا
وَانْهَضْ بِمَدْحَتِكَ الَّتِي حَلَّيْتَهَا ... بِثَنَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَ هَاتِهَا[1]

أما ابن جابر فقد جاءت مدائحه مملوءة بالتصريعات ونذكر منها قوله :

رَحَلُوا فَكَيْفَ يَطِيبُ بعدُ ثَوَاءُ ... أَمْ هَلْ لِدَاءِ الشَّوْقِ مِنْكَ دَوَاءُ
أَنُورُ خَيْرِ الْوَرَى أَضَاءَ ... أَمِ الصَّبَاحُ الْمُنِيرُ جَاءَ
بَادَرَ قَلْبِي لِلْهَوَى وَمَا ارْتَأَى ... لَمَّا رَأَى مِنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى
دَاءُ الأَسَى فِي الْقُلُوبِ قَدْ نَفَثَا ... وَالقرْبُ نِعْمَ الدَّوَاءُ لَوْ حَدَثَا
شَوْقٌ بِأَثْنَاءِ الضُّلُوعِ تَأَجَّجَا ... طَرَدَ الكَرَى عَنْ مُقْلَتِي وَأَزْعَجَا[2]

فبعد تفحصي لديوانه" نظم العقدين في مدح سيد الكونين" عثرت على معظم قصائده اعتمد عليها على التصريع، وهي تبدو كثيرة جدا إلى ما قورنت بنظيرتها لابن الخطيب .

4-2-الجناس:

مصدر(جنس) و« الجنس هو الضرب من الشيء، وهو أعم من النوع »[3] وفي الاصطلاح البلاغي هو تشابه اللفظتين في النطق تشابها تاما أو جزئيا واختلافهما في المعنى . وهاتان اللفظتان تسميان ركني الجناس[4] .

ويعتبر الجناس- كما ذكرنا- أكثر المحسنات اللفظية حضورا في شعر الحنين، وتتفاوت نسبة وروده من شاعر لآخر. وقد جاء الجناس في بعض قصائدهم متكلفا، وفي بعضها الآخر غير ذلك، فنجد بعض الشعراء قد تناولوه في أشعارهم باعتدال، فلم يكن تكلفا أو تصنعا، إنما جاء عفو الخاطر[5] .

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:327 .

[2]- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :23-29-39-115-121.

[3]- أبو بكر الرازي ، أبو بكر محمد بن يحي بن زكريا . إيضاح مختار الصحاح ، مادة جنس ، حرف الجيم . ط1. تحقيق، وهبة الزحيلي ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،1997م . ص:73.

[4]- ينظر : عبد العزيز عتيق . علم البديع . ص :187 .

[5]- ينظر: محمد أحمد دقالي . الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري) . ص:505

فالشاعران عمدا إليه بغية أن يكون نظمهما بطريقة موسيقية أكثر تجانسا وجلبا للأسماع، ولما يحدثه هذا العمل الفني من تجانس وإيقاع، نذكر من ذلك قول ابن الخطيب:

أَيَا خَاتِمَ الرُّسْلِ الْمَكِينَ مَكَانُهُ حَدِيثُ الْغَرِيبِ الدَّارِ فِيكَ غَرِيبُ

فُؤَادٌ عَلَى جَمْرِ الْبِعَادِ مُقَلَّبٌ يُمَاحُ عَلَيْـهِ للدُّمُـوعِ قَلِيـبُ

فَوَاللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَلَهُّبًا أَأَبْصَرْتَ نَارًا ثَارَ عَنْـهُ لَهِيبُ

هَذِهِ الْجَزِيرَةُ لاَ تَزَالُ عَزِيزَةً مَحْفُوظَةً بِكَ يَا إِمَامَ وُلاَتِـهَا[1]

فالملاحظ في هذه الأبيات أنها احتوت كلها على محسن الجناس، حيث جانس بين لفظتي (الغريب)و(غريب)،(مقلب)و(قليب)،(تلهبا)و(لهيب)،(الجزيرة)و(عزيزة).مما يدل على شدة ولعه بهذا اللون من البديع اللفظي .

وقد تمحور البناء التجنيسي عند ابن جابر في أبياته هذه :

فَيَا طِيبَ أَوْقَاتِـي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا وَلِلرَّكْبِ أَصْوَاتٌ لَدَى الثجِّ وَ العجَ

أَغَرُّ كَرِيمٌ منْ ذُؤَابَـةِ هَاشِمٍ جَلِيلٌ جَمِيلُ الْوَجْـهِ أَبْيَضُ أبلَـجُ

اللَّـهُ فَضَّلَـهُ وَفَضَّلَ فَضْلَـهُ لِلْمُرْسَلِينَ بِكُتْبِـهِ فَتَبَلَّجَـا

جحدُوا فَكَمْ جهدُوا لِمَحْوِ الحَقِّ إِذْ حسدُوا وَكَمْ حشدُوا فَقَرُّوا حِينَ جَا[2]

فالمتتبع للأبيات السابقة يجد أن الشاعر قد استخدم الجناس في كل بيت منها، فقد جانس بين(الثج)و(العج)،(جليل)و(جميل)،(فضله)و(فضله)،(جحدوا)و(جهدوا)،(حسدوا)و(حشدوا).
فابن جابر من الشعراء الذين وظفوا هذا اللون من البديع في شعرهم وأكثروا منه، ولذا فقد اكتفيت بإعطاء شواهد للدلالة على ذلك .

4-3-الطباق والمقابلة:

الطباق عند النقاد القدامى: الجمع بين الضدين في النثر أو الشعر[3] وتسمى مطابقة، وتضاد، وتكافؤ. والمقابلة:« أن يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فأكثر، ثم بأضدادهما،أو غيرهما على الترتيب »[4] .

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 323-328.

(2)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :126-127-130-131.

(3)– ابن رشيق . العمدة ، ج2. ص: 05 .

(4)– عبد القادر حسين . فن البديع. ط1. دار الشروق ، بيروت، 1983م. ص :44 .

فالطباق والمقابلة محسنان شبيهان، لأنه ذكر الشيء، وما يطابقه أو يضاده لا يختلف بين ذكر الشيء وما يقابله،والفرق بينهما أن الطباق يكون بين لفظين متضادين والمقابلة تكون بأكثر من ذلك. ومن خلال تتبعنا لنصوص شعر المديح النبوي عند ابن الخطيب وابن جابر في هذه الفترة وجدت أن هذين المحسنين قد برزا بشكل واشح ومتميز .فمن ذلك ما يرد قول ابن الخطيب:

وَأَنْتَ مَلاَذُ الْخَلْقِ حَيًّا وَمِيِّتًا وَأَكْرَمُهُمْ ذَاتًا وَأَعْظَمُهُمْ مَجْدًا(1)

حيث جمع بين(الحي)و(الميت) وهما ضدان تعبيرا عن تعظيمه للرسول خير الأنام.

وقوله كذلك:

فَلَوْلاَكَ مَا بَانَ الضَّلاَلُ مِنَ الهُدَى وَلاَ امْتَازَ فِي الأَرْضِ الْمُكِبُّ مِنَ الأَهْدَا

وَإِذَا النَّهَارُ جَلَّى الظَّلاَمَ وَأَتْلَعَتْ مِنْ مِيسَمِهَا الْغَزَالَةُ جِيدًا(2)

فقد جمع في البيتين بين لفظتين متضادتين هما(الضلال)و(الهدى)،(النهار)و(الظلام) وهذا ما يعرف بالمطابقة في الشعر. أما المقابلة فنجدها في قوله:

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَنِ وَالنُّورِ الَّذِي أَخْفَى الضَّلاَلَ وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا(3)

فقابل في البيت بين الضلال المخفي والتوحيد الظاهر، تعبيرا عن حنينه وشوقه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

وتتردد في المدائح النبوية لابن جابر الكثير من ألوان البديع،فمن الطباق ما نجده في قوله:

شَفَاعَتُكَ العُظْمَى دَوَاءُ خَطِيئَتِي وَلَوْ جِئْتُ مِنْ جُرْمِي بِأَعْظَمِ دَاءِ

وَرَأَى المَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ إِذْ لَهُ زُوِي الوُجُودُ بِشَرْقِهِ وَغَرْبِهِ

دَاءُ الأَسَى فِي القُلُوبِ قَدْ نَفَثَا وَالقُرْبُ نِعْمَ الدَّوَاءُ لَوْ حَدَثَا

فَحُقَّ بِهِ حَقٌّ وَأُبْطِلَ بَاطِلٌ وَأُدْهِشَ ذُو عَقْلٍ وَأُخْرِسَ مُفْصِحُ

وَعَلَى صَحَابَتِهِ الأُلَى لِلْكُفْرِ فِي شَرْقٍ وَفِي غَرْبٍ بِهِمْ تَدْوِيخُ(4)

توالت المطابقات في هذه الأبيات، فقد جمع في البيت الأول بين لفظين متضادين

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 481.

(2)– المصدر نفسه . صص :482–487 .

(3)– المصدر نفسه . صص :486 .

(4)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :38–68–115–141–151.

وهما:الداء والدواء، وفي البيت الموالي جمع بين:المشارق والمغارب، وكذا بين شرقه وغربه.وفي البيت الثالث بين: الداء والدواء، وفي البيت الرابع جمع بين لفظتي: الحق والباطل، وفي البيت الأخير جمع بين:شرق وغرب.

أما المقابلة عند ابن جابر فيمكن الاستشهاد بالأبيات التالية:

عَجبتُ لِلأَيَّامِ مَنْ عَزَّ بِهَا — ذَلَّ وَمَنْ يَضْحَكُ لَهَا يَوْمـًا بَكَـى

سَمَاحُكَ كَمْ أَغْنَى مِنَ الْفَقْرِ آملاً — وَ أَمَّنَ مِنْ خَوْفٍ وَسَهَّلَ مِنْ صَعْبِ

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ تَسْرِي وُفُودُنَا — فَتُدْنِي وَمَا تُنْئِي وَتُؤْوِي وَمَا تُرْجِي[1]

ومن الملاحظ أن الطباق والمقابلة قد تأتيان من خلال ذكر الحكم التي يستقيها الشاعر من خلال تجاربه في الحياة وإلمامه بالثقافات والعلوم المختلفة، على نحو ما نجد في قوله:

الْجُودُ يُعْلِي الْمَرْءَ وَالْبُخْلُ لَقَدْ — يَحُطُّ عَنْ رُتْبَتِـهِ مَنِ ارْتَقَى

إِنَّ الغِنَى طِبٌّ لِعِلاَّتِ الْفَتَـى — وَالْفَقْرُ دَاءٌ لاَ تُدَاوِيـهِ الرُّقَـى[2]

فقابل بين (الجود، البخل) وبين (يحط، ارتقى)، وبين (الغنى، الفقر) وبين(طب، داء).

ومن خلال النصوص التي جمعها نجد أن الشاعرين الذين تناولناهم بالدراسة قد طرقوا هذين اللونين من المحسنات البديعية المعنوية في أشعارهم .

---

(1)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :50-75-126 .

(2)- المصدر نفسه . صص :58-59 .

5-بناء الموسيقى: الوزن أو الموسيقى عنصر جوهري لا ينفصل عن العناصر الأخرى المكونة للقصيدة وهو ليس مجرد قالب خارجي تصب فيه التجربة، وإنما هو جزء لا يتجزأ من الإنتاج الشعري[1]. وقد أعطى كولردج أهمية كبرى للوزن، فكان يؤمن بأن الوزن والتجربة توأمان يولدان معا في لحظة واحدة، كما اعتبر الوزن وليد الخيال وهبة من هباته فقال:« أما الإحساس بالمتعة الموسيقية بالإضافة إلى القدرة على توليد هذا الإحساس لدى الغير فإنما هي هبة الخيال وحده »[2] . ورأى كولردج أن مصدر الوزن هو العاطفة أو الانفعال:« بمعنى أن الذي يختار الوزن الشعري انفعال الشاعر نفسه، فعندما تثور في نفس الشاعر عاطفة جياشة تلجأ إلى الوزن أو الموسيقى لأنها أقرب الوسائل للتعبير عن العواطف المشبوبة،ولأنها هي الأخرى بدورها أكثر الوسائل قدرة على تبليغ العاطفة وإثارتها عند القارئ أو السامع »[3].

والوزن عنصر فعال يمتزج بالعناصر الأخرى ويتفاعل معها، فهو يؤكد المعنى، ويتولد عن العاطفة أو الانفعال، والعاطفة بدورها تؤثر في الوزن ويتفاعل الوزن أيضا مع اللغة ويرتبط بها ارتباطا وثيقا،« فإن جزءا هاما من موسيقى الشعر نابع من علاقات اللغة وأصواتها ونبراتها وما تحمله تلك النبرات والأصوات من مشاعر. ومن هنا نشأت العلاقات العضوية الحية بين الوزن وبين غيره من مقومات العمل الفني»[4].

وللوزن تأثير كبير في نفس القارئ أو السامع، فهو يزيد من انتباهه ومن قدرته على الاستجابة والتأثير،ويخلق فيه إحساسا بالحيوية والمتعة،غير أن الوزن لا يستطيع بمفرده أن يؤثر تأثيرا قويا في نفس القارئ ما لم يتحد مع سائر العناصر المكونة للقصيدة، ولهذا يشبه **كولردج** الوزن بالخميرة التي لا فائدة منها بمفردها ومع ذلك فهي تؤدي إلى نتائج طيبة إذا مزجت بغيرها من العناصر.يقول:« إن الوزن إذا ما قصد استعماله لأغراض شعرية أشبه ما يكون بالخميرة،فالخميرة في ذاتها عديمة القيمة ومع ذلك فهي تضفي على الشراب الذي تمتزج به-بنسب معقولة-روحا وحيوية »[5] .

---

(1)- محمد مصطفى بدوي .كولردج ، القاهرة، 1958م . ص : 98.

(2)- المرجع نفسه . ص : 99 .

(3)- محمد زكي العشماوي . قضايا النقد الأدبي والبلاغة . الإسكندرية ، 1967. ص: 247.

(4)- المرجع نفسه . ص : 347 .

(5)- محمد مصطفى بدوي . كولردج . ص : 102.

5-1-الموسيقى الخارجية:

5-1-1-موسيقى الوزن:

الوزن كما يراه ابن رشيق« من أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية»[1]. وهو أحد العناصر البارزة في تكوين موسيقى الشعر، وقد أشاد ابن طباطبا العلوي بأهمية الوزن في الشعر، وما يحدثه من إيقاع من خلال حسن التركيب واعتدال الأجزاء فيقول: « وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه..»[2]. وهو أيضا- أي الوزن- أحد الطرق التي تعارف عليها الشعراء في نظم أشعارهم بنظم وقواعد ثابتة، والأوزان الشعرية أو البحور الشعرية هي« الهيكل الأساسي للبناء الموسيقي »[3]، ما للوزن من تأثير كبير على استمالة القارئ أو السامع،« فهو يزيد من انتباهه ومن قدرته على الاستجابة والتأثر، ويخلق فيه إحساسا بالحيوية والمتعة»[4].إذا اتحد مع سائر العناصر الأخرى المكونة للقصيدة. وهو أيضا « أخص ميزات الشعر وأبينها في أسلوبه، ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها...»[5].

إن الوزن العروضي في النص الشعري« ليس إلا عنصرا واحدا من عناصر الإيقاع»[6]. لكنه -في الوقت نفسه- يبقى أهم عناصره على الإطلاق، فلا يمكن للنص الشعري أن يقوم من دونه[7] .

---

(1)- ابن رشيق .العمدة ، ج1. ص :99 .

(2)- ابن طباطبا العلوي،أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد .عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، توزيع مطبعة الخانجي بالقاهرة . ص :21 .

(3)- رجاء عيد . التجديد الموسيقي في الشعر العربي.(د، ط).منشأة المعارف، الإسكندرية،(د،ت). ص:09

(4)- فوزي سعد عيسى . الشعر الأندلسي في عصر الموحدين.(د، ط). دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 1991م. ص :251 .

(5)- أحمد الشايب. الأسلوب. ط8. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1991م. ص:53 .

(6)-اليزابيث درو.الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. ترجمة:محمد الشوش. مكتبة منيمنة،بيروت،1961. ص:50.

(7)- يعد مخائيل نعيمة صاحب كتاب "الغربال" أحد الدارسين الذين يعتقدون بأن الوزن والقافية ليسا من ضرورة الشعر، إذ بإمكان الشعر أن يقوم من دونهما. ينظر: مخائيل نعيمة . الطبعة الحادية عشرة . مؤسسة نوفل، بيروت، 1978م . صص: 107-125.

وإذا ما جئنا إلى شعر المديح النبوي عند ابن الخطيب وابن جابر من خلال قصائدهما ومقطوعاتهما. نجد أنهم تمكنا من إحداث انسجام بين معاناتهما الداخلية وبين

الإيقاع المناسب لتلك المواقف، وقد تنوعت أشعارهما بين صراعهما ضد شوقهما إلى الرسول، وحرقتهما وبعدهما عن قبره ومدينته، وتعدادهما لمآثره ومعجزاته. معبران عن ذلك بأساليب فنية مختلفة، فقد نلاحظ أن « حالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ونبضات قلبه حيث يتملكه السرور، سريعة يكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولي عليها الهم والجزع، ولابد أن تتغير نغمة الإنشاد تبعا للحالة النفسية... هذا ما جعل الباحثون يعقدون الصلة بين عاطفة الشاعر وما تخيره من أوزان لشعره»[(1)].

وقد تنوعت أشعار الشاعرين في شعر المديح النبوي بين البحور : الطويل، الكامل، البسيط، الخفيف والمتقارب ، لكن البحر الغالب على شعرهما هذا هو بحر الطويل ، وهو أكثر البحور استعمالا، و ملاءمة للأغراض الرفيعة، وحبهم وتعلقهم بالرسول الأعظم ، وشوقهم وحنينهم، « وليس بين بحور الشعر ما يضارع بحر الطويل في نسبة شيوعه ، فقد جاء ما يقرب ثلث الشعر القديم من هذا الوزن »[(2)].

فقد اشتهر بحر الطويل منذ القدم، وهو أنسب البحور التي نسج على منوالها الشاعران، وجاءت أشعارهما على وزنه « ويشتمل بحر الطويل على مقياس من المقاييس الثمانية هما : مفاعلين فعولن مفاعلين ، وهذان المقياسان يتكرران في بحر الطويل على صورة خاصة وترتيب خاص »[(3)]، ولذلك فلا غرابة أن يحظى هذا البحر باهتمام ابن الخطيب وابن جابر. فقد غلب على استعمال هذا البحر عند ابن الخطيب:

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ شُدَّتْ نُسُوعُهَا   وَغَادَرَهَا الإِدْلاَجُ وَ هِيَ طَلاَئِحُ[(4)]

وقوله كذلك:

وَقُلْتُ لِجَفْنِي إِنْ دُعَيْتَ لِعِبْرَةٍ   فَسَاعِدْ بِهَا مَطْلُ الْغَنِيِّ مِنَ الظُّلْمِ[(5)]

---

(1)–إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر العربي . ط3 . مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ،1981م . ص :175.

(2)– المرجع نفسه . ص : 175 .

(3)– المرجع نفسه . ص : 59 .

(4)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 367.

(5)– المصدر نفسه . ص : 575 .

أما ابن جابر فقد استعمل الضرب الأول من البحر الطويل، وهو التام ووزنه:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

إِلَى السَيِّدِ الْمَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً شَفِيعُ الْوَرَى حَسْبِي مَلاَذًا بِهِ حَسْبِي[1]

//0 /0// 0//0/0/ /0/0/ /0//0 //0/ 0/0/ 0//0 0/0/ 0/0// 0/ 0/0/

ويقول في بيت آخر وهو من الضرب الثالث من الطويل، وهو المحذوف ووزنه:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

مَلاَذُ الْوَرَى كَافِي الأَرَامِلِ كَهْفُهَا كَفِيلُ الْيَتَامَى مَلْجَأُ الْفُقَرَاءِ[2]

فقد حذف من تفعيلته الأخيرة(مفاعيلن) سبب خفيف، فتصير(مفاعي)، وتتحول إلى (فعولن)

ويأتي في الدرجة الثانية بحر الكامل، وسمي كاملا« لكماله في الحركات لأنه أكثر الشعر حركات لاشتمال البيت التام منه على ثلاثين حركة وليس في البحور ما هو كذلك »[3]. فهو يصلح للأغراض الذاتية والتأملية ، كما يتناسب والموضوعات الجادة التي تحتاج إلى نفس طويل،ولا يعد مقياسا معينا لعاطفة معينة، أو غرض معين، لأنه مفضل عند الشعراء لسهولته ووحدة مقاطعه التي يجيء منها الشكل العمودي ، فهذا البحر إذن قد اتسع ليشمل كل الأغراض الشعرية العربية القديمة ، مما حدا ببعض النقاد إلى القول أنه « معبود الشعراء »[4]. وأنه « مطية الشعراء المحدثين »[5] .

ويعد الكامل كذلك من البحور الصافية، حيث تتكرر تفعيلاته على نسق واحد، بإيقاع نمطي يساعد الشعراء على هذا النفس وإطالة القصائد ومحافظة على تقاليد القصيدة العربية، ولعل هذا له علاقة بالجهاز الصوتي للشاعر، ودقات قلبه في فترة الحزن والعذاب والاسترخاء ، فالشاعر حينما يحس بالراحة والطمأنينة يطيل مقاطع أوزانه ، وذلك وفقا لدقات قلبه المتباطئة. من ذلك ما نجده في قول ابن الخطيب في الحنين إلى الرسول الكريم وقبره :

---

(1)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 72.

(2)– المصدر نفسه . ص : 34.

(3)– عدنان حقي . المفضل في العروض والقافية وفنون الشعر. ص : 126.

(4)– إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر العربي . ص :208.

(5)– محمد ناصر . الشعر الجزائري الحديث . ص :251 .

يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمَكِينَ مَكَانُهُ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ وَخَيْرَ نَصِيحِ[1]

كما استطاع ابن الخطيب أن ينوع في الإيقاع في بحر الكامل عن طريق عدد من التحولات في الوحدات الإيقاعية لهذا البحر:

أَمُحَمَّدُ المَحْمُودِ دم في عصمـةٍ　　　لِلَّهِ يمضِي حكمهَا المقدَارُ

بَدْرًا ومَا غَيَّرَ الخِلاَفَـةَ هَالَـةً　　　شَمْسًا ومَا غَيْرُ العلاَءِ مَدَارُ

غَيْثًا ومَا غَيَّرَ النَّـوَالَ سحَابَـةً　　　لَيْثًا ومَا غيرَ الظبَا أَظْفَارُ

مَرَّتْ مِنَ السَّاعَاتِ عشرٌ فَصّلَتْ　　　حزبَ الدُّجَى فَكَأَنَّـهُ أَعْشَارُ

طَابَتْ بِمَوْلِدِ خَيْرِ من لضريحِـهِ　　　تُزْجَى قِلاصٌ أَوْ تزمُّ عِشَارُ[2]

فالأبيات السابقة تنتهي بالوزن (متفاعل) وقد التزم به ابن الخطيب في كامل مدحته، فهذه التفعيلة دخلها زحاف الإظمار(وهو تسكين الحرف الثاني) أي أن التاء في (متفاعل) تكون ساكنة وذلك في قوله(مقدار، أظفار، أعشار)، كما أن الإظمار يدخل أيضا في حشو البيت فيحيل (متفاعلن) إلى (مستفعلن)، فدون شك أن مثل هذا الصنيع في المدحة قادر على زيادة التنويع الإيقاعي فيها.

ويقول ابن جابر من الضرب الثاني من الكامل وهو المقطوع، ووزنه:

متفاعلن متفاعلن　　　متفاعلن متفاعلن متفاعل

رَحَلُوا فَكَيْفَ يَطِيب بعدُ ثَوَاءُ　　　أَمْ هَلْ لِدَاءِ الشَّوْقِ مِنْكَ دَوَاءُ[3]

///0 //0/ //0/ /0/ //0/0　　　/0 /0 //0 /　/0/0/ /0 /　/ //0/0

فقد حذف من ضربه تفعيلته الأخيرة ساكن الوتد المجموع، وسكن المتحرك الذي قبله.

وفي قصيدة له من الضرب الأول من الكامل يقول ابن جابر أيضا:

بِأَعَزِّ مَبْعُوثٍ وَأَشْرَفِ مُرْسَلِ　　　وَأَجَلِّ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمِ مُجْتَبَى[4]

///0/ /0/0/ 0/0/0 /0//0/　　　///0/ /0/0/0 //0// //0/0

كما يأتي في الدرجة الثالثة ، بحر البسيط ووزنه(مستفعلن فاعلن) أربع مرات، وسمي بذلك « لأن الأسباب انبسطت في أجزائه السباعية، فحصل في أول كل جزء

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 493.

[2]– المصدر نفسه . ص : 243.

[3]–ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 23.

[4]– المصدر نفسه . ص : 82 .

من أجزائه السباعية سببان...وقيل سمي بسيطا لانبساط الحركات في عروضه وضربه»[1] ويعتبر هذا البحر من البحور الطوال التي نسج عليها الكثير من الشعراء القدامى.

ومن أشهر تلك القصائد قصيدة ابن جابر، وهي من الضرب الثاني من البسيط المقطوع في حنينه إلى الرسول الكريم وضريحه، فهي أيضا قد اختار لها الشاعر بحر البسيط لما يحمله من موسيقى ساعدت في استمالة المتلقي ، يقول :

هَذَا الضَّرِيحُ وَهَذَا مَنْ زِيَارَتُهُ فَوْزٌ وَلَثْمُ ثَرَاهُ رِفْعُ أَقْدَارِ[2]

ويقول من الضرب الأول من البسيط:

يَا سِيِّدَ الرُّسْلِ فِي فَضْلٍ وَفِي شَرَفٍ وَأَنْتَ فِي البَعْثِ مِنْهُمْ موْضِعُ الْخَبَرِ[3]

أما ابن الخطيب فقال في قصيدة :

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ غَدَا وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَسَبَا[4]

وهي من البحر البسيط وهو بحر كثر استخدامه في الشعر الأندلسي لما يتميز به من الرقة والجمال والانسيابية، وجاء في عروض كثير من القصائد وضربها "الخبن" وهو أجمل أنماط البحر البسيط، إذ يحذف الثاني الساكن من فاعلن فيصبح "فعلن" فتتوالى ثلاث حركات التي تساعد على انسياب اللسان بالسرعة، كما يلاحظ إصابة زحاف الخبن من تفعيلات اخرى من الحشو في مستفعلن إلى متفعلن وهذا البحر جاء نتيجة ما جاء به قصائد المديح النبوي في الشرق مثل بردتي كعب والبوصيري وما تشكله من التوازنات المختلفة .

كما جاءت هناك بحور ولكن أقل استعمالا، وإن كانت هي أيضا قد ساهمت في إبراز موسيقى شعر المديح النبوي، منها استخدام بحري الخفيف والمنسرح بنسب متفاوتة، يليهما الوافر و المتقارب، ثم الرمل و المتقارب ، والمديد، والمجتث ، غير أن ورودها جاء بنسب قليلة جدا من تتبعنا للنصوص .

---

(1)– الخطيب التبريزي ، أبي زكريا يحي بن علي بن محمد . الوافي في العروض والقوافي تحقيق، فخر الدين قباوة ، عمر يحي . ط2 . دار الفكر ، 1975م . ص :57 .

(2)– ابن جابر . ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 246.

(3)– المصدر نفسه . ص : 265.

(4)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 265.

5-1-2-القافيـة:

وبتأملنا لبنية شعر المديح الإيقاعية ، توقفنا عند قوافي قصائد ومقطعات الشاعرين ذلك أن حروف القافية بعامة وحرف الروي بخاصة ، تعد بمثابة الخاتمة الصوتية والدلالية للبيت الشعري . وقد توقف العلماء طويلا عند القافية وتعريفها وتحديد حروفها، فمنهم من جعلها تشمل آخر كلمة من البيت ، على حين جعلها آخرون مساوية للروي ، أي آخر حرف صحيح غير معتل في البيت ، لكن الذي عليه أكثر العلماء هو أن القافية تشمل آخر الساكنين وما بينهما والمتحرك الذي يسبق الساكن الأول « أي إنها آخر مقطعين طويلين وما يمكن أن يكون بينهما من مقاطع »[1] .

كما نشير إلى التعريف الذي جاء في كتاب " **عروض الشعر العربي**"، **لعبد المنعم خفاجي**، حيث عرف القافية بأنها « علم يعرف به أواخر الأبيات الشعرية، من حيث ما يعرف لها من حركة وسكون، ولزوم وجواز وفصح، فهذا العلم يبحث في حروف القافية، وحركاتها وما يجب لها من لزوم، وما يعرض لها من عيوب »[2] .

ولعل أصح تعريف لها وتحديدها من الناحية الموسيقية أنها : اسم يطلق على مجموعة من الأحرف تلتزم آخر القصيدة أو المقطوعة تعطي أصواتا تتكرر من خلال « لحظات زمنية منتظمة »[3] .

وما يعنينا في أمر القافية، هو أنها تجسد – بثبات حروفها- أساسا كيفيا مهما من أسس الشعر العربي، ذلك أن القافية لا تقوم على أساس مثالي يملأه الشاعر بالكلمات أو الأصوات ، بل يتخير الشاعر القافية التي يريدها ويبني عليها قصيدته بحرية مطلقة شريطة أن يلتزم بحروف بعينها في المكان عينه،ومن ثم كان بعض القدماء ينسبون القصائد إلى رويها لا إلى بحورها .

وتعتبر القافية جزءا لا يتجزأ من نظام موسيقي القصيدة « وما يجب أن يشترك في قوافي القصيدة ذلك الصوت الذي تبني عليه الأبيات الذي يسميه أهل العروض

---

(1)- علي يونس . نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي . ص :81.

(2)- إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر العربي . ص : 246.

(3)- المرجع نفسه . ص :237 .

بالروي، فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشمل على ذلك الصوت المتكرر في أواخر الأبيات »[1] ، وهو« الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه ، فيقال : قصيدة رائية أو دالية، ويلزم في آخر كل بيت منها. ولا بد لكل شعر من روي »[2] .

تنقسم القافية إلى مطلقة ومقيدة ، فالمطلقة ما كان حرف الروي فيها متحركا إما بالضمة أو الكسرة أو الفتحة، ومن هذه الحركات تتولد حروف المد الألف والواو والياء، فتكون القافية مطلقة بهذه الأحرف[3]،والمقيدة:ما كان فيها حرف الروي ساكنا[4]

والمتتبع لشعر المديح النبوي عند ابن الخطيب ومواطنه ابن جابر، يجد أن أكثر نتاجهما في ذلك جاء على المطلقة، وذلك أمر طبيعي، لأن إطلاق الصوت في القافية– في رأينا– يعين على إثراء الموسيقى ، ويساعد إظهار ما يختلج في نفس الشاعرين من شوق وحنين .

أما **القافية المقيدة** كقول ابن الخطيب :

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النُّورِ المُبِينِ وَمَنْ   آَيَاتِهِ لَمْ تَدَعْ إِفْكًا وَلاَ كَذِبَا
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ   غَدًا وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَسَبَا[5]

و**لابن جابر** قصيدة مصرعة البيت الأول، متواترة القافية، مردفة مقيدة الروي. يقول :

وَأَنِينُ الْجِذْعِ وَالْبَدَرِ إِذْ   شُقَّ أَمْرَانِ لَهُ مُعْجِزَانْ
آَخِرُ الرُّسْلِ زَمَانًا وَإِنْ   سابقُوا فِي الْمَجْدِ حَازَ الرِّهَانْ[6]

أما القوافي المطلقة فقد أتت بكثرة في مدائح الشاعرين، ومن خلال تتبع تلك القوافي وجدنا أن أكثر روي ابن الخطيب فيها جاء على حرف (الدال)، من ذلك قصيدته التي استهلها:

دَعَا عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَالْوَخْدَا   وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِيِّ وَالْوَجْدَا[7]

---

[1]– إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر العربي . ص : 247 .

[2]– الخطيب التبريزي . الوافي في العروض والقوافي . ص :221 .

[3]– ينظر: عدنان حقي . المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر . ص:149.

[4]– ينظر: المرجع نفسه . ص : 150.

[5]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 265.

[6]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 525.

[7]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 479.

ومثله اختار مواطنه ابن جابر لقصيدته القافية المطلقة ذات الروي "الدال" في قصيدة ذكر فيها أصحاب رسول الله ﷺ العشرة وأهل بيته الطاهرين(ض) ومطلعها:

بِهَدْيِ النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ مُحَمدِ وَبِالْعَشرةِ الأَخْيَارِ مِنْ بَعْدِهِ اقْتَدِ[1]

فقد استعملا حرف الروي(الدال) وقد أطلقت القافية لأن حرف الروي متحرك بالفتح للأول وبالكسر للثاني .

ومن القافية المطلقة ذات الروي " الميم" ، قال ابن الخطيب:

فَرَوَّى لُهَامَ الْجَيْشِ مِنْهُ بِأَنْمُلٍ جَرَى الْمَاءُ فِي أَثْنَائِهَا سَائِغَ الطَّعْمِ[2]

وقال ابن جابر:

بِطِيبَةَ انْزِلْ وَ يَمِّمْ سِيِّدَ الأُمَمِ وَانْشُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَانْثُرْ أَطْيَبَ الْكَلِمِ[3]

وحرف الميم يعده العروضيون من القوافي الذلل ، والقوافي الذلل هي « الراء ، والميم ، واللام ، والذال ، والنون ، والباء ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق ، والعين، والفاء، والقاف، والسين»[4]. وهي القوافي التي سهل استعمالها عند أكثر الشعراء، وهذا ما وجدته عند الشاعرين الذين أكثروا في مدائحهما النبوية من استخدام هذه القوافي لإعطاء قصائدهم نوعا من الموسيقى الشعرية المؤثرة في المتلقي باستعمالهم لتلك القوافي، إلى جانب تأثرهم بالشعراء السابقين ، وبالأخص الشعراء القدامى .

ومن هنا يتبين لنا أن موسيقى شعر المديح النبوي قد جاءت في معظمها على القوافي المطلقة ، وأن أكثر هذه القوافي جاء من خلال الحروف السهلة المخارج ، إلى جانب خفتها التي تساعد على إثراء النغم الموسيقي بالقافية مع غيرها من عناصر الموسيقى الأخرى.

ومما تقدم يتبين لنا، أن شعر المدائح النبوية امتاز على مستوى الإيقاع والقوافي بتلك الخصائص التي أكسبته قدرا من الجمال بين أنساق الشعر العربي .

---

(1)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 159.

(2)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 577.

(3)– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 491.

(4)–ينظر: عبد الله الطيب المجذوف.المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج1. ط1. (د،ت). ص:44

5-2-الموسيقى الداخلية:

إن أول ما يلفت الانتباه في موسيقى الشعر أن وراء الموسيقى الخارجية « موسيقى خفيفة تنبع من اختيار الشاعر لكلمته وما بينهما من تلاؤم في الحروف والكلمات وكأن للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكله وكل حرف وكل حركة بوضوح تام »[1].

فالموسيقى الداخلية في أي عمل فني تنبع من الحالة الشعورية التي تنتاب الشاعر لحظة الكتابة، وهي حالة يكون فيها الشاعر على قدر كبير من الانفعال والتوتر الذي يجعله يميل إلى استعمال الألفاظ التي توحي بالمعنى وتشعر بالحركة، سالكا في ذلك طريقة التصوير القوي المؤثر الذي يثير في النفس الإعجاب... مستعينا بالموسيقى الداخلية، التي نشأت من انسجام الحروف أولا واتساق الألفاظ ثانيا .

وفي اعتقادي أن هذا النوع من الموسيقى ينقسم إلى قسمين: الأول: الموسيقى التي تحدث من خلال المحسنات البديعية، وما تحدثه بعض الحروف والألفاظ والعبارات من إيقاعات صوتية تحدث نوعا من الموسيقى من خلال تكرارها، إلى جانب موسيقى الوزن والقافية.

والثاني: الموسيقى التي يحدثها تآلف وانسجام هذه الحروف والألفاظ والعبارات حسب براعة الشاعر في اختياره لها ووضعها في النص الشعري.

ونعني بالموسيقى الإيقاعية الداخلية ما تحدثه الألفاظ والعبارات التي يختارها الشاعر داخل النص الشعري من إيقاع موسيقي يؤثر في المتلقي إلى جانب ما يحدثه الوزن والقافية. يقول حازم القرطاجني:« وبقوة التهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة، فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف..»[2]. ذلك يدل على اهتمام النقاد والعروضيين القدامى بهذا النوع من الموسيقى .

فالمتتبع للنوع الأول يجد أن شعر المدائح النبوية عند ابن الخطيب وابن جابر في

---

(1)– شوقي ضيف. في النقد الأدبي. ط6.دار المعارف، مصر،(د، ت). ص: 67.

(2)– أبو الحسن حازم القرطاجني. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب بلخوجة. ط3. دار الغرب الإسلامي، 1986م . ص: 255.

القرن الثامن الهجري غنية بالموسيقى التي تحدثها المحسنات البديعية كالجناس، والطباق، والمقابلة، والتصريع... وغيرها. يقول إبراهيم أنيس متحدثا عن موسيقى الجناس:«إن الجناس اللفظي وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو ليس في الحقيقة إلا تفننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم و موسيقى، وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه، فهو مهارة في نسج الكلمات وبراعة في ترتيبها وتنسيقها...»[1].

تعد موسيقى الجناس خاصية واضحة في موسيقى شعر المديح النبوي في القرن الثامن الهجري، حيث استخدم في الكثير من القصائد والمقطوعات، فإلى جانب التفنن في عرض الألفاظ وتزيينها استخدمه الشاعران ابن الخطيب ومواطنه ابن جابر في إثراء القصيدة بالنغم الموسيقي الذي يحدثه تكرار الألفاظ في البيت الواحد، فمن شواهد أمثلة الجناس قول ابن الخطيب:

أَيَا خَاتِمَ الرُّسْلِ الْمَكِينَ مَكَانُهُ حَدِيثُ الْغَرِيبِ الدَّارِ فِيكَ غَرِيبُ
فُؤَادٌ عَلَى جَمْرِ الْبِعَادِ مُقَلَّبٌ يُمَاحُ عَلَيْـهِ للدُّمُـوعِ قَلِيـبُ
فَوَاللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَلَهُّبًا أَأَبْصَرْتَ نَارًا ثَارَ عَنْـهُ لَهِيبُ[2]

فنلاحظ في الأبيات ما أحدثه الجناس اللفظي من نغم ساعد في إثراء الموسيقى في الأبيات، إلى جانب الوزن والقافية، وأعطى لونا من حسن التعبير عن مدح الرسولﷺ. ومن أمثلة ذلك ما نجده في قول ابن جابر:

بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ أَهْنَا وَأَبْهَـجُ وَأُوقِنُ أَنَّ الضِّيقَ عَنِّي يُفَرَّجُ
بِهِ أَرْتَجِي دَارَ النَّعِيمِ وَأَتَّقِي لَهِيبَ جَحِيمٍ حَرُّهُ يتوَهَّـجُ
وَكَيْفَ تمسُّ النَّارُ جِسْمِي وَحُبُّهُ بِلَحْمِي وَعَظْمِي وَالْمَفَاصِلِ يُمْزَجُ[3]

حيث لا يخفى وقع رنين الجناس اللفظي في الأبيات محدثا نوعا من الموسيقى الإيقاعية التي تطرب الآذان وتزيد من التأثير النفسي للمتلقي.

---

[1]– إبراهيم أنيس . موسيقى الشعر العربي . ص : 39 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 323.

[3]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص : 126.

أما الطباق والمقابلة فهما أيضا أحد المحسنات البديعية التي ساهمت في إحداث نوع من الموسيقى الإيقاعية في شعر المدائح النبوية في القرن الثامن الهجري، وهذا النوع من الثنائية الضدية يساهم إلى حد كبير في إثراء موسيقى الشعر من خلال ما يحدثه من إيقاعات صوتية . والأمثلة على ذلك كثيرة عند الشاعرين في هذه الفترة ، ومن ذلك ما نجده في قول ابن الخطيب:

وَأَنْتَ مَلاَذُ الْخَلْقِ حَيًّا وَمِيِّتًا وَأَكْرَمُهُمْ ذَاتـًا وَأَعْظَمُهُمْ مَجْدَا

فَلَوْلاَكَ مَا بَانَ الضَّلاَلُ مِنَ الْهُدَى وَلاَ امْتَازَ فِي الأَرْضِ الْمُكِبُّ مِنَ الأَهْدَا

وَإِذَا النَّهَارُ جَلَّى الظَّلاَمَ وَأَتْلَعَتْ مِنْ مِيسَمِهَا الْغَزَالَةُ جِيدَا

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَنِ وَالنُّورِ الَّذِي أَخْفَى الضَّلاَلَ وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا[1]

فلا يخفى عنصرا المقابلة والطباق في الأبيات، حيث احدثا نوعا من الإيقاع ساهم في إثراء الموسيقى مع عناصرها الأخرى المكونة لها. مثل ذلك ما نجده في قول ابن جابر

شَفَاعَتُكَ العُظْمَى دَوَاءُ خَطِيئَتِي وَلَوْ جِئْتُ مِنْ جُرْمِي بِأَعْظَمِ دَاءِ

وَرَأَى الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ إِذْ لَهُ زُوِي الوُجُودُ بِشَرْقِهِ وَغَرْبِهِ

عَجِبتُ لِلأَيَّامِ مَنْ عَزَّ بِهَا ذَلَّ وَمَنْ يَضْحَكْ لَهَا يَوْمًا بَكَى

سَمَاحُكَ كَمْ أَغنَى مِنَ الْفَقْرِ آمَلاً وَأَمَّنَ مِنْ خَوْفٍ وَسَهَّلَ مِنْ صَعْبِ

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ تَسْرِي وُفُودُنَا فَتُدْنِي وَمَا تُنْئِي وَتُؤْوِي وَمَا تُرْجِي[2]

نلاحظ توالي عنصري الطباق والمقابلة في الأبيات السابقة وما يحدثاه من إيقاعات أخذت نوعا من المد والجزر ساهما في زيادة النغم الموسيقي للقصيدة ، وقد تعدد هذا النوع من المحسنات في الكثير من قصائد شعر المديح النبوي في القرن الثامن الهجري عند الشاعرين.

ومن موسيقى البديع في شعر المديح النبوي أيضا موسيقى التصريع. والتصريع « ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه. تنقص نقصه وتزيد بزيادته »[3]. وهو ميزة مستحسنة عند العروضيين.وقد استحسنه حازم القرطاجني. حيث أشار إلى أهمية

---

[1]–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام .الصفحات:481-482-486-487.

[2]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :38-68-50-75-126 .

[3]– ابن رشيق القيرواني . العمدة ، ج1. ص:173 .

التصريع في مطلع القصيدة وما يحدثه ذلك من إيقاع يساهم في إثراء الموسيقى الشعرية بقوله:«أن تكون الكلمة مختارة متمكنة حسنة الدلالة على المعنى تابعة له. ويحسن أن يكون مقطعها مماثلا لمقطع الكلمة التي في القافية... فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة موقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها..»[1] .

استخدم شعراء المديح النبوي " ابن الخطيب""ابن جابر" في القرن الثامن الهجري موسيقا التصريع في الكثير من مدائحهما النبوية، من ذلك ما نجده في مطلع قصيدة ابن الخطيب في صدر رسالة كتبها عن السلطان الغني بالله إلى الضريح النبوي:

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبُ[2]

وأنشد في ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

دَعَا عَزَمَاتِي وَالْمَطِيَّةَ وَالْوَخْدَا وَإِلاَّ فَكُفَّا الشَّوْقَ عَنِّي وَالْوَجْدَا[3]

حيث بنى الشاعر قصيدته على موسيقى بحر الطويل، وعلى قافية بائية في القصيدة الأولى، ودالية في القصيدة الثانية، وقد زاد من إثراء هذه الموسيقى باستخدام التصريع في مطلعها كما رأينا، حيث تساوت العروض والضرب في الوزن والإعراب والقافية . مما أكسب مطلع القصيدة نوعا من النغم الإيقاعي.

ومثل ذلك ما نجده في مطلع قصائد ابن جابر التالية:

حَادِي الْمَطَايَا قَدْ دَعَاكَ فَلَبِّـهِ إِنْ كُنْتَ صَبًّا صَادِقًا فِي حُبِّـهِ

وَحُرمةِ الْحُبِّ مَالِي غَيْرُكُمْ أَرَبُ وَحِينَ أَسْمَعُ ذِكْرَاكُمْ فَلِي طَرَبُ

دَعَا حَادِيَ الْمطِيِّ وَقَدْ سَمِعْنَا وَإِنْ لَمْ تُصْغِ لِلدَّاعِي نَدِمْنَا[4]

حيث بنى قصائده على التوالي على موسيقى بحر الكامل، البسيط، الوافر، وقوافي على التوالي هائية مطلقة ، بائية مطلقة، وتائية مطلقة .مستخدما موسيقى التصريع من خلال تساوي عروضة البيت وضربه.

---

[1]– حازم القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء . صص: 282–283 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 320.

[3]– المصدر نفسه . ص : 479 .

[4]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. الصفحات :67–82–98.

ومن الموسيقى الإيقاعية الداخلية أيضا موسيقى التكرار، مثل تكرار الحروف والألفاظ والعبارات، وأساليب الطلب وغيرها .

ويعد التكرار خاصية بارزة في شعر المدائح النبوية ، فهو يدل على تأكيد تجربة المديح النبوي، ويعبر عما يعانيه الشاعران ابن الخطيب وابن جابر من ضيق من خلال حنينهما إلى الرسول ﷺ وقبره .

من تكرار الحروف نجد تكرار الشاعران لبعض الحروف التي لها علاقة بموضوع القصيدة مما أكسبها نوعا من الموسيقى الناتجة من خلال ذلك التكرار على نحو ما نجد في قصيدة ابن الخطيب الذي بنى قافيتها على حرف السين:

أَثَارَ سَنَاهَا وَالدِّيَارُ نَوَازِحٌ سَنَا بَارِقٍ مِنْ مَطْلَعِ الْوَحْيِ لاَئِحُ

رَكَائِبُ تَسْتَفُّ الْفَلاَ فَكَأَنَّهَا سَفَائِنُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ سَوَابِحُ

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ شُدَّتْ نُسُوعُهَا وَغَادَرَهَا الإِدْلاَجُ وَهِيَ طَلاَئِحُ[1]

فالملاحظ على هذه الأبيات جميعها تكرار حرف الباء، مما أعطى نوعا من الجرس اللفظي الإيقاعي ساعد على إثراء موسيقى الوزن والقافية، إلى جانب ما يحدثه حرف السين من أثر صوتي إضافي، فحرف السين من الحروف الصفيرية .

ويقول في أبيات أخرى:

فُؤَادٌ عَلَى جَمْرِ الْبِعَادِ مُقَلَّبٌ يُمَاحُ عَلَيْهِ لِلدُّمُوعِ قَلِيبُ

فَوَاللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَلَهُّبًا أَأَبْصَرْتَ نَارًا ثَارَ عَنْهُ لَهِيبُ

فَلَيْلَتُهُ لَيْلُ السَّلِيمِ وَيَوْمُهَا إِذَا شُدَّ لِلشَّوْقِ الْعِصَابُ عَصِيبُ

هَوَايَ هُدًى فِيكَ اهْتَدَيْتُ بِنُورِهِ وَمُنْتَسَبِي لِلصَّحْبِ مِنْكَ نَسِيبُ

وَحَسْبِي عُلاً أَنِّي لِصَحْبِكَ مُنْتَمٍ وَلِلْخَزْرَجِيِّينَ الْكِرَامِ نَسِيبُ[2]

فنلاحظ ما أعطاه تكرار حرف الباء في الأبيات من لون موسيقي ساعد على تقوية المعنى.

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 367.

[2]– المصدر نفسه . صص: 323–324.

ومن موسيقى تكرار الحروف أيضا تكرار حرف الجيم في قصيدة لابن جابر:

لِجَاهِكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَوَجُّهِي   إِذَا الأُمُّ فِي شُغْلٍ عَنْ الرَّضَعَاءِ

شَفَاعَتُكَ الْعُظْمَى دَوَاءُ خَطِيئَتِي   وَلَوْ جِئْتُ مِنْ جُرْمِي بِأَعْظَمِ دَاءِ[1]

فقد ساعد تكرار حرف الجيم في البيتين على تقوية النغم .

ومن موسيقى تكرار الألفاظ والعبارات ما نجده في قصيدة لابن الخطيب في مدح الرسول الكريم والتشوق إليه:

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ   وَأَكْرَمَ هَادٍ أَوْضَحَ الْحَقَّ وَالرُّشْدَا

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ   وَأَشْفَقَ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَأفَةٍ كَبْدَا

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يَا كَاشِفَ الْعَمَى   وَمُذْهِبَ لَيْلِ الشَّكِ وَهُوَ قَدِ ارْبَدَا[2]

فنلاحظ التكرار الموسيقي الحاصل من خلال تكرار عبارة(**عليك صلاة الله**) الذي التزم به في بعض أبيات القصيدة .

أما ابن جابر فيمدح النبي الأعظم في قوله:

يَا مَنْ سَمَا لِلسَّمَاءِ لَيْلاً   وَعَادَ وَاللَّيْلُ مَا تَقَضَّى

يَا مَنْ رَأَى رَبَّهُ وَحَتَّى   لِقَابِ قَوْسَيْنِ مِنْهُ أَفْضَى

يَا مَنْ لَهُ الدَّوحُ جَاءَ يَسْعَى   قَدْ شَقَّ وَجْهَ الثَّرَى وَفَضَّا

يَا مَنْ غَدَا لِلْغُمَامِ ظِلٌّ   عَلَيْهِ وَالأَرْضُ ذَاتُ رَمْضَا

يَا مَنْ بِالْحَصَى فَكَانَتْ   مِنْ مُرْهفاتِ الرِّمَاحِ أَمْضَى[3]

نلاحظ التكرار الموسيقي المتمثل في تكرار عبارة(يا من) .

ومن موسيقى تكرار الألفاظ والعبارات في شعر المديح النبوي عند الشاعرين أيضا تكرار موسيقى بعض أساليب الطلب، مثل تكرار صيغة الاستفهام، على نحو ما نجده في قول ابن الخطيب :

بِمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ   وَلَمْ يَألُ فِيكَ الْوَحْيَ مَدْحًا وَلاَ حَمْدَا

بِمَاذَا عَسَى يُجْزِيكَ هَاوٍ عَلَى شَفَىً   مِنَ النَّارِ قَدْ أَسْكَنْتَهُ بَعْدَهَا الْخُلْدَا[4]

---

[1]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص :38 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 476–477.

[3]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص :299 .

[4]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 476 .

حيث يلاحظ في البيتين تكرار صيغة الاستفهام (بماذا) التي أثرت الموسيقى الشعرية بنوع من الإيقاع الداخلي في القصيدة إلى جانب تعاونها مع غيرها من العناصر المكونة لموسيقى الشعر .وسار على مثل ابن الخطيب مواطنه ابن جابر:

أَلَيْسَ الَّذِي فِي كَفِّهِ سَبَّحَ الْحَصَى   وَأَرْوَى جَمِيعَ الْجَيْشِ مِنْ نَبْعِ أَنْمُلِ

أَلَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ جَاءَ بِمُعْجِزٍ   لِكُلِّ مُجِيدٍ فِي الْبَلاَغَةِ مُجْزِلِ

أَلَيْسَ انْشِقَاقُ الْبَدْرِ كَانَ لأَجْلِهِ   فَشَقَّ عَلَى نَفْسِ الشَّقِيِّ المُذَلَّلِ

أَلَمْ يَنْظُرُوا للدَّوْحِ تَسْعَى لِقَصْدِهِ   أَلَمْ يُبْصِرُوا فِعْلَ الغَمَامِ المُظَلِّلِ

أَلَيْسَ الَّذِي قَدْ آلَمَ الْجِذْعَ فَقْدُهُ   فَأَنَّ أَنِينَ الشَّيِّقِ المُتَمَلِّلِ

أَلَيْسَ الَّذِي أَعْطَى الْغَزَالَةَ عَهْدَهُ   فَعَادَتْ وَلَمْ تُخْلِفْ وَلَمْ تَتَمَهَّلِ

أَلَمْ يَبْتَدِرْهُ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ   عَلَى الْغَارِ إِذْ جَاؤُوا فَجَالُوا بِأَسْفَلِ

أَلَيْسَ بِبَابِ الْغَارِ حَامَتْ حَمَامَةٌ   لِتَصْرِفَهُمْ عَنْ قَصْدِهِ بِالتَّخَيُّلِ

أَلَيْسَ بَعِيرُ الْقَوْمِ لاَذَ بِعَدْلِهِ   فَأَنْجَاهُ مِنْ جُوعٍ وَتَثْقِيلِ مَحْمَلِ

أَلَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الطَّعَامِ مُسَبِّحًا   لَدَيْهِ مَتَى مَا مَدَّ كَفًا لِمَأْكَلِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الوَحْشَ وَالدّوحَ سَلَّمَتْ   عَلَيْهِ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ جَنْدَلِ

أَلَيْسَ الَّذِي قَدْ كَلَّمَ الضَّبَّ سَائِلاً   فَقَالَ مُجِيبًا أَنْتَ آخِرُ مُرْسَلِ

أَلَيْسَ لَهُ الْحَوْضُ الَّذِي نَأْمَنُ الظَّمَا   إِذَا مَا شَرِبْنَا مِنْهُ جَرْعَةَ سَلْسَلِ

أَلَمْ تَقْذِفِ الْجِنُّ النُّجُومَ لأَجْلِهِ   وَهُمْ عَنْ لِحَاقِ السَّمْعِ بَعْدَ بِمَعْزِلِ[1]

فقد كرر ابن جابر صيغتي الاستفهام(أليس، ألم) وقد أثرت الموسيقى الشعرية بنوع من الإيقاع الداخلي للقصيدة .

يقول أحد الباحثين «إن من أبرز السمات التي تميز الشعر عن غيره من الكلام تلك الموسيقى الواضحة التي تتآزر مع عناصر أخرى كثيرة حتى يصل ذلك اللون من التعبير إلى قلب قائله وعقله . ويملك على مستمعه حواسه كلها، فيشده إلى ما يريده الشاعر من إيصال تجربته الشعرية إلى المتلقي قارئا كان أو مستمعا...»[2]. فالشعر « يحتاج إلى الموسيقى التي تلحنه، وتظهر جماله، وتوضح أوزانه »[3] .

---

[1]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين. ص: 449 .

[2]– شعبان صلاح.موسيقى الشعر بين الإتباع والابتداع .ط3. دار الثقافة العربية، 1998م . ص: 9.

[3]– أحمد الشايب. أصول النقد الأدبي. ط10. مكتبة النهضة المصرية، 1999م . ص: 321.

الفصل الخامس

مستويات التناص عند الشاعرين

المبحث الأول: التناص القرآني

المبحث الثاني: التناص مع الحديث النبوي الشريف

المبحث الثالث: التناص مع الموروث الشعري القديم

المبحث الرابع: التناص من خلال الأمثال والحكم

المبحث الخامس: التناص مع التاريخ

أولا-التناص: مفهومه، دوره :

« التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح»[1].« فالتناص يتصل بعمليات الامتصاص والتحويل الجذري أو الجزئي لعديد من النصوص الممتدة بالقبول أو الرفض في نسيج النص الأدبي المحدد. وبهذا فإن النص الأدبي يندرج في فضاء نصي يتسرب خلاله »[2].

وتوجد صور متعددة لا تقوم كلها في درجة واحدة، بل هناك درجات عديدة للتناص، مما مكن أن يقودنا إليه التحليل النصي. فهناك مثلا خواص شكلية محددة، مثل الإيقاعات والأوزان والأبنية المقطعية. ومثل أنماط الشخصيات والمواقف التي يمكن استخدامها كحد أدنى للتناص. وتتمثل الدرجة الوسطى من التناص في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة. أما الدرجة القصوى من التناص فتقوم بها تلك الممارسات الاقتباسية، والمعارضات ما يحيل على مجموعة الشفرات الأسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لا يمكن أن يخفى على القارئ المتوسط، وهو المجال الذي تمثله أبواب السرقات ف النقد العربي القديم[3].

« ويؤدي التناص دورا بارزا في إثراء التجربة، حيث يكتسب النص "تعددية" من سياقات أخرى مع بقائه ممركزا في سياقه الخاص، وتتنوع أنماط التناص ما بين استعادة حدث ديني أو تاريخي أو أسطوري، واستبطان هذه الأحداث أو الإشارات بحيث تتولد دلالات جديدة تثري التجربة »[4].

ويبدو واضحا أن التناص يعتمد اعتمادا أساسيا على عمق ثقافة الأديب وتنوعها، ولقد اهتم النقاد بالحديث عن ضرورة تسلح الكاتب بمختلف ألوان الثقافة، وتعددت توجيهاتهم للكتاب، وكثرت أحاديثهم عن صنوف الثقافات، التي ينبغي أن يتزود بها ــــ

(1)-محمد مفتاح . تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ط3. المركز الثقافي الدار البيضاء ، المغرب،1992 م . ص:131.

(2)- صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص.(د. ط).عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1413هـ-1992م . ص :240 .

(3)- ينظر: المرجع نفسه . صص: 240-241.

(4)-فوزي عيسى. تجليات الشعرية: قراءة في الشعر المعاصر. منشأة المعارف بالإسكندرية،1997م.ص:21.

الكاتب،والتي يمكن تلخيصها في ضرورة التسلح بالثقافة العربية والإسلامية والتاريخية، والإلمام بالأصول العامة لصناعة الأدب والوقوف على مذاهب الأدباء، ثم نجد منهم من جنح إلى التخصيص ومتابعة كل كاتب في الديوان الذي يعمل فيه وتزويده بما يحتاج إليه من معارف خاصة حتى ينجح في أداء مهمته[1] .

واستعانة الكاتب في إبداع رسالته بالتناص من البيان القرآني، أو الشعر، أو من خلال الأمثال والحكم إنما هو توظيف لمؤثر لغوي أو أسلوبي،يعطي دلالة تضيف إلى المعنى العام للنص مع ما ينفرد به الموروث الديني من قداسة وامتياز، وعلى التسليم بقيمته الاحتجاجية التي لا تطاولها قيمة.

« وفي العادة يكون المختار لتضمينه أو الاقتباس منه آية من آيات البلاغة. لما فيه من اختيار لفظ أو قوة معنى، وقد بلغ من النفوس مبلغا من الإعجاب صلح معه أن يجري على ألسنتهم ويصبح مثلا سائرا جديرا بالإعادة والتكرار أو يكون ذلك من الأدباء على سبيل التملح و التظرف، كما يبدو في استخدام مصطلحات العلوم والفنون. وفي هذا دليل واضح على مهارة الأديب و سعة ثقافته ووفرة اطلاعه »[2] .

وفي ضوء هذا المفهوم للتناص فقد قمنا بتتبع تلك الظاهرة التناصية[3]، في مدائح ابن الخطيب وابن جابر، والتي كان حضورها مكثفا بحيث لا تكاد تخلو مدحة منها، فضلا عما صاحب ذلك من تنوع في مصادرها وتعدد في منابعها، ولذا فقد قصرنا الحديث فيها على خمسة منابع هي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، والشعر العربي، والأمثال العربية، والأحداث التاريخية في محاولة منا لمعرفة الآلية التي اعتمدها

---

(1)– للوقوف على اهتمام النقاد بثقافة الكاتب وألوان هذه الثقافات ينظر: الرسالة العذراء. ابن المدبر.
رسائل البلغاء . صص:177–178.
ابن قتيبة . أدب الكاتب.ص:8 . صص: 6–19 .
ابن الأثير. المثل السائر،ج1. ص: 38–14.
ابن طباطبا . عيار الشعر. ص: 10./ أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص:115.

(2)– بدوي طبانة. السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها.ط4.مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1395هـ–1975م . ص: 168.

(3)– سوف استخدم بعض المصطلحات التي تدور في فلك هذه الظاهرة، وهي : التناص، والتضمين، وتداخل النصوص، وذلك بحسب انسجامها مع السياق.

الشاعران في استحضار تلك المنابع ضمن دائرة التركيب اللغوي للمدحة، هل كان يتم مباشرة وبشكل قوالب جاهزة أم كان في صورة خفية وغير مباشرة ؟ وإلى أي مدى حرص الشاعران على أن يتصرف في تركيبها سواء بالحذف وبالإضافة أو بالتقديم والتأخير.

I-ابن الخطيب:

استطاع ابن الخطيب أن يوظف مقروءه الثقافي من مختلف فروع المعرفة العقلية و النقلية لخدمة مدائحه النبوية وربما كان يتم ذلك بوعي منه أو بغيره فالأمر سيان، المهم في ذلك أن تكون رؤيتنا لهذا العمل من واقع أن«الشاعر ليس إلا معيدا لإنتاج سابق في حدود من الحرية »[1].

أ- التناص القرآني: حرص الشاعر على التناص من خلال القرآن الكريم وذلك بالاقتباس من آياته، وكان هذا التناص يقع على وجوه متعددة؛ لأنه قد يكون بالاقتباس، دون نص على قرآنية المقتبس، اعتمادا على وضوح نسبته، وقد يكون عن طريق الاستشهاد بالبيان القرآني استشهادا صريح النسبة، لتوكيد البرهنة على الموضوع المحتج له، وقد يأتي التناص عن طريق الإلماح والإيماء دون اقتباس أو استشهاد قرآني صريح[2].

ومن أمثلة التناص القرآني عند ابن الخطيب قوله وهو يخاطب الركب الحجازي، ملتمسا منه أن يبلغ شوقه إلى رسول الله، وحنينه إلى زيارته، نيابة عنه، وذلك إذا وصل إلى المدينة المنورة« طيبة » وجاء القبر المقدس .

نَشَدْتُكَ يَا رَكْبَ الْحِجَازِ تَضَاءَلَتْ — لَكَ الأَرْضُ مَهمَا اسْتُعْرِضَ السُّهْبُ وَامْتَدَّا
إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطِيْبَـةٍ — وَجِئْتَ بِهَا القَبْـرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْـدَا
وَ آنَسْتَ نُورًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ — يُدَاوِي الْقُلُوبَ الغُلْفَ الأَعْيُنَ الرَّمْدَا[3]

فقد أشار بعجز البيت الثالث إلى الآية القرآنية في قوله تعالى:

[1]- محمد مفتاح. تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص. ط3. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،1992م . ص :124.

[2]- ينظر: سالم عبد الر زاق سليمان. ترسل الشعراء في الأندلس.(د،ط). دار المعرفة الجامعية،2008. ص: 407 .

[3]- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:475.

(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ)[1].

وفي قوله كذلك:

وَنَادَى لِسَانُ الْفَتْحِ فِي عَرَصَاتِهَا كَذَلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ[2]

اقتبس الشطر الثاني من قول المولى عز و جل:(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[3].

ونجده قد اقتبس من الآية الكريمة:(يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ)[4]. بيته هذا:

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ كَدَحْتَ إِلَى رَبِّ الجِمَالِ مُلاَقِيَا[5]

ويقول في مدح يد الخلق نبينا محمدρ:

وَبِمَهْبَطِ الرُّوحِ الأَمِينِ أَمَانَـةٌ وَاليُمْنُ فِيهَا وَالأَمَانُ لِرُوحِـي
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ المَكِينِ مَكَانُـهُ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ وَخَيْرَ نَصِيـحِ
أَقْرَضْتُ فِيكَ اللَّهَ صِدْقَ مَحَبَّتِي أَيَكُونُ تَجْرِي فِيكَ غَيْرَ رَبِيـحِ[6]

ففي هذا التصوير استعار« التجر» لما قام به من أعمال توجب محبة الرسول الأعظم، كما استعار « الربح » لثواب وأجر الآخرة، وهذا التصوير في مجمله مستوحى من قوله تعالى:(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[7].

وفي هذا البيت كذلك يستمده من الآية القرآنية السابقة :

أُوْلاَكَ الأُلَى بِالأَنْفُسِ اشْتَرَوا الْـهُدَى فَتَجْرُهُمُ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ رَابِحُ[8]

---

[1]–سورة البقرة . الآية : 88.
[2]– لسان الدين بن الخطيب. الديوان. ص: 604 .
[3]–سورة يوسف . الآية : 21.
[4]– سورة الانشقاق . الآية : 6.
[5]– لسان الدين بن الخطيب. الديوان. ص: 367 .
[6]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 383 .
[7]– سورة البقرة . الآية : 16.
[8]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 369 .

وفي مدائحه دائما وهو يثني على النبيﷺ يقول :

بِمَاذَا عَسَى يُجْزِيكَ هَاوٍ عَلَى شَفًى مِنَ النَّارِ قَدْ أَسْكَنْتَهُ بَعْدَهَا الْخُلْدَا[1]

فقد اقتبس من القرآن الكريم، قوله تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[2].

ويقول في ميلاد عام أربعة وستين وسبعمائة :

مَثَّلَ اللَّهُ نُورَهُ فِي الْمَثَانِي   بِمِثَالِ الْمِشْكَاةِ وَالْمُصْبَاحِ[3]

هنا إشارة واضحة جدا إلى قوله تعالى:(اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[4].

وَخَفَضْتَ الْجَنَاحَ فِي الأَرْضِ حَتَّى   لَمْ تَدَعْ فَوْقَ ظَهْرِهَا مِنْ جُنَاحِ[5]

وكان حرصه الاقتباس من الذكر الحكيم وهو يمدح الرسول ﷺ و أصحابه هذا البيت:

سِيمَاهُمُ التَّقْوَى أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ، فِيمَا بَيْنَهُمْ رُحَمَاءُ[6]

يشير بهذا البيت إلى الآية الكريمة:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[7].

---

[1]–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 476 .

[2]– سورة آل عمران . الآية: 103.

[3]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 391 .

[4]– سورة النور . الآية: 35.

[5]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 393 .

[6]– المصدر نفسه . ص: 233 .

[7]– سورة الفتح . الآية : 29.

لقد كانت نظرة ابن الخطيب إلى آيات القرآن الكريم نظرة شمولية، بحيث لم يقف عند نص الآية حرفيا، بل حاول أن يتعدى ذلك إلى الإشارة والإيماء، والاستفادة مما حمله القرآن لنا .

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

أما الجانب الآخر من جوانب الثقافة الدينية الذي هو الحديث الشريف، فقد استطاع ابن الخطيب أن يجعل حصيلته من الحديث رافدا لإبداعه الشعري، فقد ألفيت إشارات عديدة للحديث النبوي الشريف، وكيف ماثل ابن الخطيب تصويره نجد ذلك واضحا في مدح خير الورى :

وَإِنَّا اقْتَدَيْنَا فَاهْتَدَيْنَا بِصَحْبِهِ وَمَا صَحْبُهُ إِلاَّ النُّجُومُ اللَّوَائِحُ[1]

صور أصحاب الرسول ﷺ كالنجوم المضيئة في السماء، وهذا التصوير مستمد من قول الرسول ﷺ: (أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ)[2].

ويصور رحلته إلى البلاد المقدسة وحنينه إليها :

وَقُلْتُ لِجَفْنِي إِنْ دُعِيت لِعِبْرَةٍ فَسَاعِدْ بِهَا مَطْلُ الغَنِيِّ مِنَ الظُّلْمِ

وَلَمِ لاَ وَقَدْ حَلَّ الرُّكَابُ بِيَثْرِبَ وَبُؤْتُ بِشَحطِ الدَّارِ مِنْهَا عَلَى رَغْمِ[3]

فقد استلهم هذا المعنى من حديث الرسول ﷺ: (مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ) [4].

وكرر الحديث مرة أخرى في بيته هذا :

مَطْلُ الغَنِي ظُلْمٌ فَفِيمَ ظَلَمْتنِي؟ وَلَوَيْتِ دِينِي عَنْ وُجُودِي يَسَارِي[5]

وفي موضع آخر يستعين بقول الرسول ﷺ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)[6] .وذلك في قوله:

والمُستَعِدُّ لَمَّا يُؤَمَّلُ ظَافِرٌ وَكَفَاكَ شَاهِدُ قيدُوا وتوَكَّلُوا[7]

---

(1)–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 369 .

(2)– ينظر: موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة،ج2، جمع: علي حسن الحلبي وآخرون. ط1. مكتبة المعارف، الرياض، 1999م. ص : 56 .

(3)–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 575 .

(4)–ينظر:د.أ.ي، ونسينك.المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،ج4.ليدن، مكتبة بريل،1936م. ص:83.

(5)–لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 492 .

(6)–ينظر: د.أ.ي، ونسينك . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،ج4. ص:300.

(7)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 495 .

ج- التناص مع الموروث الشعري القديم:

تبدو ظاهرة التناص الشعري واضحة في المدائح النبوية لدى شاعرنا "ابن الخطيب"، حيث وازن في تضمينه ما بين المباشرة والإشارة ، ننظر إلى قوله :

فَقَوْلُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقًا عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبُ[1]

فقوله(عسى وطن يدنو) استمده من قول أبي تمام:

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّمَا وَإِنْ تعتب الأيام فِيهِمْ فربمَا[2]

أما بيته :

وتَحْتَمِلِ الرَّكْبَان طِيبَ حَدِيثِهِ فَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تزَودِي[3]

فالشطر الثاني مقتبس من بيت طرفة بن العبد الذي صدره:

"سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً" .

وكذلك قوله:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي وَالأَمَانِي ضَالَـةٌ وَقَدْ تُخْطِئُ الآمَالُ ثُـمَّ تُصِيبُ[4]

وهذا بالطبع تصوير استمده ابن الخطيب من قول الأعشى:

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءٍ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيُهْرَمِ[5]

لقد استطاع شاعرنا «إعادة إبداع ما سبق إبداعه»[6] فقد كون مناخا آخر لتلك الصور المشتركة فظهرت وكأنه هو منتجها،وهذا ما لا يعيب الشاعر مادام أنه قادر على إبراز تلك الصور« في أحسن كسوة »[7].

---

(1)- لسان الدين بن الخطيب . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:323 .

(2)-أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي .الديوان،ج3. شرح: الخطيب التبريزي . تحقيق: محمد عبده عزام. ط2. دار المعارف، القاهرة ، 1970م . ص: 272.

(3)- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 194 . ينظر: ديوان طرفة بن العبد، شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال . مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1970م .

(4)- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 321 .

(5)-الأعشى،ميمون بن قيس.الديوان.دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،1406هـ/1986م.ص:58.

(6)-منير سلطان. تشبيهات المتنبي ومجازاته. ط2. منشأة المعارف ، الإسكندرية، 1997م . ص:325 .

(7)- ابن طباطبا . عيار الشعر. ص : 76.

« فالمعنى القديم الذي يأخذه الشاعر ويطبعه شخصيته، ويحوره تحويرا فنيا، هو في الواقع شيء جديد يبعث في النفس إعجابا بالفن تماما كما لو كان هذا المعنى يطرق السمع لأول مرة »[1] .

ويقول من قصيدة، مديحية بدأها بمطلع خمري غزلي، كعادته في المديحيات:

صفراءُ تَصفرُ عَنْ حَبَابِ كؤُوسِهَا رَقَّتْ فَرَقَّ لَنَا الزَّمَانُ بذاتِهَا

مِنْ كَفِّ سَاجِيةِ الجُفُونِ كأنَّمَا هَبَّتْ وفِي الأجْفَانِ بعضُ سِنَاتِهَا

وَلِثَغْرِهَا عنْدَ ابْتِسَامِ أَقَاحِهِ بَدْرٌ تَأَلَّقَ فِي سنَـا وَجَنَاتِهَا

دعْ عَنْكَ هِندًا وَالدِّيَارَ ومَنْ بِهَا وَدَعِ الْغَرَامَ يكونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا[2]

فقد تأثر في هذه الأبيات، بل في المطلع كله، بقصيدة أبي نواس التي يقول فيها:

صَفْرَاءٌ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتَهَا لوْ مسَّهَا حجرٌ مستْهُ سرَّاءُ

قامَتْ بإبريقِهَا والليْلُ معتكرٌ فلاحَ مِنْ وجهِهَا فِي البيتِ لألاءُ

لتلْكَ أبْكِي ولاَ أبْكِي لمنزِلَـةٍ كانتْ تحل بِهَا هِنْدُ وأسمَـاءُ[3]

وكذلك في بيته هذا:

دعْ عَنْكَ هِندًا وَالدِّيَارَ ومَنْ بِهَا وَدَعِ الْغَرَامَ يكونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا [4]

كما أنه تأثر ببيت أبي نواس:

لاَ تَبْكِ لَيْلَى وَلاَ تطربْ إِلَى هِنْدِ واشربْ عَلَى الوردِ منْ حَمْرَاءِ كَالْوَرِدِ[5]

فالشعر العربي القديم له حظ وافر وأصبح أشبه ب«اختيار فني ومنهاج في التصوير»[6]

---

[1]– أحمد الصاوي . فن الاستعارة : دراسة تحليلية في البلاغة والنقد.(د.ط).الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية ، 1979م. ص : 252 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 326 .

[3]– أبو نواس ، الحسن بن هانئ الحكمي. الديوان، حققه وشرحه وفهرسه: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، لبنان،1422هـ/2002م . صص: 32-33.

[4]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 188 .

[5]– أبو نواس . الديوان . ص :267 .

[6]–قاسم الحسيني. الصورة الشعرية في إبداع ابن الخطيب.مجلة كلية الآداب، تطوان. صص:286-287.

د- التناص من خلال الأمثال والحكم :

يحتاج الشاعر إلى النظر في كتب الأمثال الواردة عن العرب نثرا ونظما، وذلك لما يتركز في منطوق المثل من معان ومفاهيم ودلالات جمة، فإذا أكثر الشاعر من حفظ الأمثال السائغ استعمالها انقادت إليه معانيها،وسيقت إليه ألفاظها،في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع والأحوال، فأودعها في مكانها، واستشهد بها في موضعها، والطريق في استعمالها في النثر كما في حل الأشعار واستعمالها؛إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها،ولا تغيير أوضاعها لأنها بذلك قد عرفت واشتهرت(1). يقول :

مَقَامُكَ حَيْثُ السُّحْبُ هَامِيةُ النَّدَى مَقِيلٌ لإِصْبَاحِ السُّرَى فِيهِ إِخْمَادُ(2)

فلعلنا نلحظ ما في هذا البيت من تضمين وإشارة إلى المثل المعروف:«**عند الصباح يحمد القوم السرى**»

(1)- يراجع: حديث القلقشندي عن وجه احتياج الكاتب إلى حفظ الأمثال وكيفية استعمالها في الكتابة، صبح الأعشى ، الجزء الأول، صص :346-354 .

(2)- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص:405 .

وينظر: الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد. مجمع الأمثال،ج1 ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1959م .ص : 344.

هـ- التناص مع التاريخ:

عندما يذكر التاريخ ضمن العمل الأدبي وخاصة الشعر منه يتبادر إلى أذهاننا سؤال:على أي نحو يمكن أن تقوم علاقة وثيقة ما بين التاريخ والشعر عند ابن الخطيب...؟ .

لعل مما يميز ابن الخطيب أنه جمع بين فني التاريخ والشعر، فكانت قصائده بوجه عام، و المدحة النبوية على وجه الخصوص مرآة لأحداث تاريخية،على اختلاف فتراتها وحقبها، فمنها ما يعود للعصور السالفة في محاولة منه لدعم المدحة النبوية فنيا ومعنويا بظلال تلك المرجعية التاريخية، ومنها ما يرمي من ورائها ابن الخطيب أن يكون في منزلة الشاعر المؤرخ، تلك المنزلة التي تضمن للشاعر أن يظل« قابعا في دائرة الشهادة التي يمكن أن نصفه من خلالها بأنه شاهد على عصره»[1].

فالمادة التاريخية القديمة شكلت دعامة قوية للمدحة النبوية خاصة،فقد استعان بها ابن الخطيب كثيرا في بناء المدائح النبوية، ولعل هذا التواجد المستمر للمادة التاريخية من خلال التناص معها، ينبع من فهم ابن الخطيب للتاريخ الذي يرى فيه « وسيلة لضم البشر، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعا وطبعا ما فيه،ويكتسبون بع عقل التجربة في حال السكون، ويستدلون ببعض ما يبدي الدهر ويخفيه،ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإيمان وينفيه، ويمر على مصارع الجبابرة فيحسبه بذلك واعظا ويكفيه»[2].

لقد ورد التناص التاريخي كثيرا في المدائح النبوية لابن الخطيب، وقد غلب عليه أن يكون باستحضار الشخصيات التاريخية مثل ما يقول في هذا البيت:

وَيَا عَجَبًا مِنِّي وَفرطَ تَشَيُّعِي   أهيمُ بِوَجْدِي فِيهِ وَهُوَ ابْنُ ملجمِ[3]

إنه استحضر شخصية ابن ملجم وهو قاتل علي(ض) بأبعادها التاريخية التي عرفت بالطغيان والظلم، وجعلها بذلك مقابلة لمن أولاه حبا وهام به وجدا .

---

[1]-عبد الله التطاوي. الشاعر مؤرخا.(د،ط).دار غريب، القاهرة، (د، ت). ص: 11.

[2]- لسان الدين بن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1. صص: 88-89 . وللمزيد حول مفهوم التاريخ عند ابن الخطيب، ينظر: محمد بن عبود. ابن الخطيب مؤرخا للأندلس في عهد الطوائف. مجلة كلية الآداب بتطوان. صص : 159-172.

[3]- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 569.

ويقول في بيت آخر:

نَالَ مِنْهَا عُقْبَى مُسَيْلِمَةَ[1]الكَذَّ ... ابِ إِذْ عَانَدَ الهَوَى، وَسَجَاحِ[2]

كما ذكر شخصية إيوان كسرى في أبياته هذه وهو يمدح النبيﷺ:

أَشَادَتْ بِهَا الكُهَّانُ قَبْلَ طُلُوعِهَا ... وَمِنْ هَوْلِهَا إِيْوَانُ كِسْرَى قَدِ[3]انْهَدَا

وَعَاجَلَ بِالإِخْمَادِ نِيرَانَ فَارِسٍ ... فَلَمْ تُرَ لِلنِّيرَانِ مِنْ بَعْدِهَا وَقْدَا

وَأَتَتْ عَلَى إِيْوَانِ كِسْرَى رَجَّةٌ ... هَدَّتْ قَوَاعِدَهُ وَكَانَ مَشِيدَا

وَإِيْوَانُ كِسْرَى أَسْرَعَتْ شُرُفَاتُهُ ... وَقَدْ عَايَنَتْ مَا عَايَنَتْهُ إِلَى الهَدْمِ

---

[1]– مسيلمة الكذاب:هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، كنى أبا ثمامة، ادعى النبوة في زمن الرسولﷺ، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم«بالحبيلية» بالقرب من «العيية» بوادي حنفة في نجد، وكان يلقب في الجاهلية بالرحمان وعرف برحمان اليمامة، ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة العربية وفتح الله لنبيه مكة، جاء وفد بني حنيفة يعلن إسلامه، وعندما عاد الوفد إلى اليمامة كتب مسيلمة إلى محمدﷺ رسالة يعلمه بأنه أشرك معه: النبوة، وأن له نصف الأرض ولقريش النصف الآخر، فأجابه الرسول برسالة وصفه فيها بالكذاب، وأعلمه أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وأن العاقبة للمتقين. وادعى مسيلمة بأن الوحي ينزل عليه بآيات شبيهة بالقرآن–في نظره– وفي عهد أبي بكر–رضي الله عنه– بعث إليه الجيش على رأسه خالد بن الوليد، فاقتتل الفريقان اقتتالا شديدا استشهد فيه من المسلمين ما يزيد عن الألف، وانتهت المعركة بانتصار جيش المسلمين بقيادة خالد، وقتل مسيلمة وذلك في عام 12هـ، وكان مسلمة ن المعمرين، ضئيل الجسم، وقال أن اسمه هارون، ومسيلمة لقبه، وتوفي عام 12هـ633م . ينظر: الزركلي. الأعلام ،ج8. صص: 125–126 .

سجاح : سجاح بنت الحارث التميمية،زوجة مسيلمة، شاعرة،عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها، ادعت النبوة، كان لها علم بالكتب السماوية،لما بلغها بنأ مقتل زوجها أسلمت، وهاجرت إلى البصرة، وبها توفيت عام 675 م. ينظر: غربال، محمد شفيق. الموسوعة العربية الميسرة.دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة ، 1965م . ص : 970.

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. ص:394.

[3]–هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى أنو شروان، يقع جنوب مدينة بغداد في موقع مدينة قسيفون الذي يقع في منطقة المدائن في محافظة واسط بين مدينة الكوت ومدينة بغداد وتعرف محليا لدى العامة بـ سلمان باك على اسم الصحابي الشهير سلمان الفارسي المدفون هناك، و يشيع بين بعض المسلمين أنه عند ولادة الرسول انطفأت نار الفرس المجوس التي كانت موقودة دوما في الإيوان منذ آلاف السنين وانشق حائطه.

وأَخْبَرَ شَقٌّ[1]أَنَّ فِي الأَرْضِ عِنْدَهَا ... طُلُوعَ نَبِيٍّ طَاهِرِ الأَبِ وَالأُمِّ[2]

إذن شاعرنا ابن الخطيب استطاع أن« يعقد حوارا مع نصوص أخرى متنوعة القائلين ومختلف الأزمنة والأمكنة »[3] .

---

[1]–شق: من أشهر كهان الجاهلية، يذكر في الأساطير مع زميله‹ **سطيح**›، وكان‹ **شق**›، بيد واحدة، ورجل واحدة، وهو من المعمرين .

[2]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . الصفحات :483–488–577.

[3]– محمد مفتاح . دينامية النص.(د،ط). الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ،(د، ت). ص :89. وذلك الحوار ليس من واقع ما يسمى بالسرقات لاسيما فيما يتعلق بالأدب على وجه الخصوص فقد (كثر الجدل حولها قديما وحديثا بحيث إن كثيرا مما اصطلح على تسميته «سرقة أدبية» يمكن أن يكون من باب التناص أو تداخل النصوص المباشرة أو غير المباشرة ، أو التخاطر«التقاء الخواطر» أو غير ذلك)، أحمد الزغبي . التناص التاريخي والديني. مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية رؤيا لهاشم غرابية ، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، العدد الأول، المجلد الثالث عشر، 1995م . ص : 176.

II- ابن جابر:

لقد حاول ابن جابر أن يضفي على مدائحه النبوية شيئا من القداسة، والتقليد، والتاريخ وذلك من خلال تضمينه تراكيب من القرآن الكريم، وأخرى من الحديث النبوي الشريف، وكذا من الشعر العربي القديم وبعض الأحداث التاريخية. ونرى بأن هذا التضمين يشكل« رافدا من روافد التناص... وعامل إثراء وتعميق للرؤيا الشعرية »[1]. وقد سار ذلك على نمطين، إما أن يكون بشكل مباشر أو غير مباشر.

أ- التناص القرآني: لقد حذا ابن جابر حذو معاصره ابن الخطيب، من الاعتماد على المصادر الإسلامية في بناء مدائحه النبوية،وهذا من خلال تناص أبياته مع القرآن الكريم وهذا ما بدا جليا في ديوانه"نظم العقدين في مدح سيد الكونين" حسب الجدول:

الرقم	البيت الشعري	التناص مع القرآن
01	**يَا مَنْ تَدَانَى قَابَ قَوْسَيْنِ* ومن** **قِيلَ لَهُ سَلْ تُعْطَ قَدْ نِلْتَ الرِّضَا** **وَقَابَ قَوْسَيْنِ كَانَ قُرْبًا** **عِزًّا مِنَ اللَّـهِ وَاحْتِفَـاءَ** **تَدَانَى فَأَضْحَى قَابَ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا** **فَمَا زَالَ يَرْقَى وَهُوَ مُخْتَرِقُ الْحُجْبِ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين.الصفحات:55-30-73. *ما بين المقبض وطرفه، و قاب قوسين: كناية عن القرب.	قال المولى عز وجل (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى،فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) . النجم .الآيتان:8-9.
02	**شَفَى بَعْدَمَا وَافَى وَنَحْنُ عَلَى شَفَا** **فَكَانَ لِدَاءِ الْجَهْلِ خَيْرَ دَوَاءِ** المصدر نفسه . ص: 34 .	. (..وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ...). آل عمران .الآية:103 .
03	**أَمَرْتُكَ فَاصْدعْ بِالَّذِي قَدْ أُمِرْتَ لاَ** **تَخَفْ لَكَ مِن حِفظِيْ أَتَمُّ وِقَاءِ** المصدر نفسه . ص: 35 .	(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ). الحجر.الآية: 94 .

[1]-عبد العاطي كيوان. التناص القرآني في شعر أمل دنقل. ط1. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر. 1998م . ص :39 .

الرقم	البيت الشعري	التناص مع القرآن

04	إِلَى الخلقِ أَرْسَلْنَاكَ طُرًّا فَمن يُجِبْ دُعَاكَ فَمَكْتُوبٌ مِنَ السُّعداءِ المصدر السابق. ص: 35	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَةً لِلنَّاسِ...). سبأ . الآية : 28 .
05	إِلَى أُمَّةٍ أَنتَ الشَّهِيدِ عَليهُمُ وأجعلُهُمْ يَومَ الجَزَا شُهَدَائِي المصدر نفسه . ص: 35 .	(...لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...). البقرة.الآية :143.
06	مَصُونًا عَنِ الفَحشَاءِ لاَ ينطقُ الهوَى وَلاَ أحدًا أجَلَّ الرسلِ دونَ مِرَاءِ المصدر نفسه . ص: 37 .	(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى). النجم .الآيتان :3-4.
07	يلقَاكَ مِنْهُم كُلُّ وجْهٍ مُشْرِقٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ إِذَا اللَّيْلُ سَجَا المصدر نفسه . ص: 43 .	(وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى). الضحى .الآية :2.
08	وسبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِ مَنْ سَقَى صَوْبَ الْحَيَا فَقَالَ لِلأَرْضِ لَعَا المصدر نفسه . ص: 56 .	(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ...). الرعد . الآية :13.
09	مَا أَقْبَحَ اللهْوَ عَلَى المَرْءِ إِذَا مَا اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مَشِيبًا وَاكْتَسَى المصدر نفسه . ص: 60 .	(...وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا...). مريم . الآية :4 .
10	وَمَا زَاغَ مِنْ قَلْبٍ وَلاَ بَصَرٍ لَهُ عَلَى مَا رَأَى فِي ذَلِكَ الْحِينِ منْ عُجْبِ المصدر نفسه . ص: 73 .	(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى). النجم . الآية :17 .
11	إِنَّ الشَّدَائِدَ لاَ تُقَصِّرُ مُدَّةً وَمَوَاعِدُ الآجَالِ لَنْ تَتَقَلَّبَا المصدر نفسه . ص: 81 .	(...فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ). الأعراف . الآية :34 .
12	بَدَّلَ عزَّ العداةِ ذُلاً لَمْ تُغْنِ عُزَّى لَهُمْ وَلاتُ المصدر نفسه . ص: 93 .	(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى).النجم.الآية:19
13	وَمِنْ عَلاَمَاتِهِ أَتَتْ فِي* إِنْجِيلِ عِيسَى مُبَشِّرَاتُ المصدر نفسه. ص: 94 .	(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...). الصف.الآية :06 .
14	مَا كَانَ مَا قَالَهُ حَدِيثًا	(...مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى...).

	فِيهِ افْتِرَاءٌ وَلاَ افْتِتَاتُ المصدر السابق . ص: 94 .	يوسف . الآية :111 .
15	فَذَا بالشَّرْقِ مَاتَ وَذَا بِغَرْبٍ وَعِنْدَ اللَّهِ مُجْتَمعٌ وَمأْتى المصدر نفسه . ص: 101 .	(...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...). لقمان . الآية :34 .
16	ورَدَّ عَلَيْهم قَائِلاً لِيْسَ شَاعِرًا وَلاَ كَاهِنًا بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ ينفُثُ المصدر نفسه . ص: 109 .	(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ). الحاقة . الآيتان :41-42 .
17	وَكَذَّبَهُمْ إِذْ قَالَ لَيْسَ بِكَاهِنٍ وَلَيْسَ بِمَجْنُونٍ وَلاَ هُوَ يَعْبَثُ المصدر نفسه . ص: 109 .	(فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ). الطور. الآية :29 .
18	وَفِي الغَارِ أَضْحَى ثَانِيَ اثْنَيْنِ قَائِلاً لِصَاحِبِهِ لاَ تَخْشَ فَاللَّهُ ثَالِثُ المصدر نفسه . ص: 113 .	(...إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...). التوبة . الآية :40 .
19	زففتُ لَهُ أَبكَارَ مَدْحٍ وَعَذْبَنِي بِأَبْكَارِ حُورٍ لَمْ يَنَلْهُنَّ طَامِثُ المصدر نفسه . ص: 114 .	(...لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ). الرحمن. الآيتان :56-64.
20	سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى بِهِ مِنْ بَيْتِهِ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى بليْلٍ قَدْ دَجَا المصدر نفسه . ص: 122 .	(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ...). الإسراء . الآية :01 .
21	وَمَهْمَا رَأَتْ عَيْنِي مَحَاسِنَ أَرْضِهَا فَمَا الجَانِبُ الغربِيُّ*عِنْدِيَ وَمَا الْكرخُ *أي جانب الجبل الغربي الذي أعطى فيه موسى التوراة . المصدر نفسه . ص: 154 .	. (..وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ...). القصص . الآية :44 .
22	إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ خَابَ العدَا وَلَوْ عَلَتْ بِهِمْ فِي الجَوِّ عقبانُهُ الفُتْخُ المصدر نفسه. ص: 155 .	(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ). النصر . الآية :1 .
23	فَمَا العَصَا حيةً تَسْعَى بِأَعْجَبَ مِنْ شَكْوَى البَعِيرِ ولاَ من مَشْيَ أَشْجَارِ المصدر نفسه. ص: 246 .	(فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى). طه . الآية :20 .
24	نَزَلْنَا وَقُلْنَا سَوْفَ يرحمُ رَبُّنَا	(...سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا).

	وَيَجْعَلُ بَعْدَ الْعُسْرِ فِي أَمْرِنَا يُسْرَا المصدر السابق. ص: 251 .	الطلاق . الآية :7 .
25	وَمَا شَكَّتِ الكُفَّارُ فِي صدْقِ قَوْلِهِ وَلكنَّهُ الشَّيْطَانُ أَزَّهُمْ أَزَّا المصدر نفسه . ص: 280 .	(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا). مريم . الآية :83 .
26	كُنَّا بِهِ خَيرَ أُمَّةٍ جُعِلَتْ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ أُمَّةً وَسَطَا المصدر نفسه . ص: 314 .	(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...). البقرة . الآية :143 .
27	شَفَى وَكُنَّا عَلَى شَفَا جُرُفٍ فَحُبُّهُ فِي القُلُوبِ قَدْ صُبِغَا المصدر نفسه . ص: 352 .	(...أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...). التوبة . الآية :109 .
28	إِذَا قَرَأْتَ آيَ القِتَالِ سُيُوفُهُ جَعَلْنَ عَلَى إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ الْوَقْفَا هَذَا الَّذِي نَزَلَتْ صِدْقًا لِمَوْعِدِهِ إِنَّا فَتَحْنَا فَسُرَّ القَوْمُ وَابْتَهَلُوا المصدر نفسه . صص: 357-418.	(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا). الفتح . الآية :1 .
29	لَيْسَ لِي غَيْرُهُ غَدًا مِنْ شَفِيعِ عِنْدَمَا تَبْلُغُ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ فَأَدْرِكُوا عَبْدَكُمْ بِوَصْلٍ قَدْ بَلَغَتْ رُوحُهُ التَّرَاقِيَ المصدر نفسه . صص: 377-384 .	(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ). القيامة . الآية :26 .
30	وَلَقَدْ كَفَى مَا ضَلَّض صَاحِبُكُمْ وَمَا كَذَبَ الفُؤَادُ لِمَنْ بِهِ يَتَحَقَّقُ المصدر نفسه . ص: 390 .	(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى).النجم.الآية:2 (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى). النجم .الآية :11.
31	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ذِي بَيَانٍ وَانْسِبَاكِ المصدر نفسه . ص: 398 .	(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء .الآية :195.
32	اللَّهُ أَقْسَمَ فِي القُرْآنِ أَنَّكَ مَا قَلاَكَ يَوْمًا كَمَا قَالُوا وَلاَ وَدَعَكَ المصدر نفسه . ص: 401 .	(وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) الضحى .الآيتان :1-2 .
33	ذلَّتْ لَهُ الْجِنُّ لمَّا أُسْمِعَتْ عَجَبًا	(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ

	يهْدِي إِلَى الرُّشْدِ لَمْ تَسْمَعْهُ فِي الأُوَلِ المصدر السابق. ص: 484 .	فَقَالُوا إِنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) الجن .الآيتان :1-2 .
34	ذُو مِرَّةٍ فَاستَوَى حَتَّى دَنَا فَرَأَى وَقِيلَ سَلْ تُعْطَ قَدْ خُيِّرْتَ فَاحْتَكِمِ المصدر نفسه . ص: 494 .	(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ فِي بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) النجم .الآيات :5-6-7-8 .
35	لَيْسَ الكهَانَةَ مَا جَاءَ الأَنَامَ بِهِ وَلَيْسَ سِحْرًا وَلاَ شِعْرًا مِنْ الكَلِمِ المصدر نفسه . ص: 504 .	(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ) الطور .الآية :29.
36	وَإِنمَّا هُوَ قُرْآنٌ تَنَزَّلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ يَجْلُو قَلْبَ كُلِّ عَمِي المصدر نفسه . ص: 504 .	(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف .الآية :2.
37	عَنْ قَابَ قَوْسَيْنِ رَبُّ الْعَرْشِ خَاطَبَهُ وَشَاهَدَ الآيَةَ الكُبْرَى فَلَمْ يَهِمِ المصدر نفسه . ص: 504 .	(فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى) النازعات .الآية :20.
38	فَثَبَّتَ اللَّهُ قَلْبًا مِنْـهُ طَهَّرَهُ عَنِ الْهَوَى فَبِغَيْرِ اللَّهِ لِمْ يَقُمِ المصدر نفسه . ص: 504 .	(...كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) الفرقان .الآية :32.
39	فَمِنْ عطَايَاهُ مَا حَازَ الوُجُودُ وَمِنْ عُلُومِهِ مَا وَرَاءَ الْغَيْبِ مِنْ عَلَمِ المصدر نفسه . ص: 505 .	(عالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا،إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...) الجن .الآيتان :26-27.
40	كُنَّا بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ خُلِقَتْ قَدْ حَقَّنَا جَاهُهُ وَشَرَّفَنَا المصدر نفسه . ص: 521 .	(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...) آل عمران .الآية :110.
41	ذُو لِوَاءِ الْحَمْدِ وَالمَوْقِفِ المَحَ مُودِ إِذْ يَفْتَرِقُ الصَّاحِبَانْ المصدر نفسه . ص: 525 .	(الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المُتَّقِينَ...) الزخرف .الآية :67.
42	وَلَقَدْ شرِبْتُ مِنَ المَحَبَّةِ أَكْؤُسًا مَا فِي مُدَامَتِهِنَّ مِنْ لَغْوِ المصدر نفسه . ص: 537 .	(يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ) الطور .الآية :23.
43	لاَ يُغِيثُ ابْنٌ أَبَا فِيـهِ وَلاَ	(...وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا...)

	وَلَدٌ يُغْنِيهِ فِيهِ وَالِدَاهُ المصدر السابق . ص: 553 .	لقمان .الآية :33.
44	**رَمَى بِحَصَا قَدْ سَبَّحَتْ فِي بَنَانِهِ** **إِلَى الْعُدوةِ القُصْوَى مِنَ العُدْوَةِ الدُّنْيَا** المصدر نفسه . ص: 599 .	(إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى...) الأنفال .الآية :42.
45	**شَافِعُ لِلْخَلْقِ إِذْ لاَ تَرَى** **وَلَدًا يَذْكُرُهُ الْوَالدانْ** المصدر نفسه . ص: 525 .	(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...) الحج .الآية :2.
46	**وَمَا كَانَ إِلاَّ رَحْمَةً عَمَّتِ الْوَرَى** **وَسِتْرًا عَلَى الأَيْتَامِ وَالضُّعفَاءِ** **إِلَى السيِّدِ الْمَبْعُوثِ للنَّاسِ رَحْمَةً** **شَفِيعِ الوَرَى حَسْبِي مَلاَذًا بِهِ حَسْبِي** **مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً** **فَكَمْ خَلَلٍ سوَّى وَكَمْ خَلَّةٍ سَدَّا** **فَأَنْتَ الَّذِي للخلْقِ أُرسِلْتَ رَحْمَةً** **فَأَقْبَلْتَ تَدْعُو للرشَادِ القَبَائِلاَ** المصدر نفسه . ص: 35-72-194-422.	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ...) الأنبياء .الآية :107.

فما يلاحظ على الجدول هو اعتماد ابن جابر على التناص مع النص القرآني في كل مدائحه النبوية تقريبا، ويضطر أحيانا إلى إعادة الأبيات وتضمينها آيات قرآنية من خلال التضمين المباشر أو غير المباشر. فقد كرر عدة مرات اقتباس الآيات التالية:

1- (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى.فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) . النجم .الآيتان:8-9 .

2- (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ...) . الأنبياء .الآية :107.

3- (كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) القيامة . الآية :26 .

4- (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) .الفتح . الآية :1 .

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف: أما تضمين تراكيب الحديث النبوي الشريف. فقد اعتمد عليه شاعرنا كثيرا،وجعله رافدا من روافد الإبداع الشعري عنده . والجدول التالي يوضح لنا ذلك :

الرقم	البيت الشعري	التناص مع الحديث النبوي الشريف
01	**هِيَ هَذِهِ الخَمْسُ الَّتِي لَمْ يُعْطَهَا** **أَحَدٌ سِوَاكَ لِيَحْصُلَ الإِرْضَاءُ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص:25.	قال ﷺ:**(أُوتيْتُ خَمْسًا لَمْ يُؤْتهنَّ نَبِيٌّ كَانَ قَبْلِي: نُصرتُ بِالرُّعْبِ فَيرعبُ منِّي العَدوُّ عنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وجُعلتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطهورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، ولَمْ تُحَلْ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْودِ، وَقِيلَ لِي: سلْ تعطه، فاختبأتُهَا شَفَاعَةً لأُمَّتِي)** **مسند أحمد 145/5.**
02	**اَخْتَارَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ لَمْ** **يُخْلُقْ عَلَى الأَرْضِ أَنْبِيَاءَ** المصدر نفسه . ص: 30 .	قال ﷺ:**(إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لخَاتمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آَدَمَ لمتجدلٌ فِي طِينَتِهِ).** دلائل النبوة 49/1
03	**كَانُوا كَمِثْلِ البِنَاءِ أَضْحَى** **مُكَمِّلاً ذَلِكَ البِنَاءَ** المصدر نفسه . ص: 30 .	قال ﷺ:**(إِنَّمَا مِثْلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَمِثْلِ رجلٌ بنى بنيَانًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضعَ لَبِنَةٍ، فجعلَ النَّاسُ يقفُونَ بِهِ وَ يَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا لَوْلاَ مَوْضِعُ هَذِهِ اللَّبِنَةِ، أَلاَ فَكُنْتُ تِلْكَ اللَّبِنَةَ).** دلائل النبوة 49/1
04	**مَا أَبْصَرَتْ فِي الْوُجُودِ عينٌ** **أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِهِ بَهَاءَ** المصدر نفسه . ص: 32 .	عن أبي هريرة(ض):**(مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ).**
05	**فَلَمْ يُكُنْ مِمَّنْ إِذَا حَجَّ جَفَا** **بَل يَمَّمَ الْقَبْرَ وَزَارَ وَاعْتَنَى** المصدر نفسه . ص: 54 .	قال ﷺ:**(مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي)** المقاصد الحسنة:643-669.
06	**وَتَعْلَمَ أَنَّمَا الدُّنْيَا مَنَامٌ** **فَأَحْلَى مَا تَكُونُ إِذَا انْتَبَهْنَا**	قال علي بن أبي طالب: **(النَّاسُ نِيَامٌ إِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا)** المقاصد الحسنة :691

	المصدر نفسه . ص: 98 .	
07	**يَا مَنْ جَرَى مِنْ كَفِّهِ الْمَاءُ وَمَنْ** **حَنَّ لَهُ الْجِذْعُ وَسَبَّحَ الْحَصَى** المصدر السابق . ص: 54 .	قال أبو ذر الغفاري: **(إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ** ﷺ**...وَفِي يَدَيْهِ حصياتٌ فسبَّحْنَ فِي يَدِهِ)** دلائل النبوة .432/2.
08	**وَرَأَى الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ إِذْ لَهُ** **زُوِيَ الوجُودُ بِشْرْقِهِ وَبِغَرْبِهِ** المصدر نفسه . ص: 68 .	قال ﷺ:**(...إِنَّ اللَّهَ زُوِيَ لِي الأَرْضُ،فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا،وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ ملكهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...)** سنن الترمذي .472/4.
09	**وتَضَعْضَعَ الإِيْوَانُ خَوْفًا فَاغْتَدَى** **كِسْرَى كَسِيرًا بَالُهُ مِنْ كَرْبِهِ** المصدر نفسه . ص: 69 .	من حديث شريف:**(...لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا الرَّسُولُ** ﷺ**انْكَسَرَ كِسْرَى،وَسَقَطَتْ مِنْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ شرفَةً، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ،وَلَمْ تخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ...)** دلائل النبوة .139/1.
10	**أَعْطَى إِلَى أَنْ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدًا** **يُعْطِي عَطِيَّةً آمِنٍ أَنْ يُحْوَجَا** المصدر نفسه . ص: 123 .	جاء في حديث:**(...إِنَّ مُحَمَّدًا يعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخَافُ الْفَقْرَ...)** صحيح ابن حبان 354/10 .
11	**وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّ أَمَنَّكُمُ** **عَلِيَّ أَبُو بَكْرٍ وَأَوْفَى بِمَوْعِدِ** المصدر نفسه . ص: 160 .	إشارة إلى حديث الرسول ﷺ:**(مَا مِنْ أَحَدٍ أَعْظَمُ عِنْدِي يَدًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ...)** مجمع الزوائد . 46/9
12	**لَكَانَ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخَوَّةٌ** **فِي الإِسْلاَمِ مَهْمَا يُنْقِصُ النَّاسُ تَزْدَدِ** المصدر نفسه . ص: 161 .	قال ﷺ:**(لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر،ولكن إخاء ومودة إلى يوم القيامة)**. مجمع الزوائد .9 /45
13	**وَلاَ سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا قَدْ اغْتَدَى** **لَهُ سَالِكًا مِنْ خَوْفِهِ الْمُتَزَيِّدِ** المصدر نفسه . ص: 162 .	قال ﷺ لعمر:**(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِكَ)**. صحيح مسلم.2 /234.
14	**فَأَقْبَلَ يَبْكِي قَائِلاً كَيْفَ غِيرَتِي** **عَلَيْكَ وَلَوْ أَنْتَ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي** المصدر نفسه . ص: 162 .	قال ﷺ:**(دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا لِعُمَر بن الخطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ فذكرتُ غيرتكَ،فَبَكَى عُمَرُ،وَقَالَ:أَيْ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكَ يُغَارُ)**.صحيح مسلم.4 /1862.

15	**فَأَوَّلَهُ العلمَ الَّذِي مِنْهُ نَالَهُ** **وَأَوَّلَ رُؤْيَا الدلْوِ حُسْنَ التَّأَيُّدِ** المصدر السابق . ص: 162 .	روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله:(**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذَا رَأَيْتُ قدحًا أتُيْتُ بِهِ، فِيهِ لَبَنٌ، فَشَرِبتُ حَتَّى لأَرَى الري يَجْرِي فِي أَظَافِرِي،ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَر بن الخطابِ،قَالُوا: فَمَا أَوَّلت ذلكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْعلمُ**) الرياض النضرة .245/1.
16	**وَمِمَّا رَوَوا إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي فَتَى** **يُحَدَّثُ فَالفَارُوقُ مِنْ ذَاكَ فَاعْدُدِ** المصدر نفسه . ص: 163 .	قال صلى الله عليه وسلم:(**...قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ محدثُونَ (مُلْهَمُونَ)، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بن الخطَّابِ مِنْهُم**) صحيح مسلم .1864/4.
17	**فَهُنَاكَ أَنْتَ مِنَ الجِنَانِ بِرَوْضَةٍ** **كَرُمَتْ فَمِنْ نَارِ الجَحِيمِ تُعِيذُ** المصدر نفسه . ص: 207 .	قال صلى الله عليه وسلم:(**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**) صحيح البخاري .399/1.
18	**وَكُنْ بِصحبِ رَسُولِ اللَّهِ مُقْتَدِيًا** **فَإِنَّهُمْ لِلْهُدَى كَالأَنْجُمِ الزُّهُرِ** المصدر نفسه . ص: 215 .	قال صلى الله عليه وسلم:(**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ،فَبِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ**) كشف الخفاء .147/1.
19	**إِنَّ اللِّسَانَ تكبُّ النَّاسَ عَثْرَتُهُ** **عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ فَاحْتَظِرِ** المصدر نفسه . ص: 215 .	قال صلى الله عليه وسلم:(**وَهَلْ يكبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**) مسند أحمد .231/5.
20	**خُذْ مِنْ فَرَاغِكَ قَبْلَ الشُّغْلِ مُجْتَهِدًا** **وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَاخْتصرِ** المصدر نفسه . ص: 217 .	قال صلى الله عليه وسلم:(**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابُكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصَمْتُكَ قَبْلَ سقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتُكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**) . المستدرك على الصحيحين .341/4.
21	**أَضْحَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ كَمَا** **رَوَوا وَحَسْبُكَ مِنْ فَخْرٍ لمفتخرِ** المصدر نفسه . ص: 220 .	قال صلى الله عليه وسلم لعلي:(**أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ فِي بِمنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**) . صحيح مسلم .18871/4.
22		إشارة إلى الحديث:(**مَنْ زَارَ قَبْرِي وُجِبَتْ**

	زِيَارَةُ خَيْرِ المُرْسَلِينَ بَرَاءَةٌ لَدَى الْحَشْرِ مِنْ نَارٍ قَدْ التَهَبَتْ حَرًّا المصدر نفسه . ص: 263 .	لَهُ شَفَاعَتِي) . المقاصد الحسنة .647.
23	وَصَلاَةَ اللَّهِ بَلِّغْهُ تَفُزْ مَرَّةً بِالْعَشْرِ تُجْزَى وَتُوَازَى المصدر السابق . ص: 279 .	قال ﷺ:(مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) . صحيح مسلم .2068/4.
24	هَذَا هَوَ ابْنُ ذَبِيحِ اللَّهِ وابنُ خَلِيـ لِ اللَّهِ وابْنُ خِلاَلٍ مَا بِهَا خَلَلُ هَذَا هُوَ ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ*اللَّذَيْنِ هُمَا أَوْفَى وَأَصبَرُ مَنْ يُبْلَى فَيَحْتَمِلُ * هما إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ . المصدر نفسه . ص: 412 .	قال الرسول ﷺ:(أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ) . البيان والتعريف .293/1.
25	هَذَا الَّذِي عِنْدَمَا ذُو العَرْشِ خَيَّرَهُ مَا اخْتَارَ إِلاَّ الَّذِي يَبْقَى وَيَتَّصِلُ المصدر نفسه . ص: 420 .	قال الرسول ﷺ:(إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيهِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهَ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهَ) . مشكاة المصباح.546/2.
26	فَأَنْتُمْ شُهُدَاءُ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلٍّ شَهِيدٌ فَمَهْمَا شِئْتُمْ طُولُوا المصدر نفسه . ص: 433 .	قال ﷺ:(أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ). فتح الباري.229/3.
27	وَقَوْلُهُ لِمُعَاذٍ إِنْ تَعِشْ سَتَرَى هَذَا جِنَانًا فَلَمْ يُخْلِفْ وَلَمْ يُطِلِ المصدر نفسه . ص: 482 .	قال ﷺ لمعاذ عند عين ماء ضعيفة في تبوك:(يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا) . صحيح مسلم.1784/4.
28	أَبْقَى لَنَا مِنْهُمَا مَالاَ تَضِلُّ بِهِ وَمِنْ صَحَابَتِهِ الهَادِينَ لِلسُّبُلِ المصدر نفسه . ص: 484 .	قال ﷺ:(...مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تضلُّوا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ) . الإحكام لابن حزم .243/6.
29	فَالْعُرْبُ خَيْرُ أُنَاسٍ ثُمَّ خَيْرُهُمْ قُرَيْشُهُمْ وَهْوَ فِيهِمْ خَيْرُ خَيْرِهِمْ المصدر نفسه . ص: 501 .	عن ابن عمر قال ﷺ:(إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ العُرْبُ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ قَرَيْشًا، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمَ، فَاخْتَارَنِي، وَلَمْ أَزَلْ

		خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ...) . وسائل الوصول:49 .
30	**يَوْمَ تَعُومُ الْجُسُومُ فِي عَرَقٍ** **فَيَشملُ النَّاسَ رَوْعَةٌ وَعَنَا** المصدر السابق. ص: 521 .	قال ﷺ:(**...لَمْ تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ (أي يَوْمَ القِيَامَةِ) فيغرقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يبلغُ عَرَقَهُ كَعْبَيْهِ...وَمِنْهُمْ مَنْ يبلُغْ وَسَطَ فِيهِ وَأَشَارَ** ﷺ **بِيَدِهِ فَأَلجمَ فَاهُ...**) . صحيح ابن حبان324/16 .

استطاع ابن جابر أن ينهل من رافد آخر وهو الحديث النبوي الشريف، فوقفنا على إشارات عديدة جدا للحديث النبوي الشريف في المدائح النبوية .

فعلا لقد اتسعت المعارف الإسلامية لابن جابر لتستوعب الحديث النبوي الشريف ليرسم مدى الحب والإخلاص الذي يكنه للنبيﷺ وتأثره بالأحاديث في مدائحه النبوية.

تتبوأ المصادر الإسلامية بوصفها مصدرا من ثقافة الشاعرين، ابن جابر وابن الخطيب مكانة متقدمة بين بقية المصادر، وهو تقدم يبدو منطقيا في ظل المعتقد الديني والنشأة التي نشأ عليها كل واحد منهما.

لقد حاول الشاعران من خلال المدائح النبوية أن ينوعا من المصادر الإسلامية في شعرهما، فنجد القرآن الكريم أولا، ثم يليه الحديث، وهذه المصادر الإسلامية تسري في عقل ووجدان الشاعرين، الأمر الذي جعل المدحة النبوية عندهما تحفل بالعديد من الصور والمعاني ذات الطابع الإسلامي.

« فالقرآن الكريم على رأس المصادر الإسلامية التي ظهرت بشكل مكثف في المدحة النبوية ولعل التنوع في طريقة الأخذ من القرآن الكريم زاد جمالا إلى جمال»[1].

وعليه نقول إن كلا من ابن الخطيب وابن جابر، كان القاسم المشترك الذي جمعهما هو اشتراكهما في النزعة الإسلامية، وهذا من خلال الاستفادة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كمصدر ثقافي في بناء المدائح النبوية، من خلال النظرة الشمولية إلى آيات القرآن، سواء الوقوف عند نص الآية حرفيا أو من خلال الإشارة والإيماء .

---

(1)– سعيد بن مسفر بن سعيد العاصمي المالكي.المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي: البعد و

التشكيل. رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة ، السعودية، 1422هـ/1423هـ.ص:21.

ج- التناص مع الموروث الشعري القديم:

تبدو ظاهرة التناص الشعري جلية في مدائح ابن جابر النبوية، إذ دفعته طبيعته الشاعرة إلى الاستعانة بالشعر العربي القديم.إذ حرص على تضمين عدد كبير من أبيات الشعر لشعراء كثيرين جاهليين وعباسيين، والحق أن«الإعجاب بالقديم والإفادة منه، والحرص على تقاليده سمات بارزة في تاريخ الآداب الإنسانية بوجه عام...فالفنان الجيد هو الذي لا يولي ظهره إلى التراث، وليس في هذا غض من فنه أو أصالته»(1).

ولذلك فلا غرابة أن تتسرب مثل تلك الصور من تلكم المصادر البيانية إلى مدائح شاعرنا ابن جابر.

الرقم	البيت الشعري	التناص مع الشعر العربي القديم
01	**صَغُرَتْ كِبَارُ ذُنُوبِهِ لَمَّا أَتَى** **وَلِعَظْمِ جَاهِكَ تَصْغَرُ الأَشْيَاءُ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص:24.	أفاد من بيت المتنبي **وَتَعظمُ فَي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا** **وَتَصغرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ العَظَائِمُ** ديوان المتنبي. 379/3.
02	**إِنَّا بَنُو الْمَوْتَى فَكَيْفَ نَخَافَ مَا** **لاَ بُدَّ مِنْ كَاسَاتِهِ أَنْ نشربَا** المصدر نفسه . ص: 81 .	أفاد من بيت المتنبي **نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا** **نَعَافُ مَالاَ بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ** ديوان المتنبي 211/1.
03	**حَاكَمْتُ نَفْسِي إِلَى نَفْسِي فَمَا سَمِعَتْ** **كَيْفَ الخَلاَصُ وَخَصْمِي قَدْ غَدَا حَكَمِي** المصدر نفسه . ص: 506 .	إشارة إلى قول المتنبي **يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي** **فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ** ديوان المتنبي 366/3.
04	**وَكَانَ طَوِيلَ الْبَاعِ فِي البَأْسِ وَالنَّدَى** **كَرِيمًا مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ يرفَدِ** المصدر نفسه . ص: 177 .	مماثل لبيت طرفة بن العبد **وَلَسْتُ بِحَلاَلِ التِّلاَعِ مَخَافَةً** **وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدُ الْقَوْمُ أَرْفِدِ** الزوزني.شرح المعلقات السبع. ص :56.

[1]–حسن طبل .المعنى الشعري في التراث النقدي. ط2. دار الفكر العربي، القاهرة ،1998م . ص:19.

05	**رَأَيْتُ سِهَامَ الْمَوْتِ لاَ تُخْطِئُ الْفَتَى** **مُسَدَّدَةٌ مِنْهَا نَصُولُ وَ أَرْعَاظُ** المصدر السابق . ص: 326 .	مماثل لتصوير **طرفة بن العبد** **لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى** **لَكَا لِطُولِ المرخَى وثنيَاهُ بِالْيَدِ** الزوزني. شرح المعلقات السبع. ص:63.
06	**خَلِيلَيَّ هَذَا قَبْرُ أَشْرَفِ مُرْسَلِ** **قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ** المصدر نفسه . ص: 440 .	استمد هذا التصويرمن قول **امرئ القيس** **قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ** **بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ** الزوزني. شرح المعلقات السبع . ص :7.
07	**وَإِنَّ لَيْلِيَ إِلاَّ أَنْ أُوَافِيهِ** **لَيْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ سَأَمِ** المصدر نفسه . ص: 495 .	قصيدة كاملة أعجازها قصيدة **امرئ القيس** إلا البيت الأول، فإن عجزه صدر البيت الأول من قصيدة **امرئ القيس**: **وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهَ** **عَلِيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي** الزوزني. شرح المعلقات السبع . ص :26.
08	**نَبِيٌّ زَكَا أصلاً وَفَرْعًا وَمَنْشَأً** **وَمِنْ أَيِّ مَا وَجْهٍ نَظَرْتَ فَقَدْ زَكَا** المصدر نفسه . ص: 393 .	مستمد من بيت **كعب بن زهير** **أَلاَ أبلِّغَا عَنِّي بَجِيرًا رِسَالَةً** **فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالخيفِ هَلْ لَكَا** ابن قتيبة. الشعر والشعراء. ص:71 .
09	**بَانَتْ سُعَادُ فَعِقْدُ الصَّبْرِ مَحْلُولُ** **وَالدَّمْعُ فِي صَفَحَاتِ الخَدِّ مَبذُولُ** المصدر نفسه . ص: 429 .	عارض بها بردة **كعب بن زهير**، ومطلعها:**بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ** **مُتَيَّمُ إِثْرَهَا لَمْ يُفدَ مكبُولُ** ابن قتيبة. الشعر والشعراء. ص:80 .
10	**أُرْغِم أَعْدَائِي بِحَزْمٍ نَافِذٍ** **يَعرُكُهُمْ عركَ الثُّفَالِ بِالرَّحَى** المصدر نفسه . ص: 44 .	أفاد من بيت **زهير بن أبي سلمى**: **فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا** **وَتلقَحْ كشافًا ثُمَّ تنتجْ فتتئِمُ** الزوزني. شرح المعلقات السبع. ص :81.
11	**وَإِنَّكَ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا**	هذا التصوير مماثل لقول **جرير**:

	وَأَشْرَفُ مَنْ مَشَى فِي الأَرْضِ بَيْتَا المصدر نفسه . ص: 91 .	**أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا** **وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بطونَ رَاحِ** ابن قتيبة. الشعر والشعراء. ص:307 .
12	**عَظُمَتْ ذُنُوبِي وَالعَظَائِمُ كُلُّهَا** **بِعَظِيمِ جَاهِكَ نَرْتَجِي أَنْ تُفْرجَا** المصدر السابق . ص: 124 .	أفاد من بيت أبي نواس: **يَا رَبُّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كُثْرَةً** **فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ** أبو نواس. الديوان . ص:78.
13	**لاَ تَيْأَسَنَّ إِنْ تَنَاءَى أَمَلٌ** **وَكُلَّمَا عَسَا زَمَانٌ قُلْ عَسَى** المصدر نفسه . ص: 59 .	يشير إلى بيت **هدبة بن الخشرم**: **عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ** **يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ** المرزباني. معجم الشعراء. ص:461.
14	**أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي لَيْلَةً** **أَسُوقُ المَطَايَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالعَرْجِ** المصدر نفسه . ص: 125 .	استمد هذا التصوير من قول الشاعر الإسلامي **مالك بن الريب**: **أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتنَ لَيْلَةً** **يجنبُ الغضَا أَزْجِي القلاصَ النوَاجِيَا** القرشي.جمهرة أشعار العرب.ص:269.
15	**تَظُنُّ العذَارَى حِينَ تَسْمَعُ لَفْظَهُ** **نثَارَ الحُلِيْ عَنْهَا فَتَبْتَدِرُ اللَّقْطَا** المصدر نفسه . ص: 317 .	هذا البيت مستمد من بيت قالته الشاعرة **حمدة أو حمدونة بنت زياد الأندلسية** في وصف واد: **يروعُ حصاهُ حَالِيَةَ العذَارَى** **فَتلمسُ جَانِبَ العقْدِ العَظِيمِ** المقري. نفح الطيب، ج4. ص:288 .

إذن فالشعر العربي القديم قد حظي بالقسط الوافر من التصوير في مدائح ابن جابر الأندلسي، في ديوانه"نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين"

<u>د- التناص من خلال الأمثال والحكم:</u>

تشكل الأمثال والحكم مظهرا آخر من مظاهر التناص في المدائح النبوية لدى ابن جابر، فقد لجأ إليها بوصفها تركيبا يخدم الشعر لغة وفكرة، فقد عثرت في هذا الصدد على مثلين عربيين تناص معهما شاعرنا ابن جابر. يقول:

وَجْهٌ لَدَيْهِ يُحْمَدُ السَّيْرُ كَذَا   عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ السَّارِي السُّرَى

حَمِدُوا وَاللَّهِ عقبى سرَاهُمْ   عِنْدَمَا قَدْ لاَحَ ذَاكَ الصَّبَـاحُ[1]

فلعلنا نلحظ ما في هذا البيت من تضمين وإشارة إلى المثل العربي المشهور«**عِنْدَ الصَّبَاحِ يحمَدُ القَوْمُ السُّرَى**»[2].

ويقول أيضا:

مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ أَتَتْكَ جُنْدًا   فَأَعْلَنَتِ العِدَا ‹ حَالَ الجَرِيضُ›[3]

فهذا البيت يتضمن المثل العربي الجاهلي القديم «**حَالَ الجَرِيضُ دُونَ الْقَرَيضِ**»[4].

و**الجريض**: الغصص بالريق، و**القريض**: الشعر ويعني العجز.

وأختم بهذا البيت:

فَفَنَّدَ فِي الهَوَى مَنْ لَيْسَ يَدْرِي   فَيَا وَيْحَ الشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ[5].

تناص مع المثل العربي القديم: «**وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ**»[6].

أما التناص مع الحكم العربية فلم أعثر سوى على حكمة واحد في كل ديوانه، وهذا لتقوية المعنى وتدعيم أفكاره .في قوله :

تَغْتَرُّ بِالإِهْمَالِ مِنْهُ وَإِنَّمَا   شَأْنُ القَدِيرِ الأَخْذُ عَنْ إِمْهَالِ[7]

وفي هذا إشارة تبدو واضحة للحكمة العربية «**إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ وَلاَ يُهْمِلُ**»، وهي حكمة لا تزال متداولة. وقد ضمنها الشاعر نتيجة ثقافته وتجربته الشعرية، وقد جاءت معبرة

---

(1)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. صص:47-135.

(2)-الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق: محمد الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ،1955م. ص:623 .

(3)- ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص:301.

[4]–محمد أبو صوفة. الأمثال العربية ومصادرها في التراث. مكتبة الأقصى، الأردن ،1982م. ص:180.

[5]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص: 594 .

[6]– الميداني. مجمع الأمثال، ج2. ص : 426 .

[7]– ابن جابر. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص:462.

عن أفكاره ومعانيه، ومناسبة لتلك التجربة التي عاشها.

ومما سبق يتضح لنا أن الأمثال العربية هي أحد الروافد المهمة التي تأثر بها الشاعر ابن جابر في القرن الثامن الهجري، ووردت العديد من الأمثال العربية القديمة التي وظفها في سياق مدائحه النبوية . وقد أتى بها كوسيلة من وسائل أفكاره، لإحداث التأثير في المتلقي.

هـ- التناص مع التاريخ: لقد استعمل الشاعر"**ابن جابر**" الاقتباس والإشارة والإلماح إلى الأحداث والأسماء المشهورة والتي تعطي دلالات تضيف إلى المعنى الذي يعبر عنه الشاعر في مدائحه، فاللجوء إلى التراث التاريخي كمجلوب خارجي، يدعم به الكاتب أفكاره، ويقوي به معانيه، ويستخدمه كدليل وحجة على صدق ما يقال، ولأن كل معطى من معطيات التراث يرتبط دائما بهالة من القيم الفكرية والروحية، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك لإثارة كل الإيماءات والدلالات التي ارتبطت به في وجدان المتلقي . فيستحضر ابن جابر الشخصيات والأحداث التاريخية في مدائحه سواء كانت إيجابية أو سلبية ، حسب الجدول التالي:

الرقم	البيت الشعري	الشخصيات أو الأحداث أو الأماكن التاريخية المستحضرة
01	**أَسْرَى لِحَضْرَتِهِ بِهِ رَبُّ العُلاَ** **وَأَتَاهُ مِنْ قَبْلِ الجَلِيلِ نِدَاءُ** **سَمِيٌّ إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ قَدْ سَمَا** **فَقُوبِلَ بِالبُشْرَى بِكُلِّ سَمَاءِ** ابن جابر.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أوالغين في مدح سيد الكونين. ص:24-35.	**حادثة الإسراء والمعراج**
02	**عَدَتْ عَلَى نَفْسِ عَدِيٌّ وَسَقَتْ** **مِنْهَا ابْنَ حُجرٍ كَأْسَ سُمٍّ كَالذَّكَا** المصدر نفسه . ص: 51 .	- **عدي بن زيد العبادي:** شاعر جاهلي، ملكه كسرى على العرب، ثم غضب عليه، فحبسه، ومات في حبسه أو قتل. - **امرؤ القيس الكندي:** أكبر شعراء المعلقات الجاهلية
03	**وَاسَتْلَبتْ مُلكَ بَنِي سَاسَانَ لَمْ** **تَتْرُكْ لَهُ عَلَى اللَّيَالِي مُتَّكَا** المصدر نفسه . ص: 51 .	**الفرس**
04	**وَأَمْكَنَتْ مِنْ آَلِ مَرْوَانَ يَدَيْ** **ذِي وَحَرٍ فَعَاثَ فِيهِمْ وَنَكَى** المصدر نفسه . ص: 51 .	**الأمويون**، نسبة إلى مروان بن الحكم

05	**لَمْ يَأْمَنِ المَأْمُونُ مِنْ صَولَتِهَا** **وَلاَ ابْنُ هِنْدٍ مِنْ عَوَادِيهَا خَـلاَ** المصدر نفسه . ص: 51 .	**المأمون** هو الخليفة ابن هارون الرشيد،وابن هند هو معاوية بن أبي سفيان، أو عمرو بن هند الملك الجاهلي
06	**وَأَتْبَعَتْ جَعْفَرًا الفَضْلَ وَكَمْ** **بَاتَ الطَّلاَ يَسْقِيهَا صِرْفَ الطِّلاَ** المصدر السابق . ص: 51 .	**جعفر و الفضل:** ولدا يحي بن خالد البرمكي
07	**وَغَالَتِ الزَّبَاءَ فِي مَنْعَتِهَا** **وَأَظْفَرَتْ عَمْرًا بِهَا فَمَا أَلاَ** المصدر نفسه . ص: 51 .	– **الزباء بنت عمرو** : ملكة تدمر – **عمرو بن عدي،** أراد أن يثأر لخاله جذيمة الوشاح الذي قتلته الزباء ، فلما تمكن منها عمرو سمت نفسها.
08	**وَ أَنْفَذَتْ فِي آلِ بَكْرٍ حُكْمَهَا** **وَجَرَّعَتْ مُهَلْهِلاً كَأْسَ البلَى** المصدر نفسه . ص: 51 .	– **بنو بكر بن وائل** قبيلة جاهلية، كان بينها وبين قبيلة تغلب وفارسها عمرو بن هند حروب وحوادث. –**عدي بن ربيعة التغلبي،** خال امرئ القيس، حاول أن يثأر لأخيه كليب الذي قتله جساس بن مرة فكانت معارك بين تغلب و بكر دامت أربعين سنة .
09	**وَكَمْ سَبَتْ عَنْ سَبَأَ مِنْ نِعْمَةٍ** **فَمُزِّقُوا فِي كُلِّ قَفْرٍ وَفَلاَ** المصدر نفسه . ص: 52 .	**قوم سبأ في اليمن**
10	**وَأَهْلَكَتْ عَادًا وَأَفْنَتْ جُرْهُمًا** **وَزَوَّدَتْ مِنْهَا تَمِيمًا بِالصَّلَى** المصدر نفسه . ص: 52 .	**قوم عاد ونبيهم هودعليه السلام .** **جرهم:** قبيلة عربية قحطانية . **تميم** قبيلة عربية من قبائل نجد.
11	**وَأَظْفَرَتْ بِابْنِ زِيَّادٍ مِثْلَ مَا** **أَفْنَتْ يَزِيدَ حَسْرَةً لَمَّا اعْتَلَى** المصدر نفسه . ص: 52 .	**عبد الله بن زياد بن أبيه** شجاع خطيب. – **يزيد بن معاوية** ثاني خلفاء الأمويين
12	**وَسَيْفُ اسْتَلَّتْهُ مِنْ عِزَّتِهِ** **مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ خَضَعَتْ لَهُ الطُّلَى** المصدر نفسه . ص: 52 .	**سيف بن ذي يزن: من** ملوك العرب في اليمن، حررها من الأحباش.
13	**وَالدَّوحُ يُسْمَعُ إِنْ مَرَرْتَ سَلاَمُهَا** **وَاهْتَزَّ تَحْتَكَ لِلسُّرُورِ حراءُ**	غار قرب مكة كانﷺ يتعبد فيه قبل بعثته.

	المصدر نفسه . ص: 26 .	

14	**وَحُجِبَتْ يَوْمَ الغَارِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ** **فَمَضُوا وَمَا نَجَحَتْ لَهُمْ آرَاءُ** المصدر ، السابق . ص: 26 .	هم غار ثور الذي اختبأ به ﷺ وأبو بكر في أثناء هجرتهما إلى المدينة
15	**لاَ تُلْوِهَا عَنْ جَنَابِ سَلْعٍ** **فَعَنْهُ لاَ تَبْتَغِي التَواءَ** المصدر نفسه . ص: 29 .	فناء جبل سلع الكائن في المدينة
16	**وَفِي مِنًى تُبْلَغُ الأَمَانِي** **وَبِالصَّفَا تُرْزَقُ الصَّفَاءَ** المصدر نفسه . ص: 33 .	**منى:** مكان بين عرفات ومكة **الصفا:** جبيل قرب الكعبة يبدأ المسلمون به السعي بين الصفا والمروة .
17	**ثُمَّ مَضَى مُرْتَحِلاً فِيمَنْ مَضَى** **مُيَمِّمًا طِيبَةَ لاَ يَشْكُو الْعَنَا** المصدر نفسه . ص: 54 .	**طيبة:** المدينة المنورة
18	**وَبَدَا بِبَدْرٍ فِي مَوَاكِبِ قَوْمِهِ** **فَغَدَا كَبَدْرٍ فِي كَوَاكِبِ قُطْبِهِ** المصدر نفسه . ص: 69 .	**مكان شهير** بين مكة والمدينة، شهد أول انتصار للمسلمين على المشركين في أول حرب بينهما.
19	**فَأَشَابَ شَيْبَةَ أَمْرُ عُتْبَةَ عِنْدَمَا** **أَمَرَ السُّيُوفَ الضَّارِبَاتِ بِعَتْبِهِ** المصدر نفسه . ص: 70 .	**شيبة** وأخوه **عتبة بنت ربيعة،** طلبا مع الوليد بن عتبة مبارزة أبطال المسلمين في بدر، فتصدى لهم عبيدة بين الحارث وحمزة وعلي فقتلوهم.
20	**لَهُ الجَنَّةُ العُلْيَا بِذَلِكَ فاشْتَرَى** **وَتَجْهِيزَ جَيْشِ العُسْرَةِ اذْكُرْ وَعَدِّدِ** المصدر نفسه . ص: 164 .	في إشارة منه إلى **غزوة تبوك** عام 9هـ
21	**وَوَبَّخَ إِذْ جَاءَ القَلِيبَ قَلِيبَهُمْ** **فَأَسمعَتِ الهَامُ الهَوَالِكَ وَالأَصْدَا** المصدر نفسه . ص: 195 .	ويقصد **بالقليب:** بئر في بدر ألقى المسلمون فيه قتلى المشركين، ووقف الرسول الكريم على حافته يوبخهم .
22	**سَلِ اللَّيَالِي عَنْ كِسْرَى وَقَيْصَرِهَا** **وَآلِ غُمْدَانَ وَالأَقْيَالِ مِنْ مُضَرِ** المصدر نفسه . ص: 216 .	وهو قصر أسطوري عظيم في صنعاء، يقال سليمان عليه السلام أم الجن ليبنوه لبلقيس .

23	**وَلَمْ تَمِزْ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ هلكُوا** **غَيَّ الوَلِيدِ وَلَمْ نَعْرِفْ تُقَى عُمَرِ** المصدر نفسه . ص: 216 .	في إشارة واضحة إلى **عمر بن عبد العزيز**، الخليفة الراشدي الخامس، من خلفاء بني أمية، اشتهر بعدله وتقاه، مدة.
24	**أَضْحَتْ قُصُورُهُمْ قَفْرًا وَكَمْ عَمَرَتْ** **بِنَاصِرٍ مِنْهُمْ دَهْرًا وَمُنْتَصِرِ** المصدر السابق. ص: 217 .	ويقصد: **المنتصر بالله محمد بن المتوكل**، خليفة عباسي، بويع بالخلافة سنة 247.
25	**عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَجْرِ فِيهِ لِغَايَةٍ** **وَلَوْ أَنَّ قُسًّا مُسْعِدِي وَجَرِيرُ** المصدر نفسه . ص: 232 .	– **قس بن ساعدة الأيادي**، أحد حكماء العرب وخطبائهم في الجاهلية. – جرير بن عطية، أشهر شعراء العصر الأموي .
26	**وَفِي سَطِيحٍ آيَةٌ** **وَالفُلْكِ المُسَخَّرِ** المصدر نفسه . ص: 242 .	–**سطيح الغساني**، ذو خلق عجيب، لم يكن فيه عظم إلا الجمجمة والكفان، كاهن جاهلي شهير،كان الناس يعتقدون بنبوءته.
27	**وَقَالَ شِقٌّ مِثْلَ مَا قَالَ وَلَمْ يُغَيِّرِ** المصدر نفسه . ص: 242 .	**شق:** هو رجل من بجيلة، كاهن معاصر لسطيح في الجاهلية، بشر ببعثة النبي.
28	**وَبَعْدَ رَحِيلِ الرَّكْبِ مِنْهَا بِسَاعَةٍ** **بِدَيْرِ بَحِيرَا عِنْدَ تَيْمَاء قَدْ مرَّ ا** المصدر نفسه . ص: 251 .	–في إشارة إلى الراهب "**بحيرا**" الذي عرف محمدا ﷺ سيكون نبيا .
29	**وَفِي صُبْحِ ثَانٍ مَبْرَكَ النَّاقَةِ انْتَحُوا** **وَفِي ظُهْرِ ذَاكَ الْيَوْمِ قَدْ وَرَدُوا الحِجْرَا** المصدر نفسه . ص: 254 .	اسم للمكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ عندما وصل إلى المدينة مهاجرا.
30	**فَسَالَتْ دَمًا فِيهَا جفانُ مطيِّنَا** **عَلَى الصَّخْرِ كَالْخَنْسَاءِ حِينَ بَكَتْ صَخْرَا** المصدر نفسه . ص: 255 .	ويقصد بها **الخنساء** الشاعرة المخضرمة كان الرسول ﷺ يستنشدها شعرها .
31	**وَزُرْنَا الإِمَامَ الْحَبْرَ مَالِكًا الرِّضَى** **فَلَمْ نَرَ قَبْرًا قَبْلَ ذَا قَدْ حَوَى بَحْرَا** المصدر نفسه . ص: 257 .	يريد بذلك: **الإمام مالك بن أنس**، ينسب إليه المذهب المالكي الفقهي، وقبره في البقيع.
32	**وَبِالْمَشْعَرِ المَبْرُورِ بِتْنَا فَلَمْ نَزَلْ** **نُدِيمُ بِهِ التَّعْظِيمَ لِلَّهِ وَالذِّكْرَا**	**المشعر الحرام**:مزدلفة، مكان قرب عرفات يبيت فيه الحجيج بعد نفرتهم من عرفات

	المصدر نفسه . ص: 261 .	في طريقهم إلى منى.
33	**عَلَى الصَّدِّيقِ وَالفَارُوقِ كَرَّتْ** **وَفِي دَمِهِ لِذِي النُّورَيْنِ شَحْطُ** المصدر نفسه . ص: 311 .	– **عثمان بن عفان (ض).**
34	**جَزَى اللَّهُ بِالْحُسْنَى عِيَاضًا فَإِنَّهُ** **لأَسْمَاعِنَا أَسْمَى حُلاَهُ فَشَنَّفَا** المصدر السابق . ص: 363 .	في إشارة إلى **القاضي عياض بن موسى**، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته.
35	**لَمْ يَدْعْ عُزَّى وَلاَ لاَتَ إِذْ** **قَدْ أَتَى نَخْلَةَ وَالطَّائِفَا** المصدر نفسه . ص: 368 .	**العزى واللات** : صنمان من أصنام الجاهلية .
36	**كَمَا فَدَى بَعْدُ عبدَ اللَّهِ وَالِدَهُ** **مِنْ نَذْرِ شَيْبَةَ بَحْرِ الْجُودِ خَيْرِ وَفِيّ** المصدر نفسه . ص: 373 .	– هو **عبد المطلب** جد الرسول صلى الله عليه وسلم.
37	**مِنْكِ بَدَا سَيِّدُ الوَرَى وَإِلَى** **خَلِيلِهِمْ وَالذَّبِيحِ مُبْنَاكِ** المصدر نفسه . ص: 406 .	– في إشارة منه إلى **إبراهيم** و**إسماعيل** عليهم السلام.
38	**هَذَا الَّذِي لَمْ يَزَلْ مِنْ بَعْدِ مَبْعَثِهِ** **ثَلاَثَ عَشَرَةَ يَدْعُوهُمْ وَيَحْتَمِلُ** المصدر نفسه . ص: 416 .	يشير الشاعر إلى **الفترة المكية لدعوة** الرسول صلى الله عليه وسلم .
39	**هَذَا الَّذِي جَاءَهُ عينًا سُرَاقَتُهُمْ** **فَعَادَ عَوْنًا بِثَوْبِ النّصْحِ يَشْتَمِلُ** المصدر نفسه . ص: 417 .	ويريد بذلك: **سراقة بن مالك بن جعشم** الذي أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم و**أبا بكر** في أثناء الهجرة، وأراد بهما شرا.
40	**هَذَا الَّذِي أَنْجَزَ الْمِيعَادَ فِي أُحُدٍ** **بِقَتْلِهِ لأُبَيٍّ عِنْدَمَا اقتتلُوا** المصدر نفسه . ص: 417 .	إشارة إلى **أبي بن يخلف** من كبار قريش، أراد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قتله .
41	**هَذَا الَّذِي عملَ الأَحْزَابُ وَاجْتَمَعُوا** **لَهُ فَخَابَ بِعَوْنِ اللَّهِ مَا عَمِلُوا** المصدر نفسه . ص: 417 .	يشير الشاعر إلى **غزوة الأحزاب** أو **الخندق** .
42	**وَأَرْشَدَتِ الرُّهْبَانُ سلمانَ نَحوهُ** **وَقَالُوا لِذَاتِ النَّخْلِ يَثْرِبَ فَارْحَلِ** المصدر نفسه . ص: 448 .	يشير الشاعر إلى **سلمان الفارسي(ض)**، وهو صحابي جليل .

43	عُبَيْدَةَ سَلْ عَنْهُمْ وَحَمْزَةَ وَاسْتَمِعْ حَدِيثَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ علِي المصدر نفسه . ص: 449. .	يشير الشاعر إلى الصحابي **الجليل عبيدة بن الحارث(ض)** .

44	وَقَوْلُهُ لِمُعَاذٍ إِنْ تَعِشْ سَتَرى هَذَا جنانًا فَلَمْ يُخْلِفْ وَلَمْ يُطِلِ المصدر السابق . ص: 482 .	يشير الشاعر إلى **معاذ بن جبل** صحابي أنصاري، أحد ستة الذين جمعوا القرآن الكريم زمن الرسولﷺ .
45	وَلِلْبُخَارِيِّ فِي الأَشْيَاخِ مَنْقَبَةٌ لَمْ تُلْفَ مِنْ بَعْدِهِ يَوْمًا لَدَى رَجُلِ المصدر نفسه . ص: 485 .	البيت فيه إشارة إلى **محمد بن إسماعيل،** إمام المحدثين، وصاحب أصدق كتاب بعد القرآن الكريم.
46	وَبِالرِّضَى عَنْ عَلِّي وَالبَتُولِ وَعَنْ رَيْحَانَتَيْهِ وَعَنْ عَمَّيْهِ مُخْتَتَمِي المصدر نفسه . ص: 508 .	في إشارة إلى **علي بن أبي طالب** والسيدة **فاطمة الزهراء** و**الحسن** و**الحسين** و**حمزة** و**العباس.**
47	لَقَدْ سَكَنَتْ مَحَبَّتُكُمْ بِقَلْبِي كَسُكْنَى الحُبِّ قَلْبَ العَامِرِيِّ المصدر نفسه. ص: 595 .	يشير ابن جابر إلى **قيس بن الملوح،** شاعر عذري الذي اشتهر بحب ليلى، فعرف بمجنون ليلى .
48	وَعَنْ أَمِينِ عبادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَوْفَى النَّاسِ مِنْ رَجُلِ المصدر نفسه . ص: 486 .	يقصد الشاعر بذلك **أبو عبيدة بن الجراح** أمين الأمة .
49	ثُمَّ ابْنِ عُوْفٍ مُنِيلِ الْمَالِ سَائِلَهُ وَوَاهِبِ العيرِ مِنْ حِمْلٍ وَمِنْ إِبِلِ المصدر نفسه . ص: 486 .	البيت فيه إشارة إلى **عبد الرحمن بن عوف،** أحد المبشرين بالجنة.ساهم في تجهيز غزوة تبوك بـ200 أوقية فضة .
50	وَطَلْحَةَ المُحْسِنِ الوَاقِي بِرَاحِتِهِ خَيْرَ الْوَرَى رَاضِيًا فِي ذَاكَ بِالشَّلَلِ المصدر نفسه . ص: 486 .	يريد ابن جابر **طلحة بن عبيد الله،** الذي قاتل عن الرسولﷺ في غزوة أحد .
51	ثُمَّ السَّعِيدِ سَعِيدٍ مَنْ غَدَا وَزَرًا لِمِلَّةِ اللَّهِ فِي أَيَّامِهَا الأُوَلِ المصدر نفسه . ص: 486 .	يشير الشاعر ابن جابر إلى **سعيد بن زيد** وهو عاشر المبشرين بالجنة .
52	ثُمَّ الزُّبِيرِ حَوارِيِّ النَّبِيِّ وَمَنْ حُسَامُهُ مِنْ قِرَاعِ الأُسْدِ ذُو فللِ	في إشارة للشاعر إلى **الزبير بن العوام،** أحد المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفا

	المصدر نفسه . ص: 486 .	في الإسلام .

وعليه يمكن القول بأن عمق ثقافة الشاعرين وتنوعها، وتسلحهما بالثقافات العربية، والإسلامية، والتاريخية.قد بدا واضحا بأن التناص يعتمد اعتمادا أساسيا على كل هذا.

واعتماد الكاتبين في إبداع رسالتيهما بالتناص من القرآن الكريم،أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر،أو من خلال الأمثال والحكم إنما هو توظيف لمؤثرات لغوية أو أسلوبية .

الفصل السادس

الأشكال الفنية للمدائح النبوية

<u>المبحث الأول</u>: عند لسان الدين بن الخطيب

أولا: المولديات(الاحتفال بالمولد النبوي)

ثانيا: الموشحات

ثالثا: الرسائل الشعرية

<u>المبحث الثاني</u>: عند لسان الدين ابن جابر

أولا: البديعيات

ثانيا: المدائح النبوية التي فيها التورية بكل سور القرآن

ثالثا: المخمسات أو المسمطات

رابعا: المعارضات

خامسا: المعشرات

خامسا: المقصورة

إن شعر المديح- بصفة مجملة ومختصرة- هو شعر التغني بالنموذج والمثال، شعر يحتاجه الإنسان ويلجأ إليه حينما تفشل مشاريعه السياسية والاجتماعية، وحينما تنهار الخطابات والصور والتماثيل البشرية. يلجأ إليه الناس حينما تكتسي الحياة لباس الحداد، وتنطفئ أنوار الهداية، ويعم الظلام أرجاء الأرض وباطنها. ولذلك نجد هذا الفن ملازما للنكسات السياسية والاجتماعية، والإحباطات النفسية. فقد تحولت المدائح النبوية إلى بلسم للجراح الغائرة في كيان المجتمع، ودواء للنزيف اليومي الذي يعيشه الناس في صراعهم من أجل البقاء، وفي نضالهم من أجل الكرامة والعدل والحرية. فقد واكب المديح النبوي سقوط الأندلس، وسجل نبضات القلوب وذبذبات النفوس التي عايشت هذا الحدث، كما واكب هذا الفن المراحل الأخيرة للحضارة العربية الإسلامية، وما عرفته البلاد من تشرذم وتمزق وانحدار نحو المواقع الخلفية وواكب أيضا الصراعات السياسية والكوارث الطبيعة والهزات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات العربية.

إن المدائح النبوية لم تكن ترفا فنيا أو نزوة وجدانية لدى الشعراء، وإنما جاءت كحاجة اجتماعية ونفسية وفنية في ظرف تراكمت فيه الأحزان، وتوالت فيه الاضطرابات، وفقد فيه الناس البوصلة التي ترشدهم إلى بر الأمان وشاطئ النجاة. في زمن غاب فيه النموذج المخلص الذي تتوحد به الكلمة، وتجتمع حوله القلوب،وتلتئم به الجراح. فلم يكن الواقع يقدم للناس ما يحقق لهم هذا المطلب ويمحو عنهم هذه الحيرة. ولم يكن باستطاعتهم سوى استحضار الذاكرة واستدعاء التاريخ واستلهام النموذج من شخص النبي ﷺ باعتباره المثل المنشود، والتعويض الأمثل لكل ما كان مفقودا في حياة الناس. فهو الدواء الشافي، وهو السراج الهادي، وهو الرحمة المهداة، وهو سر الكون والوجود.

وهكذا صارت شخصية الرسول تمثل النموذج المنشود في المدائح النبوية بكل ما تمثله هذه الشخصية من رمزية وأبعاد .

وعليه فقد تعددت الأشكال الفنية للمدائح النبوية عند الشاعرين ابن جابر ولسان الدين بن الخطيب. فمن خلال تفحص ديوانيهما استخلصنا تفنن الشاعرين في ذلك حتى أنشؤوا فيها فنونا أدبية :

I–ابن الخطيب:

1–المولديات(الاحتفال بالمولد النبوي):

لا يمكن معرفة تاريخ البدء باحتفالات المولد النبوي، والمؤكد أنها لم تكن موجودة في عهد صدر الإسلام والخلفاء الراشدين، وأقدم نص وصلنا عن ابن دحية(633هـ)قوله:أنه مر بمدينة اربيل سنة604 هـ رأى مظفر الكوكبري صهر صلاح الدين الأيوبي الذي صد المغول عن احتلال المدينة معتنيا بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول من كل عام، فصنف له كتابا سماه "التنوير في مولد السراج المنير"وختمه بقصيدة طويلة، فأجازه بألف دينار ذهب،كما له" الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات"وكتاب"شرح أسماء النبي"[1].

والأرجح أنها تزامنت مع انتشار الصوفية وحلقاتهم، وكانت مناسبة لدعوة وجوه المدينة وإطعام الفقراء وإضفاء صفة التدين على منظميها من الحكام والأغنياء وكان ملوك الأندلس والمغرب يحتفلون بهذه المناسبة مثل ما عرف في عهد المماليك والفاطميين في مصر وجاء في النفح:« وكان السلطان أبو حمود الممدوح بقصيدة لابن الخطيب في مولد النبي سنة 778هـ للهجرة يحتفلون غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك الوقت وقبله»[2].فالمولديات عند لسان الدين تتألف من مقاطع ثلاثة:

أ– مطلع غزلي تقليدي:

ب–مديح للرسولﷺ وذكر معجزاته والحوادث على أيامه،وتوسل به، وتشوق إلى زيارته، ورجاء في شفاعته، وإقرار بالعجز عن الإحاطة بمكارمه وأخلاقه.

ج– وأخيرا يتخلص إلى مدح من رفعت إليه : يقول في المولدية التي رفعها إلى أبي سالم عام 763هـ، ويبدأها بذكر نجد وحاجز، ويكني بدعد وسعدى:

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْـدَا وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ المُبَرِّحَ وَالوَجْدَا

سَقَى اللَّهُ نجْدَا مَا نضحت بذكرها عَلَى كَبِدِي إِلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَـرْدَا

وَآنَس قَلْبِي فَهْوَ لِلْعَهْـدِ حَافِظٌ وَقَلَّ عَلَى الأَيَّامِ مَنْ يَحْفَظُ العَهْدَا

---

[1]– المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج2. ص: 306. .

[2]– المصدر نفسه ،ج9. ص: 215.

أَأَجْحَدُ حَقَّ الحُبِّ وَالدَّمْعُ شَاهِدٌ وَقَدْ وَقَعَ التَّسْجِيلُ مِنْ بَعْدِ مَا أَدَّا

لِي اللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ وَحَاجِزٍ وَأَكْنَي بِدَعْدًا فِي غَرَامِي أَوْ سُعْدَا[1]

وقبل الانتقال إلى المقصود يخاطب الركب الحجازي، ملتمسا منه أن يبلغ شوقه إلى رسول الله، وحنينه إلى زيارته، نيابة عنه، وذلك إذا وصل إلى المدينة المنورة **« طيبة»** وجاء القبر المقدس.

نَشَدْتُكَ يَا رَكْبَ الْحِجَازِ تَضَاءَلَتْ لَكَ الأَرْضُ مَهْمَا اسْتُعْرِضَ السُّهْبُ وَامْتَدَّا
إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطِيْبَـةٍ وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرَ المُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا
وَآنَسْتَ نُورًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ يُدَاوِي الْقُلُوبَ الغُلْفَ وَالأَعْيُنَ الرَّمْدَا
فَنُبْ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الحِمَى وَأَذْرِ بِهِ دَمْعًا وَعَفِّرْ بِـهِ خَـدًّا
وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ خُطَاهُ، وَأَضْحَى مِنْ أَحِبَّتِـهِ فَـرْدَا
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدِ المَدَى سِوَى لَوْعَةٍ تَعْتَادُ أَوْ مَدْحَـةٍ تُهْـدَا[2]

ثم يخلص إلى المديح، ويعتذر عن تقصيره، وعجزه، لأن القرآن لم يترك مجالا لمادح:

تَقَدَّمْتُ مُخْتَارًا تَأَخَّرْتُ مَبْعَثًا فَقَدْ شَمِلَتْ عَلْيَاؤُكِ الْقَبْلَ وَالْبَعْدَا
بِمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ وَلَمْ يَأْلُ فِيكَ الْوَحْيِ مَدْحًا وَلاَ حَمْدَا[3]

ويستعرض الخوارق التي ظهرت في ليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام:

بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ الْوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ قُصُورٌ بِبُصْرَى ضَاعَتْ الْهَضَبَ وَالْوَهْدَا
وَمِنْ رُعْبَةِ الأَوْثَانِ خَرَّتْ مَهَابَةً وَمِنْ هُوْلِهِ إِيْوَانُ فَارِسَ قَدْ هُدَّا
رَعَى اللَّهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ الهُدَى عَلَى الأَرْضِ مِنْ آفَاقِهَا القَمَرَ السَّعْدَا[4]

ويكرر في المولدية التي رفعها إلى أبي الحجاج بعض ما جاء في القصيدة السابقة من المعاني، ويسير على نهجها الذي حدده، بل نراه يعيد احد أبياته بعينه وهو:

[1]– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 471–472.

[2]– المصدر نفسه . ص: 475.

[3]– المصدر نفسه . ص: 476.

[4]–المصدر نفسه. ص: 478.

لِى اللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ وَحَاجِزٍ وَأَكْنِي بِدَعْدَا فِي غَرَامِيَ أَوْ سُعْدَا
أَلاَ يَا حُدَاةَ الرَّكْبِ يَبْغُونَ يَثْرِبَا وَيَلْقُونَ فِي اللَّهِ السَّآمَةَ وَالجَهْدَا

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خُلَّةً طَابَ ذِكْرُهَا إِذَا فَرَّغَتْ عُوجُ المَطِيِّ بِكُمْ نَجْدَا
وَأَبْصَرْتُمْ نُورَ النُّبُوَّةِ سَاطِعًا قَدِ اكْتَنَفَ التُّربَ الْمُقَدَّسَ وَ اللَّحْدَا
فَقُولُوا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَ خَلْقِهِ وَأَكرم مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْدَا
غَرِيبٌ بِأَقْصَى الْغَرْبِ طَالَ اشْتِيَاقُهُ فَلَوْلاَ تَعِلاَّتُ الْمُنَى لَقَضَى وَجْدَا
يُؤَمِّلُ نَيْلَ القُرْبِ وَالذَّنْبُ مُبْعِدٌ وَقَدْ سُدَّ مِنْ طُرْقِ التَّخَلُّصِ مَا سُدَّا[1]

ثم ينتقل إلى تعداد معجزاته عليه الصلاة والسلام بيتا بيتا حتى يكاد الشعر يستحيل إلى نثر عادي:

وَمَاذَا يَعُدَّ الوَصْفُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَآيُ رَسُولِ اللَّهِ تَسْتَغْرِقُ العَدَّا
سَمَا فَوْقَ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مُنَاجِيًا وَكَلَّمَ تَكْلِيمًا بِهَا الأَحدَ الْفَرْدَا
وَمَا زَاغَ عَنْهُ الطَّرْفُ،كَلا، وَلاَ طَغَى فَلِلَّهِ مَا أَجْلَى وَلِلَّهِ مَا أَهْدَى
وَلَمَّا شَكَا الْجَيْشُ اللُّهَامُ لَهُ الظَّمَا أَسَالَ لَهُ مِنْ مَاءِ أَنْمُلِهِ وِرْدَا
وَأَثْبَتَ مِنْهُ الرِّيقُ عَيْنَ قَتَادَةٍ فَاحكَمَهَا مِنْ بَعْدِ مَا ذَهَبَتْ رَدَّا[2]

ولابن الخطيب قصائد مولدية، منها قصيدة في أربعين بيتا في الجناب الكريم لم يستهلها بالغزل وإنما بوصف الشوق إلى الحضرة النبوية،وبعدها إلى مديح من رفعت إليه القصيدة:

هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِي هُبُوبِ الرِّيحِ نَفَسًا يُؤَجِّجُ لاَعِجَ التَّبْرِيحِ
وَخَضِيبَةِ الْمِنْقَارِ تَحْسِبُ أَنَّهَا نَهَلَتْ بِمَوْرِدِ دَمْعِي الْمَسْفُوحِ
فَاحَتْ بِمَا تُخْفِي وَنَاحَتْ فِي الدُّجَى فَرَأَيْتُ فِي الأَمَاقِ دَعْوَةَ نُوحِ[3]

والقصيدة منظمة بأسلوب القصائد الصوفية في إيهام المتلقي بين الغزل الظاهري والمعنى المراد.

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . صص: 480–481 .

(2)– المصدر نفسه . ص: 483.

(3)– المصدر نفسه . صص: 380–381.

وكان الأندلسيون "إضافة إلى المولد النبوي" يحتفلون بعاشوراء بطريقتهم الخاصة ويجعلونها مناسبة للتهادي والاحتفاء .

بلغ عدد مدائح لسان الدين النبوية، أو مولدياته، اثنتي عشرة قصيدة، ورد تسع منها في ديوانه (الصيِّب والجهام والماضي والكهام). خلافاً لما ذكره محققه محمد الشريف قاهر في تقديمه له، كما ورد أيضاً قصيدة واحدة في (نفاضة الجراب) للسان الدين نفسه، وواحدة في (أزهار الرياض) وواحدة في (نفح الطيب) وكلا الكتابين للمقّري، كما تكرر وورد اثنتين من المدائح الاثنتي عشرة الآنفة الذكر في (نفح الطيب) وواحدة في (نفاضة الجراب) ورفع أكثرها إلى ملوك ثلاثة بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهم: السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري سابع ملوك بني الأحمر في غرناطة، وكان لسان الدين كاتبه، ثم خليفته السلطان الغني بالله محمد بن أبي الحجاج يوسف الذي استوزره لسان الدين، ثم السلطان أبو سالم إبراهيم المريني ملك فاس في المغرب.

والمولديات . على الرغم من تعددها . تجري جميعها على نسق واحد، يبدأ لسان الدين كلاً منها عادة بالتوجع والحنين إلى حمى الحجاز عبر البرق والريح والنسيم والركب، ثم ينتقل إلى التغني بفضائل النبيﷺ ومعجزاته واصطفائه ومكانته والصلاة عليه مع اعتذاره عن تقصيره في زيارته، وتمنيه ذلك لو أتيح له، ثم ينتهي بمديح السلطان الذي قيلت المدحة في عهده، أو قيلت بطلب منه مديحاً دينياً يلاحظ اقتداءه بسنن النبي ﷺوهديه .

وللتوضيح أكثر صغت هذا الجدول:

رقم المدحة	عدد الأبيات	الغرض من نظمها	الممدوح الذي ذكر من خلالها
01	54	كتبها على لسان الغني بالله، تعبيرا عن شوقه للديار المقدسة والتقصير في زيارتها	لا يوجد
02	60	ميلاد الرسولﷺ	السلطان النصري أبو الحجاج
03	9	التعبير عن حبه للرسول والتقصير في زيارته	لا يوجد
04	39	مدح الرسولﷺ والتعبير عن شوقه إلى الديار المقدسة	لا يوجد
05	96	ميلاد الرسولﷺ	السلطان النصري الغني بالله
06	83	الشوق للديار المقدسة والتقصير في الزيارة، ومن	السلطان المريني أبو

		ثم مدح الرسول ﷺ، وطلب الشفاعة والتوسل به	سالم
07	51	الشوق للديار المقدسة والتقصير في الزيارة، ومن ثم مدح الرسول ﷺ، وطلب الشفاعة والتوسل به	لا يوجد
08	67	ميلاد الرسول ﷺ	السلطان النصري أبو الحجاج
09	52	ميلاد الرسول ﷺ	السلطان النصري أبو الحجاج
10	65	الشوق إلى الديار المقدسة والتعبير عن محبته الصادقة للرسول ﷺ	السلطان المريني أبو سالم
11	41	مدح الرسول ﷺ	لا يوجد
المجموع	**617**		

فالمولدية النبوية إما أن تقال بمناسبة الرسول ﷺ وإما أن تكون بسبب ما يشعر به ابن الخطيب من لوعة البعد ولواعج الحب والشوق لديار الحجاز وروابيها، محاولا من خلالها الوصول إلى مسوغ يطلب به شفاعة الرسول الكريم ﷺ، وربما قال المدحة على لسان سلطانه فيخاطب بها خاتم الرسل، معبرا عن شوقه وتقصيره في زيارة الديار المقدسة.

ولعلى ابن الخطيب وجد في إنشاد تلك المدح النبوية تنفيسا لما يعانيه المسلمون في ذلك الحين من وطأة حروب الإسبان النصارى، ورأى أن في ذكر الرسول ﷺ واستحضار صفاته ومناقبه واستعراض بعض معجزاته والتذكير بمواقفه الجهادية استنهاضا لنفوس المسلمين وعزائمهم في سبيل مواجهة ذلك العدوان الضاري من قبل أنصار الصليب.

2-الموشحات:

كانت الموشحات أكبر حركة من حركات التجديد في تاريخ الشعر العربي، كما كانت ثورة عاتية على التقاليد الموروثة في بناء القصيدة العربية التي ظلت تحتفظ بشكلها التقليدي سواء في التزام الأوزان العربية القديمة أو التزام القافية الموحدة ولم

تتحرر من هذه القيود بالرغم من محاولات التجديد التي حمل لواءها الشعراء المحدثون منذ القرن الثاني الهجري ثم جاءت الموشحة فثارت على هذه القيود[1] .

لقد طرق الوشاحون الموضوعات التي طرقها الشعراء من غزل وخمر ومجون ووصف للطبيعة ومدح ورثاء. ولكن الوشاحين لم يقفوا عند هذا الحد وكأنهم أبوا أن يتركوا مجالا طرقه الشعراء دون أن تكون لهم مشاركة فيه، فاتجهوا إلى الموضوعات الدينية من زهد وتصوف ومدح نبوي، واقتحموا هذا المجال الذي لا تخلو بعض جوانبه من صعوبة ومشقة، ونجحوا في أن يعبروا عن مواجدهم وأشواقهم الدينية تعبيرا صادقا[2].

فلحاجة الأندلسيين إلى قصائد سهلة الإيقاع صالحة للإنشاد والترتيل مالوا إلى نظم قصائد تتوافق مجالس الذكر أو مجالس الاحتفال النبوي فكانت الموشحات مادة الغناء والإنشاد وكانت تتلى في مجالس الاحتفال النبوي وتعتمد على دورات متلاحقة من تكرار الأقفال الذي يرتكز عليه النغم والمعنى من قبل المرددين وقراءة الأبيات(الأدوار) من قبل منشد أو أكثر إذا كانت على طريقة النوبة ، وقد أورد المقري موشحة في المديح النبوي يصلح إيقاعها وعباراتها للغزل:

لَمْ يَهْفُ قَلْبِي لِحُتبِّ لَيْلَـى وَلاَ سُعَادَ وَلاَ الربـابِ
لاَقَـى شُجُونـًا والويْـلاَ مَنْ هَامَ فِي ذَلِكَ الجنَابِ
قَلْبِـي وَاللّـَهِ مُستطَـارٌ مذحِلٌ فِي بَيْتِهِ الحَرَامِ
ذِي الحجرِ والركْنِ خيرِ ركنٍ وَزَمْزَمَ الخيرِ وَالمقَامِ[3]

---

[1]– ينظر: فوزي عيسى. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين.ط1.دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007م . ص : 406.
[2]– ينظر: المرجع نفسه . ص : 389.
[3]– المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1. صص: 281-288.

وقد برع شاعرنا لسان الدين بن الخطيب في مدح النبيﷺ، ونظم فيه موشحات كثيرة أفاض فيها في وصف شوقه إلى زيارة قبر الرسول الكريم، ولهفته إلى رؤية تلك الأماكن المقدسة التي ولدت في أحضانها الرسالة المحمدية، ويصف غربته النفسية وهو بعيد عن تلك الأماكن. ويتألم من عدم قدرته على تحقيق آماله بزيارة قبر الرسولﷺ، وتفيؤ تلك الظلال الوارفة، وشم عرف تلك الأنجاد والأغوار، ويعلل عجزه بالضعف

والشيب اللذين جعلاه مقيدا بالغرب حيث لا يستطيع زيارة تلك الطلول ويكثر من ترديد أسماء الأماكن الحجازية كالعذيب وبارق وطيبة ومكة.

ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن:«أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت بين الطبيعة والغزل(والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح »[1].

ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح، وهي للوزير أبي عامر بن ينق وذكرها لسان الدين بن الخطيب في جيش التوشيح وأولها:

سراجُ عَدْلكَ يُزْهرْ قدْ عَمَّ كلَّ العبادِ

ونـورُ وجهِكَ يبهَرِ سنـاهُ للحلق بـادِ[2]

وهناك في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة

جَادكَ الغيْثُ إِذَا الغَيْثُ همى يَا زَمانَ الوصْلِ بالأَنْدَلُسِ

لَمْ يَكُنْ وصْلُك إِلاّ حُلُمًا فِي الكرَى أَو خُلسة المختَلِسِ

....

---

[1]–ابن سعيد علي بن موسى العنسي. المُغرب في حُلي المغرب، تحقيق: د:شوقي ضيف.ط3.دار المعارف، مصر، 1955م. ص : 136.

[2]– المصدر نفسه . ص : 137.

إذ يقـود الدّهـرُ أَشـتاتَ المُنـى

ينقـلُ الخـطوَ علـى مـا يرسمُ

زُمَـرًا بيـن فُـرادى وثُنَــى

مثـل مـا يدعو الوفودَ الموْسمُ

والحيـا قـد جلَّل الرّوض سنا

فثغـور الزّهـرِ فيـه تبسـمُ

....

وروى النُّعمانُ عن ماءِ السّما كيف يَروي مالِكٌ عن أنَسِ؟
فكساه الحُسن ثوبًا معلما يزدهي منه بأبهى مَلبسِ

....

فـي ليـالٍ كـتَمَتْ سرَّ الـهوى
بـالدُّجى لـولا شـموس الغُرَر
مـال نجـمُ الكـأس فيـها وهوى
مســتقيمَ السّـيرِ سَـعْدَ الأَثَـرِ
وطَرٌ مـا فيـه من عيـبٍ سوى
أَنّــه مـرّ كـلمْح البصَـرِ

....

حين لذّ الأُنس شيئًا أَو كما هجم الصّبحُ هجومَ الحرَسِ
غارت الشهْبُ بنا أَو ربّما أَثّرت فينا عيون النرجسِ

....

أَيّ شــيءٍ لاِمْـرئٍ قـد خلُصا
فيكـون الـرّوضُ قد مُكِّن فيـهِ
تنـهـب الأَزهـار فيــه الفُرصا
أمِنَـت مـن مكـره مـا تتّقيـهِ
فـإذا المــاء تنــاجى والحصى
وخــلا كـلّ خـليلٍ بأخيــه

....

تبصر الوردَ غيورًا بَرِما يكتسي من غيظه ما يكتسي
وتَرى الآس لبيبًا فهِما يسرقُ السمْع بأذنيْ فرَسِ

....

يـا أُهيْلَ الحـيّ من وادي الغضـا
وبقلبــي ســكَنٌ أَنتــم بــهِ
ضـاق عن وجدِي بِكُم رحْبَ الفضا
لا أبـالى شـرقَه مـن غربـهِ

فأعيدوا عَهْدَ أنسٍ قد مضى
تُعْتِقوا عانيكمُ من كرْبهِ

....

واتّقوا الله وأَحيوا مغرمَا   يتلاشى نَفَسًا في نَفَسِ
حبَس القلب عليكم كَرما   أفترضون عفاءَ الحبَسِ؟

....

وبقلبي منكمو مقتربُ
بأحاديث المنى وهو بعيد
قمرٌ أَطلع منه المغربُ
شَقْوة المُغرَى به وهو سعيد
قد تساوى محسنٌ أَو مذنبُ
في هواه بين وعْدٍ ووعيد

....

ساحر المقلة معسول اللّمى   جال في النّفس مجالَ النّفَسِ
سدّدَ السّهمَ وسمّى ورمى   ففؤادي نهبة المفترسِ[1]

وتعد بدورها من موشحات المديح، وإن كان الناس لا يذكرون في العادة إلا قسمها الأول الذي يدور حول الغزل ووصف الطبيعة.

---

[1]– المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج9. صص: 281–282.

فقد كانت الموشحات في أول الأمر وقفا على الغناء. فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمريات ووصف الطبيعة. وما لبثت أن صارت مطية ذلولا للأمداح. حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم...[1] .

ويقول د. عبد العزيز الأهوائي إن الوشاح الأول« كان قريب العهد بالأصل المشترك–الأغنية الشعبية– فكان فنه قريب الشبه بها، ولعله في أول الأمر لم يكن حريصا على أن ينقي إنتاجه من اللغة العامية في جميع مقطوعاته..كما كانت البساطة

طابعا مميزا لهذا الطور. ثم انتقل الأمر على يد عبادة بن ماء السماء وغيره من المثقفين، أصحاب الشعر وناظمي القصائد، ومداحي الأمراء، ومرتادي القصور، إلى مرحلة جديدة التزموا فيها اللغة الفصحى التزاما صارما، ولم يسمحوا للعامية أن تتجاوز حدود الحرية، عربية أو أعجمية والإكثار من القوافي»[2].

وهذا الرأي يقود بدوره إلى الاعتقاد بأن الموشحات القديمة كانت بعيدة عن طابع المديح وغيره من الموضوعات التقليدية .

---

[1]– المصدر السابق ،ج3. ص: 411.

[2]– ص:290 من نسخة صححها وحققها بشير محمد زمان(لم تنشر بعد) .

3– الرسائل الشعرية:

كان للأندلسيين ولاء ثقافي واجتماعي وتاريخي نحو الشرق الإسلامي والجانب الديني يتخذ شكل القدسية تجاه الكعبة المشرفة وقبر الرسول و مرابع مبعثه،وأصبحت فريضة الحج حلقة الترابط ومصدر انبعاث الشوق لزيارة قبره واكتحال عيونهم برؤية الروضة الشريفة وأداء الركن الخامس في الشريعة الإسلامية وطلب الشفاعة والغفران،وبدأت الرسائل النبوية بالظهور مع الرسائل الدينية والاجتماعية والأخوية والوصفية التي انتشرت منذ عصر ملوك الطوائف واتخذت شكلا مستقلا يختلف عن

الرسائل الأخرى، مبتدئا بالشكوى إلى رسول الله من أحوال بلدهم والمخاطر المحيطة بهم في رسائل تفيض بوجد ملتهب لزيارة قبره الطاهر.

ولابن الخطيب رسالتان على لسان السلطان الغني بالله، حاكم غرناطة في دولة بني الأحمر (635-897هـ)، مطلع الأولى والتي هي في أربع وخمسين بيتا:

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبُ[1]

والقصيدة كلها في الشوق إلى زيارة مقامه الطاهر مختتما بالصلاة الله عليه:

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللَّهِ مَا عَيَّبَ الفَضَا عَلَيْكَ مُطِيلٌ بِالثَّنَاءِ مُصِيبُ

وَمَا اهْتَزَّ قَدٌّ لِلْغُصُونِ مُرَنَّـحٌ وَمَا افْتَرَّ ثَغْرٌ لِلْبُرُوقِ شَنِيبُ

ثم ختمها برسالة نثرية في مناقب الرسول: خلقه، نسبه، منزلته، شفاعته ومعجزاته ومن ثم بيان ما آلت الأوضاع في الأندلس نتيجة تكالب الأعداء عليها وجهود ملك دولة بني الأحمر في الدفاع عن المناطق المتبقية والرجاء منه العون والشفاعة بتسهيل الأسباب في بلوغ النصر وحفظ الإسلام في تلك الجزيرة.

والرسالة الثانية لا تختلف عن الأولى سوى ختام ملحقها النثري بالصلاة والسلام عليه وعل صديقيه و فاروقه المستخلف وصهره ذي النورين وابن عمه سيف المسلول بدر سمائه[2] .

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام . ص: 320 .

[2]- المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج9. صص: 58-64.

II-ابن جابر:

1-البديعيات:

ابتكر أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر، صاحب المقصورة المشهورة في المديح النبوي فنا جديدا في علم البديع سماه"**الحلة السيرا في مدح خير الورى**" والتي عرفت فيما بعد ببديعية العميان، لأنه كان أعمى، وقد شرحها: صديق عمره أبو جعفر بكتاب سماه«**طراز الحلة وشفاء الغلة**»[1] .

وهي قصائد ميمية من البحر البسيط في مدح الرسولﷺ، ولكنه ليس الغرض الوحيد فقط، وإنما تشاركه غاية أخرى لدعم الشاعر، هي أن يضم كل بيت من أبيات بديعيته نوعا أو أكثر من أنواع البديع التي كثرت حتى زادت عن خمسين ومئة نوع،

قال عنه الأديب أبو جعفر الألبيري(779هـ):-« نادرة في فنها، فريدة في حسنها، تجنى ثمر البلاغة من غصنها، وتنزل سواكب الإجادة من مزنها، لم ينسج على منوالها، ولا سمعت قريحة بمثالها...» [2] .

فالبديعيات تسير على نهج البردة وزنا ورويا ومضمونا وأجزاء، ويكون كل بيت من أبياتها خاصا بلون من ألوان علم البديع في البلاغة.

يقول ابن جابر في بديعيته:

بِطِيْبَـةَ انْـزِلْ وَيَمِّمْ سِيِّدَ الأُمَمِ وَانْشُرْ لَـهُ المدْحَ وَانثرْ أَطْيَبَ الكَلِمِ

وَابْذُلْ دمُوعَكَ واعذُلْ كلَّ مُصْطَبِرٍ والْحَقْ بِمَنْ سَارَ وَالْحَظْ مَا على العَلَمِ

سَنَـا نَبِـيٍّ أَبَـى أَنْ لاَ يُضيِّعَنَـا سليلِ مَجْدٍ سليمِ العِرْضِ مُحْتَرَمِ

جَميلِ خَلْقٍ على حَقٍّ جَزِيلِ نَـدَىً هَدى ووفَاضَ نـدى كَفَّيْـهِ كَالدِّيَمِ

كَفَى العَدَاةَ، وكَدَّ الحَادِثَـانِ كَفَـى فَكَمْ جَرَى مِنْ جَدى كَفَّيْهِ مِـنْ نِعَمِ

وَكَمْ حَبَا وَعَلَى المُسْتَضْعَفِينَ حَنَـا وَكمْ صَفَا وَضَفَا جودًا لِجَبْرِهِمِ

مَا فَاهَ فِي فَضْحِهِ مَنْ فَاءَ ليس سِوَى عَذْلٍ بِعَدْلٍ وَنُصْحٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ

حَانَ عَلَى كُلِّ جَانٍ حَابَ إِنْ قَصَدُوا حَامٍ شَفَى مِنْ شفَا جَهْلٍ وَ مِنْ عَدَمِ

لَيْثُ الشَرَى إِذْ سَرَى مَوْلاَهُ صَارَ لَـهُ جَارًا فَجَازَ وَ نَيْلاً مِنْـهُ لَمْ يُرَمِ

(1)– زكي مبارك. المدائح النبوية في الأدب العربي . ص :213 .

(2)– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج3. ص :430 .

كَافِي الأرَامِلِ وَ الأَيْتَـامِ كَافِلُهُمْ وَافِي النَّدَى لِمُوَافِي ذَلِكَ الحَرَمِ[1]

إلى أن يقول في نهاية البديعية:

صَحْبُ الرَّسُولِ هُمُ سُؤْلِي وَجُودَهُمْ أَرْجُو وَأَنْجُو مِنْ الْبَلْوَى بِبَالِهِمِ

أُحِبُّ مَنْ حَبَّهُمْ مِنْ أَجْلِ مَنْ صَحِبُوا أَجَلْ وَأُبْغِضُ مَنْ يُعْزَى لِبُغْضِهِمِ

همُ مَآلِـي وَآمَالِـي أَمِيلُ لَـهُمْ وَلاَ يَمَلُّ لِسَانِي مِنْ حَدِيثِهِمْ

لَكِنْ وَإِنْ طَالَ مَدْحِي لاَ أَفِي أَبَدًا فَأَجْعَلُ الْعُذْرَ وَالإِقْرَارَ مُخْتَتَمِـي[2]

فمن الضرورة أن نشير إلى أهمية هذه القصيدة في تاريخ الأدب العربي، لأن صاحبها ابن جابر اخترع بها فنا أدبيا لم يكن معروفا من قبل، ألا وهي البديعيات.
وقد وصل إليها ابن جابر بتطويره للمدحة النبوية، وبتأثره ببردة البوصيري الشهيرة من جهة، وبالنظم العلمي الذي برع فيه من جهة ثانية، وابتكر بها فناً كبيراً من فنون الأدب العربي فكان رائداً له[3].ومن الباحثين من جعل مبتكرها ابن جابر، ومنهم[4] من جعله صفي الدين الحلي، وهو معاصر له، ولقد رجح سبق ابن جابر لأنهم متعاصران، ولأن شارحها أبا جعفر قد صرح بسبقها، وهو معاصر لابن جابر وللحلي معاً. ولأن بديعية الحلي تفوّقت على بديعية ابن جابر، الأمر الذي يشير إلى أنه قد أفاد من قصيدة ابن جابر وتلافى ما رآه فيها من مواضع ضعف. ومهما يكن من أمر فإن ابن جابر في صنيعه هذا قد غدا مَعْلماً من معالم الأدب والبلاغة في تاريخ اللغة العربية، ولقد أثنى عليها السيوطي ووصفها بعلو نظمه[5].

وعلى الرغم من أن جل اهتمام ابن جابر قد انصب على الجانب البلاغي فيها، إلا أنه سار في معانيها سيره بمعاني غيرها من مدائحه النبوية تقريباً، لذلك لا نجد في معانيها جدة أو جهداً يوازي الجهد المبذول في الجانب البلاغي منها. إنه بدأها بذكر

(1)– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. صص: 491–492.

(2)– المصدر نفسه . ص :502.

(3)– ينظر: زكي مبارك .المدائح النبوية. ص :213 .

(4)– ينظر :شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ . ص: 273 .

(5)–بغية الوعاة ،ج1. ص :35 .

طيبة والدعوة لزيارة الرسول ﷺ، وضمّنها تغزلاً نبوياً، ثم مدح الرسول، وتحدث عن بعض معجزاته وختمها بالاعتذار منه، لأنه لم يستطع أن يوفيها حقه في المديح مهما أطال.

وعلى الرغم من التشابه بين هذه البديعية ومدائح ابن جابر النبوية في المعاني والعاطفة والممدوح وغير ذلك، إلا أن هناك فارقاً كبيراً بينهما، نستطيع أن نوجزه بقولنا: إن الفن كان يغالب الصنعة في المدائح النبوية، بينما غلبته الصنعة في هذه البديعة، واتضح ذلك وقوي فيما جاء بعدها من بديعيات، لا نستطيع أن نجد فيها للفن إلا رسوماً

دارسة وظلالاً باهتة، الأمر الذي أخرجها من دائرة الشعر إلى دائرة النظم العلمي في علوم البلاغة، وإن لم تصل إلى درجة ألفية ابن مالك وغيرها.

2-المدائح النبوية التي فيها التورية بكل سور القرآن:

لابن جابر بديعية مشهورة« بديعية العميان في أسماء سور القرآن»،« وهي في تورية بسور القرآن ومدح النبي ﷺ وسماها المقري ب غرر القصائد»[1]وهي في ستة وخمسين بيتا نقلها المقري كاملة[2] .

مطلعها:

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَولِ مُعْتَبَـرَهْ حُقَّ الثَّنَاءُ عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْبَقَرَهْ

فِي آلِ عِمْرَانَ قَدْمًا شَاعَ مبعثُـهُ نِسَاؤُهُمْ والرِّجَالُ استوضحُوا خبرَهْ

والقصيدة في مدح الرسول وكل بيت من أبياتها تتضمن التورية بسورة من القرآن الكريم.

بِكَهْفِ رحماهُ قدْ لاذَ الوَرَى وَبِهِ بُشْرَى ابن مريمَ فِي الإِنْجِيلِ مُشتهِرَهْ

سمَّاهُ طهَ، وحَضَّ الأنْبِيَاءَ عَلَى حجِّ المَكَانِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمَرَهْ[3]

إلى أن يختم بديعيته بالصلاة على النبي الهادي وأصحابه العشرة، ذاكرا كل واحد منهم باسمه:

أَزْكَى الصَّلاَةِ عَلَى الهَادِي وعترَتِهِ وَصَحْبِهِ وَخصوصًا مِنْهُمُ الْعَشَرَهْ

صِدِّيقُهُمْ عُمَرُ الفَارُوقُ أَحزمُهُمْ عُثْمَانُ ثُمَّ عليٌّ مُهْلِكُ الفَجَرَهْ

سَعْدٌ سَعِيدٌ زُبِيرٌ طَلْحَةٌ وَأَبُو عُبَيْدَةٍ وَابْنُ عُوفٍ عَاشِرُ البَرَرَهْ

وَحَمْزَةُ ثم عَبَّاسٌ وآلُهُمَا وَجَعْفَرٌ وَعقيلٌ سَادَةٌ خِيَرَهْ

وَفِي خَدِيجَةَ وَالزهْرَاءِ ومَا ولدتْ لديَّ مَدْحٌ سَأهدِي دَائِمًا دُرَرَهْ

عَنْ كُلِّ أَزْوَاجِهِ أَرْضَى وَأُوثر مَنْ أَضْحَتْ بَرَاءَتُهَا فِي الذِّكْرِ مستطِرهْ

أولئِكَ النَّاسُ آلُ المصْطَفَى وَكَفَى وصحبُهُ المُهْتَدُونَ السَّادَةُ الخِيَرَهْ

أقسَمْتُ لاَ زلتُ أهديهِمْ شَذَا مِدَحٍ كَالرَّوْضِ يَنْثُرُ مِنْ أَكْمَامِهِ زَهَرَهْ[4]

---

(1)– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.ج10. ص: 182.

(2)– المصدر نفسه . صص: 182–185.

(3)–ابن جابر الأندلسي.ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص: 233.

(4)– المصدر نفسه. صص : 236–237 .

كما وردت أيضا في نفح الطيب للمقري،ج324/7، وفي أزها الرياض للمقري أيضا،ج254/4، باختلافات يسيرة، وقد أثنى المقري عليها في أزهار الرياض،بعد أن أوردها، ثناء عظيما يدل على ذوق العصر وقيمه الفنية قائلا:«لم أر من سلك هذا السبيل وانتمى فيه إلى خير قبيل بعد شدة الفحص والبحث، ولعمري إن ما أبداه هذا الناظم من ذلك، لا يجارى ولا يبارى، وإن في مثله لحكمة واعتبارا، قواف في محلها متمكنة سهلة، وألفاظه تسلب العقول من أول وهلة، ومعان رائعة، وتوريات فائقة، وزاد كله مدح خير العالمين عليه الصلاة والسلام حسن طلاوة، وانسجاما ورقة وحلاوة »

وأورد المقري ثلاث مطولات لهذه القصيدة من شعراء آخرين[1]. وقام رفيقه أبو جعفر الالبيري بشرح القصيدة وسماها "طراز الحلة وشفا الغلة"[2] . واختصر هذا الشرح محمد بن ابراهيم البشتكي(830هـ)، كما نظم في عصره في العراق صفي الدين الحلي(750هـ) بديعية سماها"الكفاية البديعية في المدائح النبوية" وانتقل هذا الفن إلى النثر فنظم القاضي عياض خطبة في المديح النبوي تتضمن التورية بأسماء سور القرآن[3] .

ومن ثم انتشر هذا الفن في الشرق، فنظم الشعراء بديعيات في شرح علوم العربية من النحو والصرف والبلاغة... بينهم ابن حجة الحموي(837هـ) الذي نظم معارضة لبديعية ابن جابر في اثنين وأربعين ومئة بيت، عرض فيها فنون البديع من التخلص والاطراد والفكر والترديد والتكرار...وتدخل في منظومات المتون ونشرها في كتابه "خزانة الأدب وغاية الأرب" مع بديعيات أخرى[4] .

---

(1)– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.ج10. صص:185–191.

(2)– المصدر نفسه ، ج3 . ص: 430 .

(3)– الخطبة كاملة في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقري، ج10. ص :192 .

(4)– ابن حجة الحموي. خزانة الأدب وغاية الأرب . ص: 185.

3–المخمسات أو المسمطات:

هي قصائد مرتبة على حروف المعجم، والتي تتكول من قطع تتألف كل واحدة منها من خمسة أشطر، الأربعة الأولى ذات قافية موحدة والخامسة بحرف روي مختلف، وقد يدخلها التصريع أو التقفية مع الأشصر الأولى في المقطع الأول فتكون الأشطر الخمسة كلها في قافية واحدة، ويعرف الشطر الخامس"بعمود القصيدة " وهو الشطر الذي يكرر من قبل الجالسين في الغالب في المديح النبوي، وقد تكون عبارة "صلوا عليه وسلموا تسليما" أو أي عبارة أخرى متشابهة، كقصيدة ادريس بن موسى القرطبي(من شعراء القرن الثامن للهجرة) قوله في المقطع الأول:

أَهْلاً بِكُمْ يَا أَهْلَ هَذَا النَّادِي   أَهْلِ اعْتِقَادِ والوَعْدِ وَالمِيعَادِ

اهْدُوا الصَّلاَةَ إِلَى النَّبِيِّ الهَادِي وَصلُّوا السَّلاَمَ لَهُ مَعَ الآَبَادِ

ينـدى نسيما مذكرا تسنيما[1]

يقول ابن جابر:

إِلَى المُصْطَفَى الهَادِي صرفتُ رَجَائِي

أَمَانِي لَـهُ مدحِي غدَا وَثنَائِي

أَلاَ أَيُّهَا السَّارِي بِخَيْرِ فنَـاءِ

إِذَا جِئْتُ ربعًا طَابَ فِيهِ ثوائِي فَسلِّمْ عَلَى ذِي الجَاهِ وَالحسبِ العَالِي

بَشِيرٌ نذِيرٌ منْقِذُ كُلِّ مذنبٍ

بَشَائِرُهُ عمَّتْ بشرْقٍ وَمغْرِبٍ

بَدَا نُورُهُ حَتَّى جَلاَ كُلَّ غَيْهَبٍ

بَحيرًا دَعَا إِذْ جَاءَ هَذَا هُوَ النَّبِيُّ وَمَا زَالَ ذَا ذِكْرٍ لَدَى الزَّمَنِ الخَالِي

تَحدثَتِ الأَخْبَارُ قدمًا بنعْتِـهِ

تلُوا ذِكْرَهُ فِي الكُتُبِ مِنْ قَبْلِ وَقْتِهِ

تبينَ مِنْ تَوْرَاتِهِمْ حسنُ سمتِ

تَجَلَّى لإِذْهَابِ الضَّلاَلِ وشتـهِ وَأرسَلَهُ ذُو العَرْشِ أَكَرَمَ إِرْسَالِ[2]

---

[1]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج10. صص :295–298 .

[2]–ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين.ص: 463.

ويعد القرن الثامن للهجرة مرحلة ازدهار المخمسات ومرحلة التصنع والتفنن في إظهار الباع والقدرة الفنية في التلاعب بالأبيات الذي أضفى على تلك القصائد نوعا من الجمود والزخرفة الفارغة، مثل قصيدة للأديب المعروف حازم القرطاجني المولود في المرية في الأندلس تضمنت إعجاز أبياتها البالغة تسعة وسبعين بيتا الشطر الأول من معلقة امرئ القيس "قفا نبك" وهي قصيدة تغلب عليها الصنعة والتفكك وبهوت العاطفة[1] .

ولأبي جعفر الألبيري قصيدة مماثلة[2]. وللشاعر أبي بكر أحمد بن لب كاتب السلطان الحجاج بن نصر قصيدة مشابهة تتضمن إعجازها أشطر مطولة امرئ القيس"ألا

عم صباحا وهي قصيدة طويلة يتناول في مقدمتها الشيب والدهر ثم مناقب الرسول ومعجزاته مختتما القصيدة بطلب الشفاعة "[3] .

ولأبي جعفر الرعيني الغرناطي قصيدة من التشريع أو التوأم وفيها يبني قصيدته على أن يكون لكل قافيتان ووزنان منها:

يَا رَاحِلاً يَبْغِي زِيَارَةَ طِيْبَةَ   نِلتَ المُنَى بِزِيَارَةِ الأَخْيَارِ

حَيِّ العَتِيقَ إِذَا وَصَلْتَ وَصِفْ لَنَا   وَادِى مِنًى بِأَطْيَبِ الأَخْبَارِ[4]

وهذه القصائد محاولات شكلية لإضفاء التغيير على قصائد المدح النبوي التي وصلت في القرون المتأخرة من حكم المسلمين في الأندلس إلى مرحلة التقولب في الشكل والمعاني والموضوعات واستمرت إلى عصرنا الحديث.

---

[1]– القصيدة كاملة في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقري، ج8. صص :34–38 .

[2]– القصيدة كاملة في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقري، ج3. ص : 438 .

[3]– القصيدة كاملة في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقري، ج8. صص :32–34 .

[4]– المقري . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1. ص :54 .

4– المعارضات:

إن قصائد المديح النبوي عبارة عن سلسلة من القصائد الطويلة ابتدأت ببردة كعب بن زهير واستمرت على منوال واحد وتقسيم متشابه كأنها حلقات مترابطة ممتدة عبر الزمن، لذلك فهي قصائد معارضة لبعضها البعض، فقصائد الصرصري والبوصيري وابن جابر وابن الخطيب وابن زمرك... متشابهات من حيث الشكل والمعنى والغرض، وكأنها نسخة واحدة، استنسخت عليها عشرات النسخ بألوان مختلفة، وأورد مؤلف "تاريخ المعارضات في الشعر العربي" اثنتين وعشرين قصيدة معارضة لقصيدة كعب بن زهير [1].

أما المعارضات عند شاعرنا ابن جابر فهي قصائد عارض فيها عدة شعراء، ومن غرر قصائده النبوية قصيدة مطولة عارض فيها القصيدة اللامية « بانت سعاد» لكعب بن زهير،وهي قصيدة تقع في ثمانية وخمسين بيتا من الشعر المحكم الرصين الذي يظهر فيه أثر الجاهلية واضحا جليا، ومطلعها[من البسيط]:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِيَ اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتيَّمٌ إِثْرَهَا لم يفد مكبول
و ما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول[(2)]

يقول ابن جابر في قصيدة من الضرب الثاني من البسيط، وهو المقطوع المردف، على عروض مخبونة، مصرعة البيت الأول، متواترة القافية، مطلقة الروي، جارية على الضم. وهي:

بَانَتْ سُعَادُ فَعِقْدُ الصَّبْرِ مَحْلُولُ وَالدَّمْعُ فِي صَفَحَاتِ الْخَدِّ مَبْذُولُ
لمْ يَخْفَ حُبِّيَ عنْ وَاشٍ وَكَيْفَ بِأَنْ يَخْفَى وَسَائِلُ دَمْعِي عَنْهُ مَسْؤُولُ

---

(1)–محمود محمود قاسم. تاريخ المعارضات في الشعر العربي.(د،ط).مؤسسة الرسالة، بيروت،1983م.ص:222.

*** بانت: فارقت.**
متبول: غلبه الحب. .
مكبول: مقيد.
البين: الفراق.
أغن: في صوته غنة.

(2)– ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ص: 80.

وفيها:

لِيَ الأَمَانُ وَحَاشَا أَنْ أَخِيبَ وَ لِي قَلْبٌ عَلَى حُبِّ خَيْرِ الخَلْقِ مَجْبُولُ
هَادِي البَرِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الضَّلاَلِ وَ مَنْ لَهُ عَلَى الرسْلِ تَخْصِيصٌ وَتَفْضِيلُ
لَهُ الشَّفَاعَةُ حَيثُ الرُّسلُ جَاثِيَةٌ وَكُلُّ شَخْصٍ لِذَاكَ اليَوْمِ مَخْبُولُ
وَجَاءَتِ الخلْقُ أَفْوَاجًا لِيَلْتَمِسُوا لَهُمْ شَفِيعًا وَمَا فِي الأَمْرِ تَمْهِيلُ
وَ حَيْثُ جَاؤُوا رَسُولاً قَالَ لَسْتُ لَهَا فَلَيْسَ لِي عنْ مقَامِ الْخَوْفِ تحْوِيلُ
حَتَّى إِذَا مَا أَتُوا عِيسَى يَقُولُ لَهُمْ أَمْرُ الشَّفَاعَةِ لِلْمُخْتَارِ مَوْكُولُ
حَتَّى إِذَا سَأَلُوا المُخْتَارَ قَالَ لَهُمْ أَنَا لِذَاكَ ولِيْ بِالأَمْرِ تَكْفِيلُ

هَنَاكَ يُدْعَى بِهِ سَلْ تُعْطَ وَادْعُ تُجَبْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَوَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولُ[1]

وجاء في قصيدة نبوية أخرى، حيث نجد ابن جابر ينهج نهجا آخر في مدائحه النبوية، فيلتفت إلى المعلقات المشهورة، فيأخذها ويصرف معناها إلى المدح النبوي، فمن ذلك التفاته إلى معلقة امرئ القيس*، فنراه يأخذ شطرا من كل بيت ويضع إلى جانبه شطرا آخر من عنده، ويصرف المعنى كله إلى المدح النبوي كما يبدو في قوله:

خَلِيلِيَّ هَذَا قَبْرُ أَشْرَفِ مُرْسَلِ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
رُوَيْدُكُمَا نَبْكِي الذُّنُوبَ الَّتِي خَلَتْ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَ حَوْمَلِ
مَنَازِلُ كَانَتْ لِ لِتَّصَابِي فَأَقْفَرَتْ لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ
كَأَنِّي وَقَدْ سَارَ الحَجِيجُ وَوَدَّعُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
فَدَمْعِي عَلَى ذنبٍ جَرَى فِي عِرَاصِهَا وَقيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
أُنَادِيهُم مَنْ للضَّعِيفِ فَأَقْبَلُوا يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتجمَّلِ
فَقُلْتُ رُسُومُ الصَّبْرِ مِنِّي قَدْ عَفَتْ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

---

[1]– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:429 وما بعدها .

* امرؤ القيس: بن حجر الملك، قتل بنو أسد أباه حجرا ملكهم، فحاول أن يأخذ بثأره، وقصيدته أشهر المعلقات الجاهلية ومطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

(الزوزني. شرح المعلقات. ص:7)

إلى أن يقول في ختامها:

تَتَبَّعْتُ أَعْجَازَ امرئِ القَيْسِ نَاسِجًا لَهُنَّ صُدُورًا نَسْجُهَا لم يُهَلْهَلِ
ثَنَتْهَا بِمَدْحِ المُصْطَفَى فَكَأَنَّمَا عَلَى مدحِهِ العَالِي نُسِجْنَ بِأَوَّلِ
أُرَجِّي بِهَا تَسهِيلَ أمرِيَ فِي غَدِي فَقَدْ جِئْتُ مِنْهَا بِالمنيعِ المُسَهَّلِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ تشملُ آلَهُ وَأَصْحَابَهَ أَعْلَى مَلاَذٍ وَ مَوْئِلِ[1]

وعل هذا النحو يمضي ابن جابر في تضمين معلقة امرئ القيس وصرف جميع معانيها إلى المدح النبوي ويلتزم بهذه الطريقة من بداية القصيدة إلى نهايتها، التي ختمها بالصلاة على النبي .

---

[1]– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:440–446.

5– المعشرات:

تسمى أيضا مسمطة، يؤتى فيها بتسعة أشطار مقفاة بقافية واحدة، ثم بعاشر ذي قافية مخالفة لما قبلها وما بعدها، متفقة مع أمثالها في كل شطر عاشر.

يقول ابن جابر في قصيدة معشرة من بحر الطويل، وحرف الروي من كل قسم ملتزم في أوله. وهي:

أعنِّي فإنَّ الشَّوْقَ أَعْظَمُ دَائِـي أَمَّا إنَّ ذِكْرَ الهَاشِمـيِّ دَوَائِـي
أَعِدْ لِي حَدِيثَ الجَزْعِ فَهْوَ شِفَائِي أَحِنُّ إِلَى مَنْ حَازَ كُلَّ وَفَـاءِ
إِذَا أَسْرَعَ الحَادِي أَطَلْتُ بُكَائِـي أَقُولُ لَهُ رفقًا عَلَـى الضُّعَفَاءِ
أُحِبُّ مَقَامِي بِالحِمَى وَثَوَائِـي أَوَدُّ وَ لكِنْ ذَاكَ عَنِّي نَائِـي
إِذَا أُمَّ خيرَ العَالمِينَ رَجَائِـي فَمَا أَنَا أَخْشَى أَنْ تُخَيِّبَ آمَالِـي

* * *

جَمِيلٌ تَرَى مِنْ وَجْهِهِ قَمَرَ الدُّجَى جَلِيلُ حَنِينِ الجِذْعِ مِنْ أَجْلِهِ شَجَا
جَزِيلُ الأَيَادِي فَهْوَ لِلنَّاسِ مُلتجَا جَوَادٌ هُوَ الغَيْثُ المُغِيثُ لِمَنْ رَجَا
جَنَى عفوِهِ دَانٍ فجانيـهِ قَدْ نَجَا جَمَالٌ بِأَنْوَاعِ المَعَالِي تَدَبَّجَـا
جَرَتْ مِنْـهُ آيَاتٌ تُبِيِّنُ مَنْهَجَا جَلاَ بِانْشِقَاقِ البَدْرِ صدرَ ذوِي الحجَا
جَلاَلاً وَقَتْهُ السُّحْبُ فِي الحرِّ حيثُ جَا وَبَاحَتْ ذِرَاعُ الشَّاةِ بِالسُّمِّ فِي الحَالِ[1]

[1]– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:469–470.

<u>6–المقصورة:</u>

وهي تلك القصيدة التي تجمع بين قصيدتي كعب بن زهير والبوصيري بنفحة أندلسية متكونة من مئتين وستة وتسعين بيتا مطلعها:

بادرَ قلبي للهوَى ومَا ارتـأَى لمَّا رأَى من حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى
فقرَّبَ الوجدُ لقلبِـي حُبَّهَا وكَانَ قَلْبِي قبْلَ هذَا قَدْ سَأَى

يَا أيُّهَا العاذلُ في حبِّي لَهَا | أَقْصرْ فلي سمْعٌ عنِ العذْلِ نأى
لوْ أبصرَ العاذلُ منها لمحةً | مَا فَضَّ بابَ عذلِهِ ولا فَأَى
سرَّحتُ طَرْفي طالبًا شَأْوَ الهَوَى | وتابعًا في حبِّهَا مَنْ قَدْ شَأَى
إنِّي لأرْعَاهَا عَلَى تَضْيِيعِهَا | عَهْدِي ومثلي مَنْ وَفَي إذَا وَأَى
مَنْ مُنْصِفِي من شَادِنٍ لَمْ أَرْجُهُ | لحاجَةٍ من وصلِهِ إلاَّ لأَى
وَإِن قَبَضْتُ النفسَ عن سلْوَانِهِ | مدَّ أديمَ هجرِهِ لي وَمَأَى
لأَقْطَعَنَّ البيدَ أَفْرِي جِلدَهَا | بضامِرٍ ينفي الحَصَى إذَا دَأَى
حَتَّى أزورَ رَبَّةَ الخِدْرِ وَقَدْ | ذَادَ الكَرَى عنِّي الوُشَاةُ وذَأَى(1)

يبدأها بالنسيب ثم يتخلص إلى مناجاة المكان وبيان الغرض من تنظيم القصيدة، والذي هو التوبة وإصلاح ما فاته من الذنوب في حوار داخلي مع النفس، صعودا بالافتخار الذاتي وهبوطا في الحديث عن الشيب والكبر والدعوة إلى التزهد وعرض الخواطر والحكمة بأسلوب وعظ عن الجود والبخل والغنى والفقر والعلم والجهل والزمن والدهر...والعبرة من التاريخ بتذكير المتلقي بعروش ساسان ومعاوية والمأمون...وتفصيل القول في شمائل الرسول ومعراجه ومعجزاته، كما تحدث عن تفاصيل حجه إلى البيت الحرام واكتحال عينيه بنور قبره،وتغلب الوعظية والمباشرة على القصيدة مع كثرة الخواطر والحكم وقلة الصور البيانية والبديعية وغلبة نظام السرد وفيها ضعف في العاطفة لطول القصيدة، وهي أقرب إلى الشعر التعليمي.

(1)– ابن جابر الأندلسي. ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين. ص:39–40.

فالمديح النبوي فن أدبي نشأ في البيئات الصوفية، ووجد صيغته المكتملة حينما احتك بالتصوف بعد أن ازدهر هذا الأخير وانتشرت مذاهبه وطرقه. وشعر المديح النبوي هو امتداد لشعر المدح الذي يشكل أكثر الأغراض الشعرية ذيوعا وانتشارا في خريطة الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة. وقد ظل مرتبطا بهذا الأصل، ولكنه وجه اهتمام الشعراء إلى وجهة جديدة بحيث يكون الممدوح فيها هو شخص النبي الكريم، وتكون سيرته ودعوته هي مدار المدح والثناء. فإذا كان شعر المدح يهتم بالأحياء ويذكر

أفضالهم، فإن المدائح النبوية قيلت–في معظمها– بعد وفاة الرسول الكريم. وكل شعر يقال بعد الوفاة يعد رثاء، لكنه في شخصيه الرسول يسمى مديحا،وكأنهم لحظوا أن الرسول الكريم موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء.

وهكذا استطاعت المدائح النبوية أن تستقل بنفسها، فتصبح فنا جديدا ينضاف إلى الأغراض التي حددتها مصادر النقد الأدبي. لأنه أصبح ظاهرة فنية لها خصوصيتها التي تميزها عن باقي الفنون الأخرى. فجادت قريحة الشاعرين ابن جابر ولسان الدين بن الخطيب من خلال ابتكار فنون فيها .

خاتمة

وأخيراً بعد دراستنا للمدائح النبوية لدى لسان الدين ومواطنه ومعاصره ابن جابر، نستطيع أن نجد بعض أوجه التشابه إلى جانب بعض نقاط الاختلاف بين مديحهما النبوي، ونستطيع أن نجمل أوجه التشابه بينهما بما يلي:

1- تشابه المعاني لأنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

2- صدق العاطفة وتدفقها ونبضها بالحياة في كثير من الأحيان على الرغم من كثرة ذكرها للأحداث التاريخية، وذلك بفضل ما اتسمت به هذه المدائح بالحب الصادق والإخلاص الشديد.

3- رصانة الأسلوب التي نستطيع أن نتلمسها في كثرة الألفاظ المعجمية والتراكيب الرصينة والأوزان الرحبة كالطويل والبسيط.

4- طول القصائد بعامة، وكأنما قد أرادا بذلك أن يكون مديحهما مناسباً لعظمة الممدوح مستوعباً لصفاته الكثيرة وجوانبه الجليلة جديراً به، لأنهما كانا يخاطبانه حريصين على نيل إعجابه، وكأنهما واقفان أمامه يسمعهما ويراهما.

5- لذلك قد حرصا على المقدمة الغزليّة على طريقة المديح الرسمي أو التقليدي، واتسمت هذه المقدمة بالعفة بعامة لتناسب سمو الممدوح، ما خلا قصيدة ابن جابر اللامية، عللنا سبب ذلك آنفاً.

6- كما تشابها أيضاً بالعناية بالتصنيع عناية تناسبت مع روح عصرهما وعنايته بذلك، فكانت صورة صادقة دقيقة له.

7- بالإضافة إلى ذلك نجد في مدائحهما بعض الأغراض الثانوية، مثل النصح والحكمة والوصف والفخر وغيرها مما ينسجم مع الغرض الرئيس، وهو المديح النبوي.

وأما نقاط الاختلاف بينهما، فنراها في :

1- تفوق شعر المديح النبوي عند ابن جابر على مثيلها عند لسان الدين، من حيث الكثرة تفوقاً كبيراً جداً، إذ اقتصر لسان الدين على اثنتي عشرة قصيدة، بينما ملأ ابن جابر منه ديواناً كبيراً، بلغ عدد أوراقه خمساً وثمانين ومئة ورقة، تحتوي كل منها على صفحتين اثنتين، فضلاً عما نجده له من قصائد ومقطعات في كتب الأدب والمجموعات.

2- ونراها أيضاً في أن المدائح النبوية عند لسان الدين ***"مُناسَبيات"*** إن جاز التعبير، إذا قالها بعامة في مناسبة المولد النبوي الشريف، لذلك سميت بالمولديات، ولم يكن الأمر كذلك لدى ابن جابر الذي انطلق لسانه مغرداً في مديح الرسول ﷺ على مدار العام.

3- كما أن لسان الدين قد رفع قصائده هذه بعامة إلى ممدوح غير النبيﷺ ختم بمديحه قصائده، بينما حرص ابن جابر على أن يختم كل مدحة نبوية بالصلاة على الرسولﷺالتي جعلها لسان الدين في أثناء أبيات القسم الثاني من مولديته، والذي مدح فيه الرسولﷺ. وبذل ضمت مولدية لسان الدين ممدوحين اثنين، أولهما النبيﷺ، وثانيهما هو السلطان خلافاً لابن جابر.

4- كما كان لسان الدين أقل شاعرية من ابن جابر الذي كان شاعراً بفطرته التي يفيض منها الشعر كما يفيض الماء من النبع الغزير، ولقد ساعده على ذلك التفوق تفرغه للشعر وإخلاصه له، الأمر الذي لم يتوفر للسان الدين. كما تفوق عليه أيضاً بابتكاره لفن البديعيات، وإبداعه له، وبفتحه بذلك فناً من فنون الشعر العربي، سار فيه كثيرون من كبار شعراء العربية في زمنه وبعده، ولعل هذا كان بتأثير رحلته إلى الشرق، وإقامته في بلاد الشام التي كان أدباؤها يعنون مع غيرهم من سكان الشرق العربي بالبديع وفنونه عناية لم يسبقوا إليها، لأنهم رأوا فيه ميداناً رحباً يثبتون فيه ذواتهم، ويتفوقون به على سابقيهم وفقاً لنظراتهم الجمالية وآرائهم النقدية وفهمهم للأدب.

ومع ذلك كله يبقى المديح النبوي لدى كل من ابن جابر ولسان الدين مَعْلماً مهماً من معالم شعر كل منهما ومن معالم الشعر العربي بعامة.

قائمة المصادر والمراجع

ـ قائمة المصادر والمراجع:ـــــــــــ

*** القرآن الكريم : رواية ورش .**

I–المصادر والمراجع

1–إبراهيم أنيس. موسيقى الشعر العربي.ط3. مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1981م.

2– ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.(د.ط).لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،(د.ت).

3-ابن الأبار، أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن بكر القضاعي البلنسي الأندلسي. الديوان، تحقيق: عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1985م .
4-ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج3. ط 2. دار الرفاعي، الرياض، 1404هـ، 1984 م.
5-ابن الأثير،عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري . أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1. تحقيق:عادل أحمد الرفاعي.ط1. بيروت، لبنان،1417هـ/ 1996م.
6-ابن الجنان الأنصاري . الديوان. دراسة و تحقيق : منجد مصطفى بهجت.
7-ابن الصباغ، محمد بن أحمد. الديوان، تحقيق : نور الهدى الكتاني، رسالة دبلوم السلك الثالث، مرقونة بخزانة كلية الآداب ، الرباط .
8-ابن الفارض، عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي. الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية، بيروت،1990م.
9-ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان.(د. ط)، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د . ت) .
11- ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي. البديع، تحقيق: عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الحلبي،1945م.
12-ابن تيمية، تقي الدين أحمد. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.(د، ط). بيروت،(د،ت).

13- ابن جابر الأندلسي ، محمد بن أحمد بن علي . ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين،تحقيق: أحمد فوزي الهيب. ط1.دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،1426هـ/2005م .
14-ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي. الرحلة.دار الكتاب اللبناني.
15- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب . شرح: عصام شعيتو، ط1. دار مكتبة الهلال، بيروت،1987م .

16- ابن حزم الظاهري،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. الديوان، جمع وتحقيق ودراسة : صبحي زياد عبد الكريم. ط1. دار الصحابة للتراث، طنطا، 1990م.
17- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده،ج1. ط1. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان،(د.ت).
18-ابن سعيد علي بن موسى العنسي. المُغرب في حُلي المغرب، تحقيق: د: شوقي ضيف. ط3. دارالمعارف، مصر،1955م.
19-ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد. سر الفصاحة . دار الكتب العلمية ، بيروت،1402هـ/1982م.
20- ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد .عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، توزيع مطبعة الخانجي بالقاهرة .
21-ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، عبد القادر زمامة، محمد بن تاويت،محمد زنيبر.ط1.دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب،1985م.
22-ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1981م .
23-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، مادة : مدح، ج16. ط1. دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م .
24-ابن نباتة المصري، الشيخ جمال الدين الفاروقي.الديوان.دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان.

25-ابن هانئ، أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي.الديوان. دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م .
26-أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي.الديوان،شرح: د:وفاء الباني قمر، بإشراف : حنا الفاخوري. ط1. دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1424هـ-2004م .
27- أبو بكر الرازي ، أبو بكر محمد بن يحي بن زكريا. إيضاح مختار الصحاح. ط1. تحقيق: وهبة الزحيلي،دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1997م

28-أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي .الديوان،ج3. شرح: الخطيب التبريزي . تحقيق: محمد عبده عزام. ط2. دار المعارف، القاهرة ، 1970م .
29-أبو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي. الديوان، حققه وشرحه وفهرسه: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، لبنان،1422هـ/2002م .
30- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين ، تحقيق، جابر قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، د ، ت .
31- أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني.الديوان . تحقيق، عثمان الكعاك ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ،1989م.
32-أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني. منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد حبيب بلخوجة.ط2. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1971م.
33-إحسان عباس . فن الشعر. ط3. نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت، لبنان، (د،ت).
35-أحمد أحمد البدوي. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية. ط4. مكتبة نهضة مصر، القاهرة،(د، ت).
36- أحمد الشايب. أصول النقد الأدبي. ط10. مكتبة النهضة المصرية، 1999م .
37- أحمد الشايب. الأسلوب. ط8. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1991م.
38- أحمد الصاوي . فن الاستعارة : دراسة تحليلية في البلاغة والنقد.(د.ط).الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية ، 1979م.
39- أحمد شوقي. الشوقيات. ط1. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،(د،ت) .

40-أحمد ضيف. بلاغة العرب في الأندلس. ط2. دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1988م .
41-أحمد فوزي الهيب. الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء.(د،ط). مؤسسة الرسالة، بيروت،1986م.
42-إسماعيل زردومي.النص الأدبي بين النسق المغلق والمفتوح في المناهج النقدية.الملتقى الأدبي الوطني السادس، أبو علي الحسن رن رشيق المسيلي. النص الأدبي وإشكالية المنهج. أيام 2007/12/2.3.4م.

43-الأعشى، ميمون بن قيس. الديوان. دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان،1406هـ-1986م.
44-العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج1 . دار المقتطف، مصر، 1914م .
45-امرؤ القيس، حجر بن الحارث الكندي. الديوان، تحقيق: د: درويش الجويدي. (د،ط). المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د، ت).
46- إميل ناصف.أروع ما قيل في المديح.(د،ط).دار الجيل ، بيروت،(د،ت).
47-البحتري، عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي .الديوان ، شرح : إيمان البقاعي، مؤسسة الأعلمي،ج1. بيروت، لبنان،1422هـ-2001م .
48- بدوي طبانة . قدامة بن جعفر والنقد الأدبي . مطبعة مخيمر، القاهرة, 1954م.
49- بدوي طبانة. السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها . ط4. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1395هـ-1975م .
50-البغدادي، أبو طاهر محمد بن حيدر . قانون البلاغة في نقد النثر والشعر. تحقيق: محسن عياض عجيل. ط1. مؤسسة الرسالة، بيروت،1401هـ-1981م .
51-البوصيري، محمد بن سعيد . الديوان، شرح وتعليق: د : محمد التونجي. ط1. دار الجيل،بيروت، لبنان،2002م.
52- التجيبي المرسي ، أبو بحر صفوان ابن إدريس . زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق ، عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي، بيروت ، 1980م .
53-التفتازاني، سعد الدين مسعود، كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح .مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ، إيران،1407هـ-1987م .
54-التنوخي، أبو يعلى عبد الباقي التنوخي . كتاب القوافي، تحقيق: عمر الأسعد ومحي الدين رمضان.ط1. دار الإرشاد، بيروت، 1970م.
55- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى. قواعد الشعر، شرح و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط1. مكتبة البابي الحلبي، القاهرة،. 1367ه 1948 م.
56- جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي.
57-الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان و التبيين، تحقيق:عبد السلام هارون ،ج1. ط4. دار الفكر،بيروت،(د.ت).

58–الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان.ج3، تحقيق:عبد السلام محمد هارون. ط1.القاهرة ، 1938م .

59– الجلي، شهاب الدين محمود. حسن التوصل إلى صناعة الترسل، تحقيق:أكرم عثمان يوسف .(د.ط).دار الرشيد، بغداد،1980م.

60–جمعة شيحة. الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي .(د.ط). تونس،1994م.

61–حسان بن ثابت الأنصاري. الديوان . تحقيق: وليد عرفات،ج1. طبعة أمناء سلسلة جب التذكارية، (د،ت).

62–حسن طبل. المعنى الشعري في التراث النقدي. ط2. دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م .

63–حسين عطوان. مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي.(د.ط)، دار المعارف، مصر ،1974م .

64–حسين مؤنس. تاريخ الفكر الأندلسي.ترجمة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1955م.

65–الخطيب التبريزي ، أبي زكريا يحي بن علي بن محمد . الوافي في العروض والقوافي تحقيق، فخر الدين قباوة ، عمر يحي . ط2 . دار الفكر ،1975م .

66– الخطيب القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر . تلخيص المفتاح . الطبعة الأخيرة. مكتبة مصطفى البابو الحلبي ، القاهرة .

67–خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات،ج1. تحقيق: س ديورينغ، طبع: فرانتز شتاينر، فيسبادن، ألمانيا،1974م .

68– خير الدين الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين،ج5. بيروت، 1984م.

69– دعبل بن علي الخزاعي. الديوان. تحقيق : إبراهيم الأميوني. ط1. دارالكتب العلمية، لبنان،1418هـ/1998م .

70–رجاء عيد. دراسة في لغة الشعر .(د، ط). منشأة المعارف، الإسكندرية ،1985م .

71– رجاء عيد. التجديد الموسيقي في الشعر العربي.(د، ط). منشأة المعارف، الإسكندرية،(د،ت).

72– روبرت شولز. البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود.(د.ط).إتحاد الكتاب العرب، دمشق ،1984م .

73-زكي مبارك . المدائح النبوية في الأدب العربي. ط1. منشورات المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت،1935.
74- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق:عبد الرحيم محمود. دارالمعرفة، بيروت،(د، ت).
75- سالم عبد الرزاق سليمان. ترسل الشعراء في الأندلس.(د،ط). دار المعرفة الجامعية،2008م.
76- سامي الدهان . المديح. ط4 . دار المعارف ، القاهرة ، 1980م .
77- سبط ابن العجمي. كنوز الذهب في تاريخ حلب،ج1، تحقيق: شعث والبكور. دار القلم العربي، حلب، 1996م .
78-السكاكي، أبو يعقوب يوسف. مفتاح العلوم. ط2 . مكتبة الحلبي، القاهرة ،1990م.
79-السموأل، بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. الديوان. في مجلد واحد مع (ديوان عروة بن الورد وديوان حاتم الطائي). دار بيروت،1406هـ،1986 م
80- سيسل دي لويس . الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد ، العراق .
81-الشريف الرضي،أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الديوان،مجلد2، شرح: يوسف شكري فرحات.ط1. دار الجيل، بيروت،لبنان،1415هـ/1995م .
82- شعبان صلاح. موسيقى الشعر بين الإتباع والابتداع. ط3. دار الثقافة العربية، 1998م .
83- شوقي ضيف. تاريخ الأب العربي،عصر الدول والإمارات(الأندلس).ط1.دار المعارف،مصر ، (د،ت).
84- شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي).ط2.دار المعارف، مصر ،1965
85-شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني). ط4. دار المعارف، مصر ،(د، ت).
86- شوقي ضيف. عصر الدول والإمارات(الجزيرة العربية والعراق وإيران). جامعة حلب،1994م.
87- شوقي ضيف . في النقد الأدبي. ط6. دار المعارف، مصر ،(د، ت).

88- الشيخ غدير. ديوان جرير. ط 1.مؤسسة الأعلمي، بيروت،1420هـ-1999م.
89- صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص.(د. ط).عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1413هـ-1992م .
90- صلاح فضل. علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. ط3. نادي جدة الأدبي، جدة ، 1988م.
91- صلاح فضل . نظرية البنائية في النقد الأدبي.(د.ط). منشورات مؤسسة مختار للنشر، القاهرة،1992م.
92- طرفة بن العبد،بن سفيان بن سعد أبو عمرو. الديوان، شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق:درية الخطيب،ولطفي الصقال.مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1970م
93- الطيبي، شرف الدين حسين بن محمد. التبيان في علم البديع والبيان، تحقيق: هادي الهلال. ط1. عالم الكتب، بيروت، 1407هـ-1987م .
94- عبد الحميد عبد الله الهرامة. آثار أبي زيد الفازازي. ط1. دار قتيبة للطباعة والنشر،1991م
95-عبد الحميد محمود .المعجزة والإعجاز في سورة النمل. (د،ط)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،(د،ت).
96- عبد الخالق محمود. شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث. ط3. دار المعارف،القاهرة ،1984م .
97-عبد الرحمن البرقوقي .البيان في ديوان المتنبي،ج1. دار الكتاب العربي، بيروت،1400هـ/1980م.

98- عبد الرزاق عبد المطلب. الجديد في النحو والبلاغة . ط2. دار شريفة للطباعة والنشر والتوزيع ،1995م .
99-عبد السلام المسدي. قضية البنيوية. (د. ط). دار الجنوب للنشر، تونس،1995م .
100-عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي.ط2. مكتبة الخانجي، القاهرة،1979م.
101-عبد العزيز الفشتالي. شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة وتحقيق: نجاة المريني.

102-عبد العزيز حمودة. المرايا المحدبة.(د. ط). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، أفريل، 1998م .
103-عبد العزيز عبد المجيد . ابن الأبار حياته وكتبه . الطبعة الحسنية ، تطوان، المغرب،1954م.
104- عبد العظيم المطعني. التشبيه البليغ.دار الأنصار القاهرة، 1980م.
105- عبد القادر حسين . فن البديع. ط1. دار الشروق ، بيروت، 1983م.
106- عبد القار الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني. التعريفات . طبع المطبعة الحميدية، سوريا، 1312هـ .
107- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. دلائل الإعجاز، تحقيق: الإمام محمد عبده و الشنقيطي.ط1.مطبعة المنار، 1366هـ .
108- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. أسرار البلاغة . ط1. طبعة مصطفى المراغي، القاهرة ، 1987 م .
109-الجرجاني، ركن الدين محمد بن علي. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين.دار نهضة مصر، القاهرة،1981م.
110-عبد العزيز الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي.(د. ط). المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ت).
111- عبد الله التطاوي. الشاعر مؤرخا.(د، ط). دار غريب، القاهرة، (د، ت).

112-عبد الله الطيب المجذوف. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج1. ط1. (د، ت). عبد الحميد . مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1959م .
113- عبد الوهاب بن منصور. أعلام المغرب العربي، ج3. ط1.المكتبة الملكية، الرباط،1979م.
114-عزالدين إسماعيل. الشعرالعربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. ط3. دار الفكر العربي ، بيروت،1981م .
115- علوي الهاشمي. السكون المتحرك : دراسة في البنية والأسلوب،

ج2. ط1. إتحاد كتاب الإمارات،الإمارات،1993م .
116–علي عبد الله وافي. اللغة والمجتمع. ط1. شركة ومكتبات عكاظ ،جدة ،1983م.
117– علي يونس . نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي .
118– عمر بن الفارض ، حياته وشعره . مكتبة كرم ، دمشق،(د، ت).
119– عمر فروخ. تاريخ الأدب العربي.ط3. دار العلم للملايين، بيروت،1981م.
120–عمر موسى باشا. أدب الدول المتتابعة.(د، ط). دار الفكر الحديث، بيروت، 1967م .
121–غازي شبيب. فن المديح النبوي في العصر الملوكي، أشرف عليه وراجعه: ياسين الأيوبي. ط1.المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998م.
122– غازي طليمات ، عرفان الأشقر. الشعر في العصر الأموي. ط1. دار الفكر، دمشق، مكتب الأسد، (د، ت).
123– فايز الداية . جماليات الأسلوب. ط2 . دار الفكر المعاصر، دمشق،1996م.
124–الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي. الديوان. دار صادر.
125–فوزي عيسى. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007م .
126– فوزي عيسى . تجليات الشعرية : قراءة في الشعر المعاصر.(د. ط) . منشأة المعارف بالإسكندرية، 1997م .
127–الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. المصباح المنير،ج1، مادة: خلص ، بيروت: دار الفكر، (د. ت).

128– قدامة بن جعفر، أبو الفرج. نقد الشعر.تحقيق: محمد عيسى منون. ط1.القاهرة،1934م.
129–القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام تحقيق: علي محمد البجاوي. نهضة مصر، القاهرة ،(د. ت) .
130– القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن.الإيضاح في علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع.(د. ط)، دار الجيل ، بيروت، (د.ت).
131–كعب بن زهير، بن أبي سلمى المزني أبو المضرب .الديوان. قراءة: د.محمد

يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان.
132-الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور .إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية. (د.ط). دار الثقافة ، بيروت،1966م .
133- الكميت بن زيد، بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة . الهاشميات .
134-لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان.ط1. مكتبة الخانجي، القاهرة،1974م .
135- لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب . ديوان الصيِّب والجهام والماضي والكهام،تحقيق: محمد الشريف قاهر،الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1973م .
136-لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1983م.
137- ليونارد جاكبسون . بؤس البنيوية، دراسة فكرية، ترجمة: تامر ديب. ط1. منشورات وزارة الثقافة، سوريا،2001م.
138- مالك بن المرحل . ديوان موطأ الفصيح .
139- مالك بن عبد الرحمن المالقي الأندلسي.الديوان، تح:عبد الله بن محمد، مراجعة محمد الحسن الدد والشنقيطي. ط1. دار الذخائر للنشر والتوزيع، الرياض،2003م.
140- محمد مجيد السعيد . الشعر في عصر المرابطين والموحدين. ط2. الدارالبيضاء للموسوعات، بيروت، لبنان، 1985م.
141- محمد أبو صوفة. الأمثال العربية ومصادرها في التراث. مكتبة الأقصى،الأردن،1982م.
142-محمد أبو موسى. دلالات التركيب : دراسة بلاغية. ط2. مكتبة وهبة، القاهرة، 1987م .
143- محمد أحمد دقالي . الحنين في الشعر الأندلسي (في القرن السابع الهجري). ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008م.
144-محمد الهادي الطرابلسي . خصائص الأسلوب في الشوقيات. (د، ط).

منشورات الجامعة التونسية ، (د، ت) .
145- محمد حسن عبد الله . الصورة والبناء الشعري .
146- محمد زكي العشماوي . قضايا النقد الأدبي والبلاغة . الإسكندرية ، 1967م.
147- محمد عبد الله عنان . لسان الدين بن الخطيب(حياته وتراثه الفكري). ط1.
مكتبة الخانجي،القاهرة، 1388هـ/ 1968م .
148- محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين) .
149- محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين).
150- محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى). ط4. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م .
151- محمد قطب . واقعنا المعاصر.(د،ط) . مكتبة رحاب الجزائر، (د ، ت) .
152- محمد محمود قاسم. تاريخ المعارضات في الشعر العربي.(د، ط). مؤسسة الرسالة، بيروت،1983م.
153- محمد مصايف. جماعة الديوان في النقد . ط1 . مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1974م .
154- محمد مصطفى بدوي .كولردج ، القاهرة، 1958م .
155- محمد مفتاح . تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص. ط3.
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت،1992م.
156-محمد مفتاح. دينامية النص.(د،ط).الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،(د، ت).

157- محمود سالم محمد . المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي.(د، ط).
دار الفكر، دمشق، 1996م.
158- محمود علي مكي . المدائح النبوية . ط1. دار نوبار للطباعة ، روض الفرج، شبرا، القاهرة،1991م.
159- محمود مندور. في الميزان الجديد. ط3. مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د، ت).
160- محيي الدين بن عربي ، محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي.
ترجمان الأشواق. دار صادر، بيروت، لبنان. ط1.

161- مخائيل نعيمة . الغربال. ط11م . مؤسسة نوفل، بيروت، 1978م .
162- مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى . أعلام مدينة الجزائر و متيجة، تصدير: عبد الحميد حاجيات. ط1. دار الحضارة، الجزائر، 2007م.
163-مصطفى مندور. اللغة والحضارة. (د،ط). منشأة المعارف، الإسكندرية،1974م.
164- مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . ط1 . دار مصر للطباعة ، 1974م .
165- مصطفى ناصف. اللغة بين البلاغة والأسلوبية. النادي الأدبي بجدة، السعودية، 1987م .
166-المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني. أزهار الرياض في أخبارعياض ،ج1، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939م.
167- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس،ج3. ط1. دار صادر،(د، ت).
168-المناوي. فيض القدير شرح الجامع الصغير،ج5، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،1938.
169- منير سلطان . تشبيهات المتنبي ومجازاته. ط2. منشأة المعارف، الإسكندرية،1997م .
170- ميجان الرويلي، سعد البازعي. دليل النقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا. المركز الثقافي العربي.
180- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد . مجمع الأمثال،ج1، تحقيق: محمد محي الدين
181- ناظم رشيد . الأدب العربي في العصر الوسيط . (د، ط). دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1992م.
182- النووي. الأذكار النووية، تحقيق: الأرناؤوط ، دار الملاح، دمشق،1971م.
183- النووي. رياض الصالحين، تحقيق: رباح والدقاق،(د، ط)، دار المأمون، دمشق، 1976م.
184- اليزابيث درو.الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. ترجمة: محمد الشوش. مكتبة منيمنة، بيروت،1961.

185- يوسف اشباخ. الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان،ج2 . ط2 . مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966م .
186- يوسف بن إسماعيل النبهاني.المجموعة النبهانية في المديح النبوي، ج3. دار المعرفة، بيروت، 1974م.
187- يوسف حسين بكار. بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث.ط2. دار الأندلس، بيروت، لبنان،1982م.

الدوريـات:

1-أحمد الزغبي . التناص التاريخي والديني. مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية رؤيا لهاشم غرايبة ، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، العدد الأول، المجلد الثالث عشر، 1995م .
2- إغناطيوس كراتشوفسكي . البديع العربي في القرن التاسع . تر، مكارم الغمري ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مج 6 ، ع1 ، 1985 م .
3- جودت الركابي .الحداثة والبنيوية في معرفة النص الأدبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، العدد:10 ،1995م .
4-صبري حافظ. جماليات الحساسية والتغيير الثقافي . مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،م6 ، ع4 ،1986 م .
5- عاطف جودة ناصر . البديع في تراثنا الشعري . مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة ، مصر، مج4، ع2 ، 1984م .
6- قاسم الحسيني. الصورة الشعرية في إبداع ابن الخطيب.مجلة كلية الآداب، تطوان.
7- محمد بن عبود. ابن الخطيب مؤرخا للأندلس في عهد الطوائف. مجلة كلية الآداب بتطوان.

المعاجـم:

1- بدوي طبانة . الاقتضاب و أمثلته في: (معجم البلاغة العربية) ج 2.
2- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط .ط2. دار المعارف،مصر،1973م.
3- محمد أحمد درنيقة . معجم أعلام شعراء المدح النبوي، قدم له وضبط أشعاره: ياسين الأيوبي. ط1. دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1996م .

4- بدوي طبانة . معجم البلاغة العربية . المجلد الأول.ط2.دار العلوم، الرياض، 1402هـ- 1982 م .
5-ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج5 . ط2 .دار صادر ، بيروت، لبنان، 1995م.
6-أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.(د.ط)،المجمع العلمي، بغداد،1403هـ/1983م .
7- مجدي وهبة وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
8-د . أ. ي، ونسينك. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،ج4. ليدن، مكتبة ابريل،1936م.
9- المنجد في اللغة والإعلام. ط21.دار المشرق، بيروت، لبنان،1960م.

الموسوعات:

- موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة،ج2، جمع: علي حسن الحلبي وآخرون. ط1. مكتبة المعارف، الرياض، 1999م.
-غربال، محمد شفيق. الموسوعة العربية الميسرة.دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة ،1965م .
- عبد عون الروضان . موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي. دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن،(د،ت) .

الرسائل الجامعية :

- عبد الحميد بن صخرية . شعر الفقهاء في الأندلس من القرن الخامس إلى نهاية القرن الثامن هجري ، أطروحة دكتوراه، باتنة الجزائر، 2005م .
- صونيا بوعبد الله . قصيدة المديح النبوي بالمغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين . رسالة الماجستير.إشراف د: علي عالية، جامعة باتنة،2011م .
- سعيد بن مسفر بن سعيد العاصمي المالكي.المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي: البعد والتشكيل. رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة،

السعودية، 1422هـ/1423هـ.
-علي عالية. شعر الفلاسفة في الأندلس في القرن الخامس والسادس الهجريين.أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي . جامعة باتنة،2004/2005م.
- قاسم الحسيني. بناء القصيدة في الشعر الأندلسي،رسالة دكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس« مخطوطة»، إشراف د:عباس الجراري،1989م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

ملخص

ـ ملخص البحث ــــــــــــ

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، وهذا من خلال الشاعرين« لسان الدين بن الخطيب وابن جابر». باعتبارها تحتل مكانا مشرقا في ديوان شعرنا العربي، وهي تلك المدائح التي صنفت من الأغراض الدنيوية، واكتست رداء الصدق، حيث كان حب سيد الخلق ﷺ هو الدافع إليها، فاختلفت بذلك عن غيرها من المدائح التي كانت من الأغراض الدنيوية.

كانت الحياة الأدبية في المشرق والمغرب والأندلس موارة بالحركة والنشاط في القرن الثامن الهجري، ففي الأندلس والمغرب لقى الأدباء تشجيعا كبيرا من رجالات الدولة، الذين كان كثير منهم يقول الشعر، ويتذوقه، ويفتح لهم مجالسه،ويناظرهم، ويناقشهم، ويتخذ منهم رؤساء لدواوين الإنشاء، ويستوزرهم. وقراءة عميقة في كتب ذلك العصر مثل الإحاطة والنفاضة والكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ونثير الجمان لابن الأحمر، والعبر لابن خلدون وغيرها، تعطينا صورة واضحة عما كان يزخر به هذا القرن من الشعراء الذين كانت تتجاذبهم دول الأندلس والمغرب المتعددة المتناحرة الملأى بالاضطرابات والفتن والصراعات. أما في المشرق العربي آنذاك فنجد المماليك قد جمعوا الشام ومصر والحجاز وغيرها في دولة واحدة، حققت–رغم وجود عدد من السلبيات– كثيرا من الازدهار والقوة والأمن، مما ترك آثارا طيبة على الحياة الفكرية والأدبية، وخلفوا أشعارا كثيرة; عبرت عن روح ذلك العصر من خلال المقاييس الفنية التي كانت سائدة فيه.

كانت الصلات الفكرية والأدبية بين المغرب والمشرق العربيين وثيقة سريعة مستمرة، تمدها قوافل الحجاج والمعتمرين ومحبي جوار الرسول ﷺ والتجار بمدد مستمر لا ينقطع، يحمل معه– فيما يحمل– الفكر والعلم والتصوف والأدب والكتب، بالإضافة إلى الكثير من المغاربة الذين يمموا وجوههم قبل المشرق، حجازه ومصره وشامه،طالبين فيه الأمن الذي افتقدوه في بلادهم آنذاك، ولقد حفظت لنا الكتب أسماء كثيرين، منهم ابن عربي وابن خلدون وابن جابر وأبو جعفر، وغيرهم.

تركت هذه الهجرة آثارها المتعددة على الحياة الدينية والفكرية والأدبية بعامة، وعلى الشعر بخاصة، وعلى المديح النبوي موضوع بحثي بصورة أخص .

فالمدائح النبوية تحتل مكانا مشرقا في ديوان شعرنا العربي، واكتست رداء الصدق; حيث كان حب سيد الخلق ﷺ هو الدافع إليها، فاختلفت بذلك عن غيرها من المدائح التي كانت من الأغراض الدنيوية دافعها الأول.

وعلى امتداد العصور التي تمتد بيننا وبين عصر النبوة الزاهي راح الشعراء ينثرون مدائحهم على أعتاب الحبيب ﷺ، إذن فهي مدائح تتميز بطول الامتداد الزمني كما تميزت بالكثرة من حيث الكم أيضا;إذ لا يمكن حصر جميع مدائح الرسول ﷺ في عصر من العصور، فضلا عن حصر ما أبدعه الشعراء طوال هذه الحقبة الطويلة.

نخلص من هذا أن المدائح النبوية تميزت بالكثرة والشمولية، فقد حاولت الإحاطة بجوانب السيرة العطرة لسيد الخلقﷺ و تقديمها في بيان شعري أخاذ. ومن المحطات التي توقف لديها الشعراء تعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ،مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.

ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في آداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعدذلك إلى الرسول ﷺ طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة.

وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالمولديات.

ومن المعهود أن هذا المدح النبوي الخالص لا يشبه ذلك المدح الذي كان يسمى بالمدح التكسبي أومدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، وإنما هذا المدح خاص بأفضل خلق ألا وهو محمد ﷺ ويتسم بالصدق والمحبة والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني.

فالمدائح النبوية تميزت بالكثرة والشمولية، فقد حاولت الإحاطة بجوانب السيرة العطرة لسيد الخلق و تقديمها في بيان شعري أخاذ. ومن المحطات التي توقف لديها الشعراء تعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.

هذا وجاءت فصول البحث كالآتي:

الفصل الأول: تناولت فيه مفهوم فن المديح في الاصطلاح اللغوي والفني، ونشأته وتطوره. ثم وقفت عند المديح في الأدب العربي . كما تطرقت للمديح الديني، وكذا المديح النبوي . وبعدها تحدثت عن شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي. لأسلط بعدها الضوء على موضوعات ومضامين شعر المديح النبوي. خاتما هذا الفصل بالكشف عن أوجه التداخل بين المديح النبوي وشعر التصوف.

الفصل الثاني: أفردته لترجمة حياة الشاعرين لسان الدين بن الخطيب وابن جابر، مع دراسة ديوانيهما .

الفصل الثالث:تَوَجَّهَتْ عِنايتُهُ إلى دراسة بنية القصيدة المديحية عند الشاعرين، حيث تعرضت للمطالع والمقدمات و حسن التخلص،و حسن الختام أو المقطع. وكان ذلك عن طريق دراسة نماذج لكل منهما .

الفصل الرابع: اهتم بدراسة المعجم الشعري،من خلال دراسة:الألفاظ والأساليب، مستوى التركيب .ثم بناء الصورة في شعر المدائح النبوية، والتشبيه ودوره في خلق الصورة، والاستعارة و دورها في خلق الصورة عند الشاعرين. دون إهمال الصورة الكنائية التي كان حضورها قويا في شعر المدائح النبوية. رفقة نظيرتها البديعية .وفي جانب الموسيقى فقد كان لها صدى هي كذلك من خلال الموسيقى الإيقاعية الداخلية وكذا الخارجية.

وفي الفصل الخامس كان الحديث عن مستويات التناص عند الشاعرين، من خلال تتبع تلك الظاهرة التناصية في مدائحهما،من خلال خمس مصادر هي: القرآن الكريم،والحديث الشريف، والموروث الشعري العربي،والأمثال والحكم العربية، الأحداث التاريخية .

أما الفصل السادس فقد أُخْتُصَّ ببحث الأشكال الفنية للمدائح النبوية عند الشاعرين. فكانت المولديات، و الموشحات، والرسائل الشعرية،و المعارضات عند ابن الخطيب. وعند ابن جابر كانت البديعيات،و المخمسات، والمعارضات،والمعشرات أهم الأشكال الفنية في مدائحه النبوية.

وختمت بحثي باستعراض أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي للمدائح النبوية عند ابن الخطيب وابن جابر.

وإني لأرجو ختاما أن تكون دراستي هذه حلقة تضاف إلى سلسلة الدراسات التي اهتمت بتراثنا العربي الإسلامي القديم.

Résumé de recherche

Cette recherche vise à introduire madaih prophétique dans la poésie andalouse dans le cinquième siècle, et ce à travers les poètes «lissane edine Ibn al-Khatib et ibn Jabir». Comme el madaih occupent une place dans le diouane de la poesie arabe, sont ceux qui sont classés éloges de fins mondaines, ils ont assumé la robe et l'honnêteté, où l'amour du prophete mohamed est le motif principal de sorte qu'ils soient differents des autres louanges qui étaient de fins banales.

madaih prophétiques etaient nombreux, j'ai essayé de prendre les aspects de la Biographie parfumé de maître de la création et de la soumission dans des poemes qui coupent le souffle. Parmi les stations dont les poetes etaient interesses des qualités morales et éthiques du prophete et de montrer le désir de le voir et de visiter sa tombe et les lieux saints associés à sa vie, en citant ses miracles materiels et moraux et organisé une poésie louant les gazaouettes et les attributs de l'idéal et de prière pour lui dans l'appréciation et la vénération.

Les chapitres sont comme suit:

Chapitre 1: j’ai etudié le concept de l'art de la louange adressée dans la terminologie linguistique et technique, ses origines et son évolution. Et puis je me tiens à la louange dans la littérature maghrebine et andalouse. J’ai également porté sur l'éloge religieux, ainsi que les éloges du Prophète. Enfin, j’ai montré quelques aspects communs de madaih et de poemes de soufisme.

Chapitre II: reservé à traduire la vie des poètes Ibn al-Khatib et Ibn jabir, avec l'étude de leurs diouanes.

Chapitre III : mon attention est dirigée à l'étude de la structure des poèmes ou j’ai observé les introductions et les conclusions en étudiant des modèles.

Chapitre IV: intéressé à étudier le lexique poétique, à travers l'étude des mots et des méthodes, le niveau de l'installation de la construction. Puis les poemes à la louange du Prophète, et la métaphore et de son rôle dans la création de l'image, sans pour autant négliger l'image que sa présence a été fortement ressentie dans la louange du Prophète. En musique, il était un écho est également à travers la musique rythmique interne, ainsi que externe.

Dans le cinquième chapitre, nous parlions de niveaux d'intertextualité à travers cinq sources: le Coran, le Hadith, le patrimoine poétique arabe, les proverbes arabes, et les événements historiques.

Le sixième chapitre a été distingué pour examiner les formes d'art des louanges du Prophète chez les deux poètes. Chez l'Ibn al-Khatib, on trouve elmouldiat, elmouchihat, lettres ... Quantle à ibn Jaber on trouve Alibdieiat, Almkhmsat, Almashrat …

J’ai achevé ma recherche en presentant les plus importants resultats à travers mon étude des louanges du Prophète à Ibn al-Khatib Jabir Ibn.

je 'espère, enfin, que cet épisode sera ajouté aux études qui ont porté sur l'ancienne série du patrimoine arabo-islamique.

Research Summary

This research aims to introduce madaih in Andalusian poetry in the fifth hidjer century, and this through the poets «Ibn al-Khatib and Ibn Jabir.» they occupie a great place in the diwan of the Arab language, those are classified praise from mundane purposes, but it assumed honesty, where it was master while love is the motive.ﷺof creation

madaih prophetic characterized as numerous , tried to take aspects of fragrant Biography of master of creation, and stations that stopped to have poets census moral and ethical qualities and show the longing to see him and , ﷺvisit his grave and the holy places associated with the life of the Prophet with material and moral miracles and organized his poetry praising.

The chapters are as follows:

Chapter One: the concept of the art of praise addressed in the linguistic and technical terminology, and its origins and evolution. And then he stood at the praise in Arabic literature. Also it touched on the religious eulogy, as well as the praise of the Prophet. Then he talked about poetry in praise of the

maghreb and Andalusian literature. Then to shine a light on the issues and implications of the Prophet's praise.

Chapter II: to translate the lives of poets Ibn al-Khatib and Ibn Jabir.

Chapter III : study of the structure of the poem elmadaih, its introductions and its conclusions.

Chapter IV: interested in studying the poetic lexicon, through the study of words and methods, installation level. Then building's poem in praise of the Prophet, and the metaphor and its role in creating the image, without neglecting the image that its presence was strongly felt in praise of the Prophet. In music it was an echo is also through internal rhythmic music, as well as external.

In the fifth chapter we were talking about intertextuality levels through five sources: the Koran and the Hadith, and the Arab poetic heritage, and Arabic proverbs, and historical events.

The sixth chapter has been singled out to examine art forms of the Prophet's praises. It was Almouldiat, and aroused, poetry, letters, and oppositions at the Ibn al-Khatib. When ibn Jaber has Alibdieiat, and Almkhmsat, and oppositions, and Almashrat the most important art forms in Mdaih prophetic.

She concluded the review of the most prominent research findings through my study of the Prophet's praises at Ibn al-Khatib and Ibn Jabir.

And I hope my conclusion that this episode be added to the studies that have focused on the ancient Arab-Islamic heritage series.